

د. محمد علي البار

تيسر العرب وتيسر بني اسرائيل

الدار السعودية للنشر والتوزيع

أسست في جدة - المملكة العربية السعودية - فترة ربيع الثاني ١٣٨١ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

﴿الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * إياك نعبد وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ والمغضوب عليهم هم اليهود عليهم لعائن الله . والضالين هم النصارى . وقد حدثنا الله تعالى عن هؤلاء اليهود في كتابه الكريم في مواضع كثيرة من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . وترى أوصافهم وأخلاقهم مع أنبيائهم مبسوطة في سورة البقرة وآل عمران والمائدة والأعراف ، والإسراء وطه والحشر والجمعة وغيرها من السور . وهم الذين حرفوا كلام الله تعالى بعدما عقلوه ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ ، ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ ، ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ ، ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ . وهم اليهود الذين قالوا : ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ ، ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴿١﴾ .

وهم الذين قتلوا الأنبياء عليهم السلام ﴿ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ فقد قتلوا العديد من الأنبياء، ومن بينهم زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام فرفعه الله وطهره من كيدهم . وأتھموا أمه مريم العذراء البتول، بالزنا، عليهم لعائن الله ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ . وأي إنسان قرأ ما يسمى العهد القديم (التوراة المحرقة وبقيّة الأسفار) سيجد كلاماً فظيماً مريعاً لا يتصور صدورهم من إنسان مهما بلغت به الوقاحة والخسة والدناءة . وأفزع من ذلك ما جاء في التلمود .

وقد ورد في التوراة المحرقة (سفر التكوين) أن الله قال عندما أكل آدم من شجرة المعرفة «هوذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ويأكل ليحيا إلى الأبد» (الأصحاح ٣ : ٢٢ ، سفر التكوين) ، ثم طرده من الجنة ، ووضع عليها حراسة مشددة لئلا يأتي آدم ويأكل أيضاً من شجرة الحياة .

وتزعم التوراة المحرقة أن الله (تعالى الله عن ذلك) غضب عندما رأى البشر متحدّين ولهم لسان واحد فنزل وبلبلهم خوفاً من أن ينافسوه في مملكته!! (سفر التكوين ١١ : ١ - ٩) وظهر الرب ليعقوب في صورة إنسان، كما تزعم التوراة المحرقة، فعاركه يعقوب حتى طلوع الفجر ولم يرضَ يعقوب أن يطلق سراح الرب حتى أعطاه عهداً أبدياً له ولبنيه (بني إسرائيل) إلى أبد الأبد (سفر التكوين ٣٢ : ٢٣ - ٣٢) . وفي التوراة المحرقة أن الرب يحب اللحم المشوي والمحارق .

ولا يرضى هذا الرب بزعمهم إلا بعد تقديم اللحم المشوي، فإذا شم رائحة الشواء أعطاهم العهد والبركة إلى أبد الأبدين، ولا يهمه بعد ذلك إن كانت الأغنام المقدمة له مسروقة أم لا.. بل إن الرب، كما تزعم التوراة والتلمود، يحب القرابين البشرية المشوية!!

وتقول دائرة المعارف اليهودية: «إذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء اليهود فهو حقيقة القرابين البشرية التي تقدم للإله يهوه، ملك اليهود، والتي بوشر في تقديمها في أواخر عهد المملكة اليهودية». ومن أهم هذه القرابين، عيد الفطير الذي يذبحون فيه نصرانياً أو غيره من الأجانب (غير اليهود) ويمزجون دمه بالفطير المقدس، ويأكلون منه طوال اليوم ليأتيهم بالبركة السماوية!!

والرب، في التوراة المحرّفة، كثير الندم، وقد ندم عندما جعل شاوول (طالوت) ملكاً، كما كان يندم ويكي عندما يعذب أبناءه اليهود.. وقد غضب الرب، كما تزعم التوراة، على موسى عليه السلام فنزل ليقتل ابن موسى البكر!! ولكن امرأة موسى أخذت الطفل من بين يديه بسرعة وقطعت غرلة الطفل غير المختون وأخذت الدم ومسحت به ساق الرب وقدمه وقالت: «عريس دم من أجل الختان». فأجابها الرب وقال: «عريس دم من أجل الختان». وترك الصبي (سفر الخروج ٤ : ٢٢ - ٢٦).

وتزعم التوراة المحرّفة أن الرب (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) كان يجلس في الثابوت وتجره البقرات ويهب لبني إسرائيل النصر في معاركهم..

وأما التلمود فيزعم، كذباً وبهتاناً، أن الله يقسم اليوم إلى اثني عشر ساعة ليلاً ينام فيها (كثير النوم). ويقسم النهار كالآتي: ٣ ساعات يدرس التوراة مع أحبار اليهود، ثم يحكم العالم ثلاث ساعات، ثم

يطعم العالم ثلاث ساعات، ثم يلعب مع الحوت ملك الأسماك ثلاث ساعات!! ولكنه غيّر البرنامج بعد أن شرّد شعبه وابنه البكر إسرائيل، وبدلاً من اللعب بيكي ويصرخ ويقول حسب زعمهم: «تبأ لي لأنني صرحتُ بخراب بيتي وإحراق هيكلتي ونهب أولادي». ويزعم التلمود أن خلافاً حدث بين الرب والأخبار حول مسألة من المسائل فرغ الأمر إلى السهندرين (المحكمة العليا)، وقد حكم السهندرين، حسب زعمهم، بخطأ الرب (لعنة الله على اليهود) ثم تقدم الرب حسب خرافاتهم باعتذار للتحايمات.

وأما الأنبياء، عليهم السلام، فقد وصفتهم التوراة المحرّفة بكل وصف قبيح، وألصقت بهم كل تهمة شنيعة ابتداء من شرب الخمر وانتهاء بالزنا بالمحارم. . . حيث ادعت التوراة المحرّفة أن نوح، عليه السلام، شرب الخمر حتى سكر وتعرّى ثم لعن كنعان وبارك سام (جد اليهود) (سفر التكوين ٩ : ٢٤ - ٢٧). كما ادعت التوراة المحرّفة أن إبراهيم، عليه السلام، تزوج من اخته وهي سارة، كما تصوره بأنه ديوث يعرض زوجته لفرعون مصر لقاء مال (سفر التكوين الاصحاح ١٢ : ١٠ - ١٥)، وتتهم إسحاق، عليه السلام، بالشيء ذاته (التكوين ٢٦ : ١ - ٧). . . وأما يعقوب فتصوره التوراة المحرّفة بأنه كذاب مخادع أفاق يأخذ العهد بالحيلة والخداع من أبيه بدلاً من أخيه عيسو، (سفر التكوين الاصحاح ٢٥). . . كما يقوم يعقوب، حسب زعمهم، بسرقة خاله وأخذ أمواله.

وتزعم التوراة المحرّفة أن لوطاً فعل الفاحشة بابنتيه (التكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨). كما تزعم أن راؤيين الابن البكر ليعقوب زنى بزوجة أبيه (التكوين ٣٥ : ٢٢)، وأن يهوذا، ابن يعقوب، زنى بكنته تمارا (التكوين ٣٨ : ١ - ٢٦). . . وتزعم التوراة المحرّفة أن هارون هو الذي

صنع العجل ودعا بني إسرائيل لعبادته (سفر الخروج ٣٢ : ١ - ٦) .
وأتهموا داود عليه السلام بالزنا بحليلة جاره ثم تدبير حيلة قذرة
للتخلص من زوجها (سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١ : ٦ - ٢٧) .
واتهموا سليمان ، عليه السلام ، بأنه عبد الأوثان واستخدم
السحر (سفر الملوك الأول ، الإصحاح ١١ : ١ - ٩) واتهموا أمنون بن
داود بأنه زنا باخته (سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١٣ : ١ - ١٦) . .
ولا نستطيع في هذا المقام تتبع ما جاء من أكاذيب وتلفيقات
وفضائح تزكم الأنوف في التوراة المحرفة (العهد القديم) والتلمود .
ولقد صدق أرنست بيغن (أول وزير خارجية في أول وزارة من حزب
العمال في بريطانيا) حين قال : «إن العهد القديم هو أشد الكتب بعداً
عن الأخلاق . . ويقول ماذا تتوقع من شعب تربي منذ المهد على أقوال
التوراة^(١)» .

وهؤلاء اليهود قد وصفهم لنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
بأنهم إخوة القردة والخنازير . . وقد عانى منهم ومن دسائسهم وكيدهم
ومؤامراتهم الشيء الكثير . . وتآمروا لقتله في بني قينقاع وبني
النضير . . وألبوا قريشاً وقبائل العرب لتجتمع عليه في موقعة
الخنديق . . وكان لليهود بني قريظة دور وأي دور في تلك المعركة ، حتى
هزمهم الله على يديه وحكم فيهم سعد بن معاذ بحكم الله من فوق سبع
سماوات وهو أن تقتل المقاتلة وتسبي الذراري والنساء .

وقد أخبرنا ، صلى الله عليه وسلم ، بأن اليهود ستكون لهم دولة
في آخر الزمان وأنهم سيقاتلون مع الدجال فيقتلهم المؤمنون حتى
يقول الحجر والشجر يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله . فقد جاء في

(١) مذكرات كريستوفر ميهيو: الشرق الأوسط، ١٩٨٧/٣/٩، ص ٦.

الصحيحين، البخاري ومسلم، قوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود. وحتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله». وهذا لفظ البخاري. وفي رواية مسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله! هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه شجر اليهود».

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: «الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود». وروى البزار بسند حسن وابن منده والطبراني قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقه وهم غربه». قال الإمام ابن حجر العسقلاني في كتابه «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: «وفيه إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال على ما ورد من طرق أخرى».

ويقول ابن حجر أيضاً في باب علامات النبوة في «فتح الباري»: «وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل عيسى. وكما وقع صريحاً في حديث أبي أمامة ونزول عيسى وفيه: وراء الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عند باب لُدّ (هي الآن مطار تل أبيب) فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال: يا عبد الله! يا مسلم! هذا يهودي، تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه شجر يهود».

واستدل ابن حجر، رحمه الله، بهذه الأحاديث على نبوته، صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لم يكن لليهود دولة وصولاً في زمنه، صلى الله عليه وسلم، وخاصة بعد انهزامهم في قريظة وخيبر ولم تظهر لليهود أي قوة ولا دولة منذ أن تحطمت دولتهم منذ أن حطم دولتهم نبوخذ نصر سنة ٥٩٨ قبل الميلاد حتى العصر الحديث الذي ظهرت فيه دولتهم.

وقد حددت بعض الأحاديث مكان المعركة، وأن المسلمين سيكونون على الضفة الشرقية من نهر الأردن، واليهود في الضفة الغربية منه. . . ويعمل اليهود في الوقت الراهن على نشر المستوطنات في الضفة الغربية وتوسيع نطاقها ومضايقة الفلسطينيين الباقين في الضفة الغربية وقطاع غزة حتى يخرجوا منها.

وقد صرح بذلك زعماء إسرائيل مئات المرات ومن ذلك ما ذكره جوزيف فايتز عام ١٩٦٧: «من الواضح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبين، والحل الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي تضم على الأقل إسرائيل الغربية (الضفة الغربية) بلا عرب، ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر في البلدان المجاورة».

ويقول مناحيم بيغن لصحيفة دافار في ١٤/١٢/١٩٧٨:

«لقد وعدنا الله هذه الأرض ولنا كل الحق فيها» . .

وقالت جولدا ماير لصحيفة لوموند في ١٥ أكتوبر ١٩٧١: «وجد هذا البلد (أي إسرائيل) تنفيذاً لوعده الرب ذاته. ولهذا لا يصح أن نسأله أيضاً عن شرعية هذا الوجود».

وقال موشي ديان في الجيروزاليم بوست في ١٠/٨/١٩٦٧: «إذا كنا نملك الكتاب المقدس، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أيضاً أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة (وهي الأسفار الخمسة من

العهد القديم) وبلاد القضاة (وهو أحد أسفار العهد القديم)، أرض اورشليم وحبرون وأريحا وأماكن أخرى كثيرة».

وقد ذكرت نصوص العهد القديم أن الرب قد أعطى بني إسرائيل أرض فلسطين وما حولها حتى نهر الفرات شرقاً وجنوباً حتى أرض الجزيرة العربية، وغرباً حتى البحر الأبيض المتوسط ونهر النيل. وقد ذكرنا هذه النصوص بتفصيل في صلب الكتاب في مقال: «التوراة المحرقة تدعو إلى إقامة المذابح ومنع السلام» ومقال سفر يشوع (سفر المجازر) وسياسة إسرائيل، فنحيل القارئ عليهما ولا نعيد ما جاء فيهما.

وفي هذا الوقت العصيب الذي يقوم فيه سكان الضفة الغربية وقطاع غزة بثورتهم الباسلة المباركة، والتي قدموا فيها مئات الشهداء وآلاف الجرحى. . . وآلاف المعتقلين، وذاقوا صنوفاً من التعذيب ونقص في الأموال والأنفس والثمرات. . . في هذا الوقت العصيب، الذي ظهر فيه الأطفال ليواجهوا الدبابات والبنادق بالحجارة والقوارير المليئة بالجاز. . . في هذا الوقت تستخذي معظم الأنظمة وتلهث وراء سراب السلام الخادع ﴿يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب﴾.

إن حال العرب اليوم يشبه حال بني إسرائيل عندما كانوا في التيه. . . ونحن اليوم مثلهم في متاهات وضلالات لا نريد أن نرعوي. . . ولا أن نعود إلى طريق الجهاد، واليهود وأصدقاؤهم من الأمريكان وغيرهم يسخرون منا ونحن نلهث وراء سراب السلام. . . والظلمات تتراكم والرؤية تضمحل والغش يزداد ﴿ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. ولن نخرج من هذه الظلمات وهذه المتاهات إلا بالعودة إلى ديننا

والاعتصام بشريعتنا . . ولن توهب لنا الحياة إلا إذا طلبنا الموت . .
ويست الحياة . . حياة الذلّ والمهانة . . ﴿ولتجدنهم أحرص
الناس على حياة﴾ ولو كانت حياة الديدان تدوسها الأقدام . . لقد قالها
تشرشل من قبل عندما انحاز لليهود، أثناء عملية الاستيطان الأولى،
وعندما سأله أحد الساسة ماذا سيقول العرب فقال: «إن العرب مثل
الكلاب كلما رفستها بقدمك لعقت حذاءك» . . ونفس المقولة قالها
كيسنجر . . ولا يزالون يقولونها إلى اليوم . . وسيقولونها في الغد . .
إلى أن نفرض عنا الوهن الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بأنه حب الحياة وكراهية الموت .

ولن تتركنا الأكلة التي تكاثرت على قصعتنا حتى نحافظ على
ديننا وكرامتنا، وحتى نعود إلى ما أمرنا الله ورسوله به من جهاد أنفسنا
وجهاد عدونا .

وهذا الكتاب الذي بين يديك مجموعة من المقالات نشرت في
عديد من الصحف والمجلات أهمها صحيفة المدينة (جدة)، وصحيفة
الشرق الأوسط، ومجلة المجتمع (الكويت)، ومجلة الأمان (بيروت)
وقد جعلتها في أربع مجموعات:

المجموعة الأولى: مقالات متعلقة باليهود.

المجموعة الثانية: مقالات متعلقة بالبترول.

المجموعة الثالثة: مقالات عن شؤون المسلمين ومآسئهم.

المجموعة الرابعة: مقالات إسلامية اجتماعية.

والله أسأل أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها، وهو ولي التوفيق.

جدة ٢٢ رجب ١٤٠٨ هـ .

١٠ مارس ١٩٨٨ م .

مقالات متعلقة باليهود

- . تيه العرب وتيه بني إسرائيل .
- . بلئى . . إن مكروهم لتزول منه الجبال .
- . التوراة المحرّفة تدعو إلى إقامة المذابح ومنع السلام .
- . سفر يشوع (سفر المجازر) وسياسة إسرائيل .
- . لولا بني إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم .
- . متى يقول الحجر والشجر يا مسلم ؛ هذا يهودي ورائي فاقتله ؟
- . القضية الفلسطينية والسلطان عبد الحميد .
- . وقفة تأمل في خضمّ الأنبياء .
- . ما لجرح بميت إيلام .

تیه العرب وتیه بنی اسرائیل

عندما تتحدّث الصحافة العالمیة والعربیة عن تیه بنی اسرائیل تدعوه باسم الדיاسبورا وهي كلمة تعني الشتات والفرقة والضیاع الذي جعله الله نكالا لبني اسرائیل يتيهون في الأرض جزاء على ما فعلوه مع نبيهم ومنقذهم موسى - عليه السلام - ويقص القرآن الكريم علينا هذه القصة في سورة المائدة فيقول تعالى : ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين * يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين * قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون * قال رجلان(*) من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلا عليهما الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين * قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون * قال ربّ إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين * قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة

(*) ذكر أهل التفسير، وجاء أيضاً في العهد القديم، أن الرجلين اللذين طلبا من بني اسرائيل أن يقاتلوا هما يوشع بن نون، فتى موسى، عليهما السلام، وكالب بن يفته.

يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴿

من هذه الآيات الكريمات نطلع على صفات بني إسرائيل النفسية من الجبن والخسة مع الصفاقة والوقاحة المتناهية حتى يقولوا لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ .

وقد حدثنا القرآن الكريم عن صفات يهود يتجبرون ويطغون عندما يخلو لهم الميدان ويفزعون ويفرقون عندما يجدون من يتصلب لهم ويحاربون بالكيد والدرس والوقية أكثر مما يحاربون بالسيف والسنان . قال تعالى : ﴿ فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ وقال تعالى : ﴿ أفكلمنا جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾ وهم يهود الذين ضرب الله عليهم الذلة إلى يوم القيامة قال تعالى : ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

هؤلاء اليهود إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت هم الذين جعلهم الله يستذلوننا في هذا الزمان النكد . . ويرفعون هاماتهم فوق رؤوسنا فيستحلون محارمنا ويستبيحون بيضتنا . . ويفرضون علينا ما يشاءون . .

ولذلك أسباب فإن الله لا يحايي أمة بعينها . . وله سنن كونية لا تتغير ولا تبدل من أجل قوم بعينهم .

لقد جعل الله اليهود في إحدى فترات التاريخ خير الأمم آنذاك فنكصوا وزاغوا . . فجعلهم الله أذل الأمم وأحقرها . . وجعل الله المسلمين والعرب خير الأمم واشترط لهم بذلك شروطاً إن أدوها دامت

لهم هذه الخيرية وهذه الغلبة . . وإن نكصوا عنها كما نكصت يهود
أذلهم الله بأذل خلقه وأحقرهم . .

قال تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

فلما نكصت الأمة عن هذا الشرط واستشرى فيها الفساد ودبت فيها
الأحقاد . . وجاءتهم الحالقة التي تحلق الدين وانتشر فيهم داء الأمم من
قبلهم من التحاسد والتباغض وتركوا الجهاد واستمرأوا الحياة ضرب الله
عليهم ذلاً لا يرفعه إلا عودة إلى شريعة الله وحب لله ولرسوله واستشهاد
في سبيله . .

نعم لقد أصبح المسلمون . . والعرب بصورة خاصة أشد الناس
حرصاً على أي حياة ولو كانت حياة الديدان وصدق فيهم ما كان من
وصف يهود ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ . وليس ذلك بمانع
عنهم الموت ولا دافع عنهم البلاء فإن الموت ملاقيهم ولو كانوا في
بروج مشيدة . . والبلاء نازل بهم ولو احتموا منه في مخادعهم . . بل
إن فرارهم وتقاعسهم مدعاة لهذا البلاء وسبب لنزول المحق وذريعة
للاستئصال والهلاك .

أين نحن من أولئك الأبطال الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ وهم
يريدون غير قريش ولا يظنون أنهم يلاقون جيشاً لجباً لقريش فيستشيرهم
رسول الله ﷺ ويقول : « أشيروا علي أيها الناس فيقوم المقداد بن
عمرو - رضي الله عنه - فيقول : يا رسول الله امض لأمر الله فنحن
معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها : ﴿ اذهب أنت
وربك فقاتل إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما
مقاتلون . والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا
معك » .

ثم يكرّر رسول الله قوله : « أشيروا عليّ أيّها الناس » يريد بذلك الأنصار فقام سعد بن معاذ - رضي الله عنه - فقال : « إنا قد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أنّ ما جئت به حق فأعطيناك موثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبيّ الله لما أردت ، فالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل . فصل من شئت واقطع من شئت . وخذ من أموالنا ما شئت . وما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا ممّا تركت . والذي نفسي بيده ما سلكت هذا الطريق وما لي بها من علم . وما نكره أن نلقى عدونا غداً . وإنّا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعلّ الله يريك منا بعض ما تقرّ به عينك » . فسّر رسول الله ﷺ وقال : « سيروا على بركة الله فإنّ الله وعدني إحدى الطائفتين أنّها لكم . والله لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم » . فكانت موقعة بدر الكبرى التي رفع الله بها راية الإسلام وأعزّها جنوده وأبطاله .

أين نحن من أولئك الأبطال الذين رغم هزيمتهم في أحد نديهم رسول الله ﷺ للخروج لملاقاة قريش عندما سمع أنّها جمعت له لتهجم على المدينة فكانت غزوة حمراء الأسد حيث خرجوا بجراحاتهم ودماؤهم لما نجفّ بعد ليواجهوا قريشاً المتحصرة المختالة وحاول المنافقون أن يرهبوه قائلين لهم إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فلم يزدهم ذلك إلاّ إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . . وخرجوا لا يرهبون كثرة عددهم ولا حسن عدده فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء . . ونكصت قريش وتراجعت بعدما بلغها من خروج رسول الله وصحبه لملاقاتهم .

أين نحن من أبطال اليرموك والقادسية ونهاوند وجالولا والزلاقة وحطين وعين جالوت .

أولئك هم الأبطال المغاوير الذين ربطوا قلوبهم بربهم وتوكلوا عليه فلم ترهبهم كثرة الأعداء ولا جيوشهم الهائلة ولا أعدادهم الضخمة الكثيرة . . وانتصر المسلمون في كل تلك المعارك رغم قلة أعدادهم وضآلة عددهم لأنهم وثقوا بربهم واستمسكوا بدينهم ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ * فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحبّ المحسنين ﴿ .

نعم هكذا كان سلف هذه الأمة . . نراه في مختلف الأزمنة والعصور . . حتى تلك العصور التي بدأ فيها نوع من الانحطاط كان يظهر في الأمة من يحمل الراية ويوطد العزم على الموت في سبيل الله فيرفع بذلك رأسها . . ومن ذلك ما يرويه لنا التاريخ أن امبراطور الروم آرمانوس جمع مائتي ألف مقاتل وتوجّه إلى خلاط (في أرمينية في الاتحاد السوفييتي اليوم) وكان السلطان ألب أرسلان السلجوقي بمدينة خوي (في أذربيجان في الاتحاد السوفييتي أيضاً) وليس لديه إلا خمسة عشر ألف جندي فسار لملاقاة الروم وقال لجنده : (إني أقاتل محتسباً صابراً فإن سلمت فنعمة من الله وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه هو القائد) . وشجعه إمامه وفقهه أبو النصر محمد بن عبد الملك البخاري (وكان آنذاك لكل سلطان فقيه وإمام يشير عليه ويوجهه إلى طريق الحق والصواب بإذن الله) . . فلما كانت ساعة الجمعة صلّى بهم الإمام الفقيه وبكى السلطان متضرعاً إلى الله بالنصر ولبس البياض وتحنط ، وقال : إن قتلت فهذا كفني وقال لمن معه من الجنود (من أراد الانصراف فلينصرف) لما رأى من كثرة عدد الروم وقلة عدد جيشه فما انصرف منهم رجل وتقدّم وأكثر الدعاء والتضرّع فقاتل ذلك الجيش أشدّ قتال عرفه الناس . . وانهزم الروم . وأسر الامبراطور آرمانوس وقتل منهم وأسر

عشرات الآلاف وفرّ الباقون يهيمون في أراضي الأناضول .
التاريخ مليء بمئات الشواهد والأدلة على ما كان عليه سلف هذه
الأمّة من ثبات وعزم وإقدام . . وما فعلته المقاومة الفلسطينية في لبنان
ليس مثلاً بعيد . . فرغم قلة عددهم وعتادهم استطاعوا أن يصمدوا أكثر
من شهرين لجحافل يهود . . ولكن المأساة كل المأساة في موقف
الجيش العربي وجيوش الردع وقوات التصدي التي وقفت جميعها
تفترج على هذه المذبحة الرهيبة في لبنان وبيروت(*) . .
ولكن زمن الخيانة والتآمر قصير كما يقولون . . فالوزير ابن
العلقي الذي مهّد لهولاكو دخول بغداد ظاناً أنه بذلك يامن شره ويوطّد
سلطانه فإذا به يلقيّ جزاءه العادل على خيانتة فيقتله هولاً وهو يبصق
في وجهه . .
نعم إن مصير هؤلاء الخونة لن يكون أقلّ من مصير ابن العلقمي
بل أشدّ وما ذلك على الله ببعيد . . .

(*) وما هي المقاومة الصامدة في الأرض المحتلة تقوم بشورة سلاحها الحجارة وأبطالها
المغاوير الأطفال والشباب والنساء والشيخ . .
شعب أعزل لا سلاح معه سوى الحجارة يصمد أكثر من ثلاثة أشهر في ثورة عارمة
مستمرة شعارها الله أكبر . . والذل والعار لليهود . . والدول العربية تقابلها بالبرود
ومزيد من المطالبة بالاستسلام لليهود والبحث عن المؤتمر الدولي . . . ذلك السراب
الذي يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه خاب ظنه وخسر الدنيا والآخرة .

بلى . . إن مكرهم لتزول منه الجبال (*)

﴿وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه

الجبال﴾ .

صدق الله العظيم

يصف الله سبحانه وتعالى مكر اليهود والكافرين بأنه مكر مريع خطير تزول منه الجبال الثابت والشمم الرواسخ . . ويصفه سبحانه وتعالى بأنه المكر الكبير . . بل يصفه تعالى بصيغة المبالغة فيقول : ﴿ومكروا مكرًا كبيراً﴾ ويحدثنا القرآن الكريم في العديد من السور عن صفات اليهود ومكرهم وخبثهم ودهائهم ، ومعاداتهم لكل الأنبياء والمرسلين ، وتكذبيهم لهم وقتلهم إياهم ، وتحريفهم التوراة بعدما عقلوها . : وأكلهم السحت ومسارعتهم في الإثم والبغي والعدوان ، وأكلهم الربا وقد نهوا عنه ، ووصفهم بالجبن والذلة والصغار والهوان وسماهم المغضوب عليهم ، وأمر المؤمنين بأن يتلوا هذه السورة سبعة عشر مرة كل يوم في صلواتهم ويدعوا الله قائلين : ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم (وهم اليهود) ولا الضالين﴾ .

(*) نشر هذا المقال في مجلة الأمان (بيروت).

وهم لا يعيشون إلا بالكيد والدمس وإشعال نار الحروب والفتنة والفساد في الأرض وأكل أموال الناس بالباطل وأكلهم السحت . .
ويحدثنا القرآن الكريم عن قسوتهم وأنها أشد قسوة من الحجارة فيقول تعالى : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ ثم يوجه رب العزة الخطاب إلى النبي والذين آمنوا الذين يطمعون أن يهتدي أولئك اليهود إلى الإسلام بعدما عرفوه وعقلوه وعرفوا صدق النبي محمد ﷺ وتيقنوا من ذلك ، يقول تعالى : ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ .

ويصفهم الحق سبحانه بأنهم أول كافر بهذا الدين بعد معرفته معرفة يقينية حسداً من عند أنفسهم وبغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ * بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾ .

﴿ وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون ﴾ ليس ذلك فحسب ولكن يهود يعملون ليل نهار ليخرجوا المسلمين عن دينهم ليرجعوا كفاراً فيكونون سواء ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ . . ﴿ ما يؤد الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

ويحدثنا القرآن الكريم في أكثر من موضع وأكثر من سورة كيف قابلوا نعم الله عليهم بالكفر والجحود والعصيان ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإني آي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإني آي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون ﴾ .

﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون * ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكتنتم من الخاسرين * ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴾ .

ويحدثنا رب العزة عنهم بعد إذ أنجاهم من فرعون الذي كان يسيهم سوء العذاب ويذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم فإذا بهم بعد أن أغرقه الله أمام أعينهم ينكرون النعمة ويبطرون ويتجبرون ويقولون لموسى عليه السلام : ﴿ وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ويعبدون العجل . . بل لقد أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴿ قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ .

. . ويحدثنا عنهم كيف رفضوا أن يأخذوا الميثاق والعهد حتى نتقي الله . الجبل فوقهم كأنه ظلة ، فلما رآوه واقعاً بهم أخذوا العهد ثم نقضوه . . ويصف لنا كيف رفضوا أن يدخلوا القرية المقدسة وقالوا لموسى - عليه السلام - : إن فيها قوماً جبارين . وبكل صلف وغرور وجبن قالوا : ﴿ يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ . . فكتب الله عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة . . حتى يخرج جيل جديد لم يستمرىء الذل

والهوان . . فدخلوا بيت المقدس بعد جدال طويل مع نبيهم واعتراضهم على طالوت أن يكون ملكاً . . وشربهم من النهر بعد أن أمروا أن لا يشربوا منه إلا قليلاً منهم . . وبعد كل ذلك وانتصارهم على جالوت الجبار دخلوا بيت المقدس على أستاذهم يزحفون وهم يسخرون من أوامر ربهم بالسجود ﴿ وإذا قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين * فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون ﴾ .

ويصفهم الله سبحانه بأشنع الصفات وأقذرهما فيقول تعالى : ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرّ مكاناً وأضلّ عن سواء السبيل ﴾ وإذا جاءكم قالوا آمناً ، وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون * وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون * لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون * وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله ويسعون في الأرض فساداً ، والله لا يحبّ المفسدين ﴾ .

فقد بلغت بهم القحّة والتمرد والعصيان أن يقولوا عن رب العالمين ﴿ يد الله مغلولة ﴾ وأن يقولوا ﴿ إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ . . ويؤكد سبحانه وتعالى أنهم يسعون في الأرض فساداً ويشيرون الفتن والحروب

﴿كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

واليهود قومٌ بهت . . حتى لقد بلغ بهم الأمر أن يعادوا جبريل عليه السلام لأنه ينزل بالوحي على محمد ﷺ ﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾ من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدوٌ للكافرين .

ولا يكفي اليهود بكل ذلك بل يزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه
ويزعمون أن لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً وتبلغ بهم القحمة أن يبدلوا كلام الله من بعد ما عقلوه ويحرفوه ليشتروا به ثمناً قليلاً .

﴿ فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون ﴾ ﴿ ويقتلون الأنبياء بغير حق ﴾ فقد قتلوا زكريا - عليه السلام - ثم قتلوا ابنه يحيى - عليه السلام - ، وحاولوا قتل عيسى - عليه السلام - فرفعه الله إليه وطهره من كيدهم ورموا أمه مريم العذراء بالبهتان ، واتهموها بالزنا واقراف الفاحشة ولمَّا اختلفت الظروف عادوا وفرضوا على البابا وكنيسته أن يرثهم ممَّا زعموه وادعوه
لذلك كان موقف الأنبياء منهم هو اللعن ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

ويحذر الله المؤمنين منهم ويمنعنا أن نتوَدَّد إليهم ونَتَّخِذ منهم بطانة كما يريد أقوام يدعون الإسلام فيدعون إلى موادة أعداء الله قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

وموقفهم مع رسول الله ﷺ هو الخيانة المستمرة والكيد اللثيم . .
والحرب المستمرة حيناً والمعلنة حيناً آخر . . وقد كانوا من قبل ظهوره
يستفتحون على العرب بأنه قد أظلم زمان نبي وأنهم سيبعونه ويقتلون به
المشركين .

وعبد الله بن سلام أحد كبار أحبار اليهود الذي هداه الله للإسلام
وقف ذلك الموقف المشرف والخبير بأهله . . فقال للنبي ﷺ : يا رسول
الله إن اليهود قوم بهت ، ولكن اسألهم على الملاء عني ، فسألهم ،
فقالوا هو سيدنا وحبرنا . . فلما عرفوا إسلامه كذبوه وشتموه ولعنوه . .

كل هذا يوضح ذلك المكر الهائل الذي تزول منه الجبال .
واستمر مكر يهود في خيبر . . وفي أذرعَات في الشام بعد أن أجلاهم
عمر - رضي الله عنه - من جزيرة العرب . . واستغلوا الفرصة أيام
عثمان - رضي الله عنه - ، وكان لهم دور هائل في الفتنة الكبرى . .
وعبد الله بن سبأ رأس هذه الفتنة ومدبرها . . وكم لليهود وأعداء الله من
محاولات لهدم الإسلام ومن مؤامرات ومكر مع كل من يحاول أن يهدم
الإسلام . .

ودورهم في الكذب على رسول الله وتلفيق الأحاديث . . وإيجاد
الفرق الباطنية الخبيثة معروف لكل من درس تاريخ المسلمين . .

لقد مكروا مكراً كبيراً ، مكروا مكراً تزول منه الجبال . . ولكن الله
يخبر نبيه والمؤمنين أن كيد يهود والكافرين جميعاً في ضلال . . ﴿ وما
كيد الكافرين إلا في ضلال ﴾ وإن كيدهم لن يضر المؤمنين شيئاً .

نحن لا نخشى كيد يهود ومكرهم الذي تزول منه الجبال إذا كان
حبلنا بالله موصولاً وإيماننا قوياً . . لأن الله بعزته وقدرته وجلاله يقف مع
المؤمنين ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ .

عندئذ لا يقف مكرهم الخبيث أمام مكر الله ، ويحقيق المكر
السيئ بأهله ..

ليس من سبيل لمواجهة هذا المكر الهائل الذي تزول منه الجبال
إلا بالاستمسك بحبل الله المتين .. وإلا بتعرية هذا الكيد وهذا
المكر ..

ولقد استطاع المسلمون في معاركهم كلها التي انتصروا فيها أن
يتفوقوا على أعدائهم بقوة الإيمان .. أما قوة السلاح وكثرة العدد والعدة
فأمر لم يتحقق للمسلمين في أغلب معاركهم التي انتصروا فيها إن لم
نقل فيها جميعاً ..

ونرجو أن لا يرسل علينا أحد صعقاته الكهربائية لأننا أوضحنا مكر
يهود .. وأن لا يتهمنا بمعادة السامية التي ترعب كل من يحاول أن يظهر
كيد يهود ..

جميع الصحف والإذاعات والمجلات في بلاد المسلمين ما عدا
قلة تنتكب الحديث عن يهود وإذا تحدثت لوت الحديث إلى الصهيونية
العالمية !! وتحاول جهدها أن تفرق بين يهود وصهيون^(١) ..

لقد بلغ السيل الزبى وبلغت القحة منتهاها فجاء أقوام يتسمون
باسم المسلمين فدافعوا عن يهود ونفروا عنهم التهم التي ألصقها الله
ورسوله بهم .. ووصل الأمر كما هو معلوم في اتفاقية كامب دايفيد في
المادة الثالثة الفقرة الثانية أن تتعهد مصر بموجبها أن تحاكم كل من يقوم
في مصر بنشاط أو عمل من أعمال العنف أو الدعاية ضد إسرائيل أو
اليهود في أي مكان في العالم !! .. ووصل الأمر أن أعلن وزير التربية

(١) لقد أعلن بيجن وزعماء دولة إسرائيل أنه لا يوجد فرق بين الصهيونية واليهودية، وأن
الصهيونية حركة سياسية ودينية تابعة من اليهودية .. ولا فرق يذكر بينهما.

والتعليم في مصر أنَّ المناهج الدراسية ستعدل بحيث لا تحتوي على أي قدح في اليهود، وستلغى بذلك جميع الآيات التي تتحدث عن كيد يهود ومكر يهود وأعمال يهود من المناهج الدراسية^(١).

في هذا الوقت الذي يحرم فيه المسلم من كتابة رأيه في اليهود، وقد يمنع حتى عن تلاوة آيات من كتاب الله توضح كيد يهود ومكرهم .. تتوالى علينا الصدمات الكهربائية من بعض الكتاب .. وأين؟ في عقر دارنا وفي مجلتنا الإسلامية «الآمان». ويتموننا بأننا نبالغ في وصف كيد يهود .. فاليهود في رأيهم «ليسوا وراء الفتن والحروب والدمار والفساد في العالم» .. ولسنا ندري إن تبلغ بهم الجرأة إلى حدِّ إنكار ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿كَلِمًا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾. ولست أدري كيف سيرثون يهود من قتل الأنبياء وكيف سيحاولون أن يصفوا يهود الذين وصفهم القرآن بأقبح وصف، يهود الذين قالوا: إنَّ الله فقير ونحن أغنياء .. يهود الذين قالوا: يد الله مغلولة .. غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا. يهود أسُّ البلايا ورأس الخطايا .. مصاصي الدماء آكلي السحت .. ناشري الفساد في الأرض ..

إننا نطلب من المجلات الإسلامية .. وهي التي بقيت لنا بعد أن سيطر اليهود وأتباعهم على أجهزة الإعلام في كل مكان أن تبرا من الدفاع عن يهود ومحاولة تبرئتهم أو التخفيف من جرائمهم .. ونحن نعلم أن ما قيل مغلف باسم البحث عن الحقيقة .. وأنَّ التخفيف من كيد يهود يرفع حالة الرعب منهم ..

(١) هكذا كان الوضع عند توقيع معاهدة كامب دايفيد، ولكن الوضع تغير كثيراً بعد ذلك.

ونحن نرفض هذا المنطق لأنَّ المؤمن يعرف في جميع أحواله أنه قوي بإيمانه . . وأنَّ كيد يهود ومكرهم لن يضره شيئاً . . وأنَّ الله موهن كيد الكافرين . .

ولا حلَّ ولا جدوى في محاربة هذا الكيد بالتخفيف منه . . ولا بمحاولة حصره في الصهاينة دون اليهود . . بل إنَّ الحل هو في تعميق الإيمان وتعرية هذه المكائد المندسَّة بين صفوف المسلمين . . ولا بد من الثقة بالله ونصره . . والتصديق بما جاء في كتابه عن يهود وغيرهم . .

والمعركة مع اليهود قادمة . . والنصر للفتنة المؤمنة بإذن الله . . يقول المصطفى صلوات الله عليه : « تقاتلكم يهود فتقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله ، إلاَّ الغرقد فإنه شجر يهود » أخرجه البخاري ومسلم .

ولا ريب في أنَّ هذا اليوم سيأتي لأنه من أخبار الصادق المصدوق ، ولا ريب أنَّ يهود هم أعداء الله وأعداء الرسالات . . وأنهم جند إبليس وجند الدجال حين يخرج ومعه سبعون ألفاً من ذوي الطيالة اليهود كما في الحديث الذي أخرجه مسلم .

وسيقا تل آخر هذه الأمة الدجال والمؤمنون على الضفة الشرقية من نهر الأردن ، والدجال وأنصاره من اليهود على الضفة الغربية منه ، فيقتلهم المؤمنون قتلة لا تبقي منهم ولا تذر . . والغريب أنَّ راوي الحديث يقول : ولست أدري أين الأردن يومئذٍ من الأرض (الحديث رواه البزار وابن مندة والطبراني) . .

وها أنت ترى اليهود وقد ملكوا الضفة الغربية وعمَّا قريب سيستوطنونها ، وهم يسمونها منذ اليوم يهودا والسامرة . . موطن

السامري الذي أخرج لهم العجل ويعبدونه . . أو تراهم يتركون موطن
ذلك العبقري الذي قبض قبضة من أثر الرسول . . وجعل للعجل
خواراً . . يتيه به بنو إسرائيل .
ونصر الله آت . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . والله أكبر
والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

التوراة المحرّفة تدعو لإقامة المذابح ومنع السلام (*)

إن سياسة إسرائيل منذ التخطيط لقيامها في مؤتمر بال ١٨٩٧ م إلى إعلان قيامها عام ١٩٤٨ م وما صاحبها من مذابح مروّعة مثل « دير ياسين » و « قبية » ثم ما تلاها من مذابح ومجازر حتى مذابح « صبرا » و « شاتيلا » ، تعتمد اعتماداً كاملاً على نصوص التوراة المحرّفة وبالأخص على سفر يشوع (سفر المجازر) .

ولقد قرّر « بن جوريون » تدريس النصوص التوراتية التي تؤكّد حق إسرائيل المزعوم في أرض فلسطين والأردن ولبنان وأجزاء من سورية حتى حماة . . . وعلى تلك النصوص التي تطلب من إسرائيل طرد جميع سكان الأرض التي تدوسها أقدام إسرائيل . . . والأمر الرباني المزعوم بعدم السماح لأيّ من سكان تلك الأرض بالبقاء فيها والأمر بإقامة المذابح لتلك الشعوب وإبادتها إبادة كاملة عن بكرة أبيها ومن ذلك ما جاء في سفر العدد (الأصحاح ٣١ : ٧ - ١٩) من التوراة المحرّفة في قتال مدين (مديان) « فتجدوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر . وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم . . . وأحرقوا مدنهم بمساكنهم

(*) نشر هذا المقال في الشرق الأوسط (لندن - الرياض - نيويورك الخ) كما نشر أيضاً في مجلة المجتمع (الكويت) .

وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة والنهب من السلب والبهائم وأتوا إلى موسى . . . فخطَّ موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات . وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية ؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً مضاجعة .

وفي سفر يشوع الأصحاح السادس عند فتح أريحا « وحرّموا كل ما في المدينة ، من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف » (يشوع ٦ : ٢١) .

ويزعمون بأنّ الرب قال لهم : « ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرّمون المدينة بالنار » والمقصود بالمدينة (عاي) ويضيف الأصحاح الخامس من سفر يشوع بالتفصيل مذبحه عاي وكيف قتل يشوع وبنو إسرائيل جميع سكان عاي وجميع من شرد منها وجميع النساء والأطفال والأغنام والأبقار .

ثمّ تكرر نفس المذبحة الرهيبة بالنسبة لأورشليم وحبرون ولخيش وعجلون ومقيّدة كلها ضربها بحدّ السيف وحرّم كل نفس حية فيها فقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة . . . وهكذا فعل بلبنة وجازر وديسر وحرمون . . الخ .

ويعتقد كثير من الباحثين أنّ معظم تلك المجازر أسطورية ويمثلون لذلك باحتلال أريحا فهذا الاستيلاء مختلق من أساسه لأنّ علم الآثار كما يقول الأب دينو أثبت أنّ أريحا دمرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ولم يكن لها أيّ وجود في عهد يشوع وكما يقول جارودي :

« ومع هذا تستخدم هذه التلفيقات التاريخية في المدارس الإسرائيلية لتنمية التعصّب بين الشباب . ولقد قام العالم السيكولوجي ج . تاماران الأستاذ بجامعة تل أبيب بالتجربة التالية : وزع الأستاذ على أكثر من ألف تلميذ ابتدائي من الصف الرابع إلى الثامن (المرحلة الأولية

من الدراسة) حيث تدخل دراسة سفر يشوع في المنهج ، ورواية مذبحة أريحا التي قام بها يشوع . ثم سأل التلاميذ السؤال التالي : لنفترض أن الجيش الإسرائيلي احتل قرية عربية في الحرب فهل يفعل مع أهلها ما فعله يشوع مع أهل أريحا ؟ وتراوحت الإجابات بنعم بين ٦٦ بالمئة و ٩٥ بالمئة حسب المدرسة والمستعمرة (كيبوتز) والمدينة . ولما كشف هذا الاستطلاع الوجه الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي قامت الجامعة بفصل الأستاذ تاماران من قائمة أساتذتها .

وقد صرّح أحد الحاخامات في جيش إسرائيل أثناء غزو لبنان (صحيفة ها آرتس في ١٩٨٢/٧/٥) بما يلي : « علينا ألا ننسى أجزاء التوراة التي تبرّر هذه الحرب فنحن نوّدي واجبنا الديني بتواجدنا هنا (في أرض لبنان) . فالنص المكتوب يفرض علينا واجباً دينياً هو أن نغزو أرض العدو » .

ويقول روجيه جارودي معلقاً على نصوص التوراة المحرّفة التي تطالب بتوسيع أراضي إسرائيل وطرد جميع سكانها الأصليين وإبادة كل من يقاوم ، بناء على العهود والمواثيق التي قطعها الرب مع إبراهيم ثم إسحاق ثم إسرائيل (يعقوب) ثم موسى ويشوع . . إلخ يقول جارودي : « لهذا يظهر الحاخامات في إسرائيل حماساً جنونياً لتوسيع حدود إسرائيل باستمرار وبيرون كل المغامرات العسكرية الدموية ومجازر صبرا وشاتيلا » .

ولم يقتصر الحاخامات أثناء غزو لبنان على تشجيع الغزو ومباركته والسير في داخل الدبابات وهم يتلون التوراة المحرّفة بل قالوا بأن لبنان هي أرض عاشو (اسم قبيلة) التي أعطاها الرب لإسرائيل . واعتبروا أن تدمير مدينتي صور وصيدا ودكّ بيروت بالقنابل ومجازر صبرا وشاتيلا هي عمل ديني باركه الرب إله إسرائيل حيث أمر الرب يشوع بن نون بإبادة

جميع الكنعانيين والشعوب الأخرى القاطنة في فلسطين والأردن وسورية ولبنان . . وأمره بأن لا يترك طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة وأن يبيد الكل بما في ذلك البهائم . « اقتل أيمالك !! اقتل الكل الرجال والنساء والأطفال والرضع والأبقار والخراف والجمال والحمير !! » . وأبو مالك (أيمالك) هو ملك الفلسطينيين آنذاك وقال له : « حرم (أي اقتل) كل الحثيين والعموريين والفرزيين كما أمرك الرب » .

ويقول روجيه جارودي في كتابه إسرائيل الصهيونية السياسية :
« هذا التبرير التوراتي للقتل والإبادة . وهذا الإضفاء للشريعة على العدوانات المتتالية وضّم أرض الغير من جانب الدولة الصهيونية الحالية التي يقدّمونها على أنها الوريث الشرعي والامتداد الطبيعي لإسرائيل التوراتية ، يجعل اليهود يرضون ويقبلون ما لا يمكن قبوله عقلاً ، ويجعل كثيراً من المسيحيين يعتقدون بصحة بعض الأقوال الكاثوليكية وبصحة أقوال مدارس « الأحد » البروتستانتية وهم يسرون من غير وعي منهم على سنن الأسطورة الصهيونية (الموجودة في التوراة المحرّفة) التي أثبت علم التفسير (والآثار المتعلقة بالمنطقة) منذ قرن وبخاصة في السنين الأخيرة عدم صحتها وفنّدها تفنيداً » .

ويعتمد قادة إسرائيل على ما ورد في التوراة المحرّفة من أوامر الرب إلى إسرائيل ، بإقامة المذابح المروعة لجميع الساكنين في أرض كنعان وما حولها التي وعدّها الرب لإبراهيم ونسله من بعده إلى أبد الأبد .

وتقول التوراة المحرّفة سفر التثنية (الاصحاح ٢٠) :
« وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة بل تحرمها تحريماً (أي تقتل كل نفس فيها بما في ذلك الأطفال والشيوخ والنساء والبهائم) الحثيين والعموريين والكنعانيين

والفرزيين والهوريين والبيوسيين كما أمرك الرب إلهك » .
نعم هكذا . . حرب إبادة كاملة (جينوسايد) ومحارق
(هولوكوست) تتصاغر أمامها ما يُقال إن هتلر فعله باليهود .

فمذابح لبنان (كما يقول روجيه جارودي) وغيرها من المذابح
التي تقوم بها أو ستقوم بها إسرائيل هي نتيجة طبيعية ومنطقية وحتمية
لأيديولوجيتهم وللأساطير التي يؤمنون بها والموجودة فيما يسمّى العهد
القديم .

ولقد دعا بيجن وأنصاره إلى الحرب المقدّسة بتأييد الحاخامات
المتعصين . . واستشهدوا بالنصوص المتكررة في التوراة المحرّفة عن
شعب الله المختار . . « وإسرائيل الابن البكر للرب » تعالى الله عن ذلك
علواً كبيراً . . كما استشهدوا بالمجازر التي ادعوا كذباً وبهتاناً أنّ
موسى - عليه السلام - ويشوع وشاول وداود قاموا بها ضد الشعوب
الساکنة في فلسطين والأردن ولبنان وسورية .

وجاء في سفر صموئيل (الأصحاح الأول : ١٥) ما يلي :
« وقال صموئيل (النبي) لشاول (وهو طالوت الذي جاء ذكره في
القرآن) : إياي أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه إسرائيل (يدعى
الممسوح بالزيت مسيحاً) والآن فاسمع صوت كلام الرب : هكذا يقول
رب الجنود . إنّي افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في
الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّم (أي
اقتل كل نفس) كل ما لهم ولا تعف عنهم . بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً
ورضيعاً ، بقراً وغنماً ، حملاً وحماراً .

وتتكرّر قصة المذابح في التوراة حيث تزعم هذه التوراة المحرّفة
أنّ موسى قد قام بالمجازر أولاً ثم تبعه بعد ذلك يشوع بن نون ثم تبعهما
شاول (طالوت) ثم جاء داود وأقام المحارق كما يزعمون وأوقد الأتون

ورمى فيها جميع خصومه من نساء وأطفال وشيوخ ورضع وبهائم .
فإذا كان الأنبياء بهذه الوحشية عندهم فإن ما يفعله بيجن أو شارون
أو غيرهما من المجرمين يعتبر شيئاً تافهاً بالنسبة لتلك الجرائم السابقة .
وهم يعلنون صباح مساء أنهم يتقربون إلى الرب إنه إسرائيل بدماء هذه
الشعوب . . فهل يرجئ سلام مع إسرائيل؟؟
هل يرجئ سلام مع إسرائيل ونصوص التوراة المحرّفة تحذر
شعب إسرائيل من إجراء أي معاهدة سلام مع سكان أرض فلسطين وما
حولها .

« قال الرب : احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك
العموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والهوريين واليوسيين .
احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا
فخاً في وسطك . . . احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض » (سفر
التكوين الاصحاح ٣٤ : ١١ - ١٢) .

وفي سفر العدد (الاصحاح ٣٣ : ٥٠ - ٥٥) من التوراة جاء ما
يلي : « وكلم الرب موسى في عربات موآب على أردن أريحا قائلاً :
كلم بني إسرائيل وقل لهم : إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان . .
فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم . . تملكون الأرض وتسكنون
فيها . قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها . . وتقسمون الأرض بالقرعة
حسب عشائركم . . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون
الذين تستبقون منهم أشواكاً في أعينكم ومناخس في جوانبكم
ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها » .

وتحدّد التوراة المحرّفة حدود إسرائيل بصور مختلفة فتارة تُسع
وتارة تضيق نسبياً وأحياناً تكون الحدود مطاطة حسب قدرة جيش
إسرائيل . . فقد جاء في سفر التثنية (الاصحاح ١١ : ٢٣ - ٢٦) ما

يلبي : « يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوباً أكبر منكم وأعظم منكم . كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم . من البرية ولبنان . . . من النهر ، نهر الفرات إلى البحر الغربي (هل هونهر النيل كما ورد في مواضع أخرى أم البحر الأبيض المتوسط ، كما دلّت عليه عبارات أخرى من التوراة ؟) يكون تخومكم . لا يقف إنسان في وجهكم . الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم » .

وجاء في سفر التثنية أيضاً (الإصحاح ٢٠ : ١٦ - ١٨) « وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق فيها نسمة بل تحرمها تحريماً (أي تبعد من فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني) الحثيين والعموريين والكنعانيين والفرزيين والهوريين واليوسيين كما أمرك إلهك » .

ويوضح لهم الرب حسب زعمهم الفرائض التي ينبغي أن يعملها شعب إسرائيل . وأهمها جميعاً «تخربون جميع الأماكن» سفر التثنية (الإصحاح ١٢ : ١ - ٢) : قال الرب : هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها ، الأرض التي أعطاك الرب إنه آباتك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض تخربون جميع الأماكن» .

وجاء في سفر التثنية الإصحاح ٧ (من أوله لآخره) : « متى أتى الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجاشيين والعموريين والكنعانيين والفرزيين والهوريين واليوسيين . سبع شعوب أكثر وأعظم منك . ودفعهم الرب أمامك وضربتهم فإنك تحرمهم (أي تبعد كل نفس فيها من الرضيع إلى الشيخ ومن الرجل إلى المرأة وجميع البهائم) . لا تقطع معهم عهداً ولا تشفق عليهم . . لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك .

إنيك قد اختار الرب لتكون له شعباً . . أخصّ من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض . . مباركاً تكون فوق جميع الشعوب . . وتأكل كل الشعوب . . وتأكل كل الشعوب الذين الرب إنهمك يدفع إليك . لا تشفق عينك عليهم ولكن الرب إنهمك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك قليلاً قليلاً (هذه هي سياسة إسرائيل منذ أن قامت) لا تستطيع أن تفنيهم سريعاً لثلاً تكثر عليك وحوش البرية . ويدفعهم الرب إنهمك أمامك ويوقع بهم اضطراباً عظيماً حتى يفتنوا ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء . لا يقف إنسان في وجهك حتى تفنيهم» .

وهكذا تتضح معالم سياسة إسرائيل القتل والسفك والذبح لكل سكان فلسطين وما حولها . . دون وجود حدود دائمة . . حيثما وطئت أقدامك يا إسرائيل فهي أرضك . . وبما أنك لا تستطيع أن تبيد جميع الشعوب دفعة واحدة فإن الرب إنهمك . . إله إسرائيل سيدفعهم ليديك ويطردهم من أمامك قليلاً قليلاً . . لكن الحذر أن تشفق على أحد منهم . . الحذر الحذر أن توقع معهم عهداً . . لا سلام . . لا سلام ولا عهد مع هذه الشعوب حتى تبيدها جميعاً . . ولا يبقى في أرضك منهم إنسان واحد . . فهل يطمع العرب بعد هذه التعليمات التوراتية الواضحة بسلام مع إسرائيل؟؟

سفر يشوع (سفر المجازر) وسياسة إسرائيل (*)

يعتبر سفر يشوع سفر المجازر . ويشوع هو يوشع بن نون فتى موسى وأحد أنبياء بني إسرائيل ولكنَّ التوراة المحرَّفة تفتري عليه الكذب كما افترت من قبل على إبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون .

ويبتدىء سفر يشوع من الأصحاح الأول بوعد من الرب بإعطائهم أرض الشعوب القاطنة في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا . . ثم أوامر من الرب بإقامة المذابح المتتالية .

ففي الإصحاح الأول ١ - ٧ جاء ما يلي :

« كَلَّمَ الرَّبُّ يَشُوعَ بْنَ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلًا : مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ . قُمْ عَبْرَ هَذَا الْأَرْضِ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ . كُلُّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ أَقْدَامُهُ لَكُمْ أُعْطِيْتَهُ (هَكَذَا دُونَ تَحْدِيدِ أَيِّ حُدُودٍ لِدَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ) مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلِبْنَانَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفِرَاتِ . جَمِيعَ أَرْضِي الْحِيثِيِّينَ وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تَخْوِمِكُمْ لَا يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ » .

وفي الإصحاح السادس من سفر يشوع يسقط سور أريحا بمجرد هتاف إسرائيل ونفخ البوق وتبدأ المجزرة قال الرب حسب زعمهم

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع الكويتية .

« فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب (أي إبادة بياد) راحاب الزانية فقط تحيا وكل من معها في البيت لأنها قد خبأت الجاسوسين . .
« وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف . واحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها . .
وحلف يشوع في ذلك الوقت ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة » .

وفي الإصحاح الثامن سفر يشوع « قال الرب ليشوع : قم واصعد إلى عاي انظر قد دفعت بيدك ملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه . وتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها غير أن غنيمتها وبهائمها تنهبونها لنفوسكم » .

« وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل وفي البرية حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف . فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً ، جميع أهل عاي . ويشوع لم يرد يد التي مدها بالمزارق حتى حرّم جميع سكان عاي (أي قتل جميع السكان بما في ذلك النساء والأطفال) لكنّ البهائم وغنيمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع . وأحرق يشوع عاي وجعلها تلاً أبدياً خراباً إلى هذا اليوم » .

وتتوالى المجازر في أورشليم ولخيش وعجلون وجبرون ويرموت . . وجاء سكان جعبون وسلموا أنفسهم لإسرائيل « ورضوا بأن يكونوا لهم عبيداً أبد الدهر » كما تقول التوراة المحرّفة ومع هذا رفض يشوع بن نون هذا العرض لولا أن سكان جعبون ادعوا أنهم من أماكن بعيدة وليسوا ثياباً رثة وجعلوا على أنفسهم آثار السفر البعيد . . وقد علّل يشوع ذلك الرفض بأنّ الرب أمره وأمر إسرائيل بعدم الصلح مع سكان

أرض فلسطين وما حولها .

ثم قام يوشع وأخذ مدينة مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف وحرّم ملكها هو وكل نفس بها لم يبق شارداً كما تقول التوراة (لسفر يشوع) ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه إلى لينة وحارب لينة فدفعتها الرب ليد ابنه البكر إسرائيل (لعنة الله على اليهود) فضربها يشوع بحد السيف وكل نفس بها . لم يبق بها شارداً ولا طفلاً ولا شيخاً ولا رجلاً ولا امرأة . حسب أوامر الرب فعل يشوع . . هكذا تقول التوراة المحرفة .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لينة إلى لخيش فدفع الرب إليه إسرائيل لخيش بيد إسرائيل فضربها بحد السيف وكل نفس بها حسب ما فعل بكل المدن السابقة . حينئذٍ صعد هورام ملك جازر لإنقاذ لخيش . . وضربه يشوع مع شعبه حتى لم يبق له شارداً .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لخيش إلى عجلون فضربوها بحد السيف . وحرّم كل نفس بها حسب كل ما فعل بلخيش ولينة وأريحا .

ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها . . من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني . . لم يبق شارداً . . حرّمها يشوع حسب أوامر الرب إنه إسرائيل !!

ثم رجع يشوع إلى دبير وحاربها وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربها بحد السيف وحرّم كل نفس بها لم يبق شارداً .

« فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوكها . . لم يبق شارداً بل حرم كل نسمة كما أمر الرب إنه إسرائيل فضربهم يشوع من قادش برتغ إلى غزة وجميع أرض جوشن إلى جعبون وأخذ يشوع جميع أولئك الملوك وأرضهم دفعة واحدة لأن الرب إنه

إسرائيل حارب عن إسرائيل ، ثم رجع يشوع وجميع إسرائيل معه إلى المحلّة إلى الجلجال .

واستمرّ يشوع في إقامة المجازر كما تزعم التوراة طوال حياته فما كاد ينتهي من هذه المناطق التي ذكرتها التوراة المحرّفة حتى انطلق إلى حاصور التي ضربها بحد السيف وحرّمها بحيث لم تبقَ بها نسمة . وأحرق يشوع حاصور بالنار كما فعل بالمدن السابقة أريحا وعاي . الخ . ولكن يشوع لم يحرق المدن القريبة من حاصور والواقعة على التلال بل اكتفى بقتل كل نفس فيها . . النساء مع الرجال والأطفال مع الشيخ !! (يا لها من رحمة !!) .

فأخذ يشوع حسب قول التوراة المحرّفة كل تلك الأراضي الجبل وكل الجنوب وكل أرض جوشن والسهل والعربة وجبل إسرائيل وسهله من الجبل الصاعد إلى سعير إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون . وأخذ جميع ملوكها وضربهم بحد السيف لم يبقَ بها شاردةً ولا أبقى على نفس بها .

« وجاء يشوع وقرض (أي أباد) العناقين من الجبل من حبرون ومن دبير ومن عناب ومن جميع جبل يهوذا ومن كل جبل إسرائيل . حرّمهم يشوع مع مدنهم فلم يبقَ عناقيون في أرض إسرائيل لكن بقوا في غزة وأشودود . فأخذ يشوع كل الأرض حسب ما كلّم به الرب موسى وأعطاهما يشوع ملكاً لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم . واستراحت الأرض من الخراب » (سفر يشوع الإصحاح ١١) .

وشاخ يشوع ورغم الحروب الكثيرة التي قام بها إلا أنه لم يمتلك كل أرض فلسطين ولبنان والأردن وسوريا . وقال له الرب : « قد بقيت أرض كثيرة للامتلاك . هذه هي الأرض الباقية كل دائرة الفلسطينيين وكل الجشوريين من الشيحور الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون شمالاً . .

من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين إلى أفيق تخم
الأموريين وأرض الجبلين وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد
تحت جبل حرمون إلى مدخل حماة جميع سكان الجبل من لبنان إلى
مسرفوت مايم ، جميع الصيدونيين . أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل .
إنما أقسمها بالقرعة لإسرائيل ملكاً كما أمرتك » . (سفر يشوع
الإصحاح ١٣ : ١ - ٦) .

وفي الإصحاح ٢٣ من سفر يشوع قام يشوع سلفاً بتقسيم الأراضي
التي لم يحتلها بعد على أسباط بني إسرائيل « انظروا قد قسمت لكم
بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً لكم حسب أسباطكم من الأردن
وجميع الشعوب التي قرضتها والبحر العظيم نحو غروب الشمس .
والرب إلهكم هو يفيهم من أمامكم ويطردهم من قدامكم فتملكون
أرضهم كما كلمكم الرب إلهكم » .

وقد تعمق لدى اليهود وخاصة في العصور الحديثة أحقيتهم في
استلاب أرض الغير وإبادتهم دون رحمة أو شفقة لأن تلك هي تعاليم
الرب إله إسرائيل . فقد صرحت جولدا مائير في ١٥ أكتوبر ١٩٧١
لصحيفة لوموند الفرنسية « وجد هذا البلد (أي إسرائيل) تنفيذاً لوعده
الرب ذاته . ولهذا لا يصح أن نسأله إيضاحاً عن شرعية هذا الوجود » .
ويقول موشي ديان في الجيروزاليم بوست عدد ١٠ أغسطس ١٩٦٧ « إذا
كنا نملك الكتاب المقدس وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فينبغي أيضاً
أن نمتلك أيضاً بلاد التوراة (وهي الأسفار الخمسة من العهد القديم)
بلاد القضاة (وهو أحد أسفار العهد القديم) . أرض أورشليم وحبرون
وأريحا وأماكن أخرى كثيرة » .

ويقول منحيم بيغن لصحيفة دافار في ١٤ ديسمبر ١٩٧٨ « لقد
وعدنا الله هذه الأرض ولنا كل الحق فيها» . . وتصرح جولدامائير

للسنڊاي تايمز اللندنية في ١٥ يونيه ١٩٦٩ بالآتي : « لا وجود للفلسطينيين . . ليست المسألة أننا أتينا وطردهناهم وأخذنا بلادهم ، لا . . إنهم لم يوجدوا أصلاً . والتوراة شاهد على ذلك فالوعد بهذه الأرض من الرب لنا منذ عهد إبراهيم » .

ويبدو تأثير التعاليم التوراتية المحرّفة واضحاً أشد الوضوح في تصريحات زعماء إسرائيل منذ تكوينها وهي سياسة دولة إسرائيل منذ قيامها . .

وعندما وجه آينشتاين (وهو يهودي) إلى وايزمان (أحد كبار قادة الصهيونية العالمية) قائلاً له : وما هو مصير العرب إذا ما أعطيت فلسطين لليهود؟ فردّ عليه وايزمان : من هم أولئك العرب . إنهم لا شيء »^(١) .

وكتب أول وزير للتعليم في إسرائيل بيريون دينور : « ليس في بلادنا مكان إلا لليهود . وستقول للعرب ارحلوا فإن لم يرضوا بذلك وعمدوا إلى المقاومة فسنرحلهم بالقوة »^(٢) .

وكتب جوزيف فايتز مدير إدارة الاستيطان غداة حرب يونيه ١٩٦٧ « من الواضح أنه لا مكان في هذه البلاد لشعبيين . والحل الوحيد هو إسرائيل اليهودية التي تضم على الأقل إسرائيل الغربية (الضفة الغربية لنهر الأردن) بلا عرب . ولا مخرج إلا بنقل العرب إلى مكان آخر في البلدان المجاورة » .

(١) نقلاً عن كتاب روجيه جارودي اسرائيل الصهيونية السياسية وقد نقل هو ذلك عن كتاب

مستقبل الشرق الأوسط ص ٣٤١ PERSPECTIVE MIDDLE EAST .

(٢) تاريخ الهاجانة نشر المنظمة الصهيونية العالمية . . نقلاً عن رجاء جارودي « اسرائيل الصهيونية السياسية » .

وقد صرَّح بيغن وشارون وبيريز مراراً وتكراراً أن الضفة الغربية هي يهودا والسامرة ولا يمكن مطلقاً التنازل عن أرض هي يهودية بمقتضى أوامر الرب . . والرب قد أمر مراراً وتكراراً (في التوراة المحرَّفة) بطرد جميع سكان هذه الأرض من وجه إسرائيل وإلاً وجب قتل كل نفس فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني .

وقد قام الكاتب الأمريكي الساخر المشهور مارك توين (وهو يهودي) بترويج فكرة (شعب بلا أرض وأرض بلا شعب) أي إنَّ الشعب اليهودي الموجود في الشتات (ديانسورا) ينبغي أن يسكن أرض فلسطين التي لا يوجد فيها أي شعب . وهو كذب مفضوح إذ إنَّ الشعب العربي في فلسطين كان يشكِّل أكثر من ٨٠ بالمئة من سكان فلسطين حتى لحظة إعلان دولة إسرائيل وقرار التقسيم .

ولكنَّ هذه الأكاذيب تنظلي على الغربيين . . ويستخدم اليهود بذلك أساطير العهد القديم (التوراة المحرَّفة) التي يؤمن بها النصارى حتى إن كثيراً من النصارى يؤيدون إسرائيل بسبب ما يتلى عليهم من أسفار العهد القديم .

ولهذا نجد بعض كبار رجال الدين المسيحي مثل الكاتب الكاثوليكي جاك مارتان يقولون : فلسطين هي الأرض الوحيدة التي ثبت ثبوتاً مطلقاً وثبوتاً إلهياً أنها لشعب معين (هم اليهود) حق لا ينازع فيها^(١) .

وتقول رسالة اللجنة الأسقفية الفرنسية في ١٦ إبريل ١٩٧٥ تحت عنوان : « إرشاد يتعلَّق بموقف المسيحيين من اليهودية : النقطة الخامسة » : « لا يمكننا أن ننسى بصفتنا مسيحيين أن الرب قد وهب في

(١) روجيه جارودي : اسرائيل الصهيونية السياسية ص ١٠٢ .

الماضي شعب إسرائيل أرضاً ليتلاقى عليها»^(١) .
وتقوم في الولايات المتحدة حملات منظمة في الكنائس لدعم
مواقف إسرائيل وتبرير ذلك بما جاء في العهد القديم .
وقد بلغ الأمر أن تكونت لجان من بعض رجال الدين والأثرياء
المتدينين في الولايات المتحدة تجمع التبرعات الضخمة لهدم المسجد
الأقصى . . وليبنى على أنقاضه هيكل سليمان . . لأن المسيح لا يظهر
إلا عند قيام الهيكل !!

إن سياسة إسرائيل تقوم على نصوص توراتية تدعو إلى طرد جميع
سكان الأرض التي تطؤها أقدام إسرائيل وتحرم تحريماً تاماً توقيع أي
معاهدة سلام مع سكان تلك الأراضي . وتدعو بالحاح إلى إقامة المذابح
والمجازر لهذه الشعوب وإبادتها إبادة كاملة بما في ذلك النساء والشيوخ
والأطفال بل وحتى البهائم من الأبقار والأغنام والحمير تجب إبادتها
وقتلها إذا ما دفعها الرب إنه إسرائيل ليد ابنه البكر (إسرائيل) فهل
يرجى سلام مع إسرائيل ؟؟

(١) المصدر السابق .

لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم (*)

جاءني أحد الأصدقاء وقال : قرأت اليوم حديثاً لرسول الله ﷺ
أشكل عليّ .

قلت : ما هو ؟

قال : قوله ﷺ : « لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز
اللحم (أي يتن) » .

قلت : وأنا مثلك . . وإنما العلم بالتعلم فرجعنا إلى كتب
الحديث ووجدنا الحديث قد أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
والإمام أحمد في مسنده وعدت إلى فتح الباري شرح صحيح البخاري
للإمام ابن حجر العسقلاني فوجدته يقول :

(يخنز اللحم إن يتن والخنز التغير والتن . قيل أصله أن بني
إسرائيل ادّخروا لحم السلوى وكانوا نهوا عن ذلك فعوقبوا بذلك . حكاه
القرطبي وذكره غيره . وقال بعضهم معناه لولا أن بني إسرائيل سنوا
ادّخار اللحم حتى أنتن لما ادّخر فلم يتن . وروي أبو نعيم في الحلية
عن وهب ابن منبه قال : في بعض الكتب : لولا إنّي كتبت الفساد على
الطعام لخزنه الأغنياء من الفقراء .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة المنورة (جدة).

وهذا الحديث الشريف يوضح مع غيره من الآيات القرآنية الكثيرة والأحاديث التي جاءت في يهود طبيعتهم الجاسية وقلوبهم القاسية ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ .

وهم يهود الذين ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ .

وهم يهود الذين ﴿أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ .

وهم الذين ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ .

هؤلاء هم يهود عباد الذهب وقتلة الأنبياء والمرسلين أعداء الله وأعداء رسله وملائكته ﴿من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ .

وهم الذين وصف الله عنادهم واستكبارهم مع جنهم وخستهم ودناءتهم .

﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ .

﴿ بسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فإؤوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين﴾ . ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وإؤوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ .

هؤلاء هم يهود الذين أصبحنا نحن المسلمون نتخاذل أمامهم
ونستخذي تحت أقدامهم ونتوجه يمنة ويسرة ليحمونا منهم . . ونسارع
في مرضاتهم ونبذل ماء وجوهنا وتمرغ كرامتنا في سبيل السلام معهم . .
أي سلام ينتظر مع يهود . وأي عهد وفى به أو سيفي به يهود . .
وهم الذين يحرفون كلام الله وينقضون ميثاقه . . حتى رفع فوقهم جبل
الطور ومع هذا انحرفوا وزاغوا ونقضوا ميثاقهم وعهدهم ﴿ وإذ أخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم
تتقون ﴾ ثم توليتم من بعد ذلك ﴿ .

﴿ فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ .
﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة
منهم إلا قليلاً منهم ﴾ .

ولا يزال المسلمون في كل زمان يطلعون على خائنة من هؤلاء
اليهود الذين لعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . . .
فكيف نواليهم وكيف نوادهم وكيف نطلب السلام معهم . .
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً
ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد
بيناً لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ .

وقد نشرت الصحف بعض هذا الخبال الذي أصيب به الذين
استسلموا لليهود ووثقوا بهم وما هو المصري الساذج سمير حنفي يسمي
ابنه بيجن وتتناقل وكالات الأنباء صور الأب الغبي الذي أصيب بالخبال
مع طفله الذي سمي بيجن مع صورة المجرم العتيد بيجن وهو يتسم
للطفل كما تفعل الرقطاء ناعمة الملمس شديدة الفتك شيمتها الغدر .

فإلى متى يظهر فينا كل يوم مثل حنفي الذي أصابه الخيال . .
بسبب سياسة التطبيع والسلام مع من لا يعرف السلام . . والاطمئنان
إلى عدوّ غادر لا عهد له ولا موثيق ولا إيمان .
إنّ السلام مع هذا العدو الماكر الخبيث هو نوع من الخيال الذي
قد أخبرنا الله عنه بأنهم يسعون لإيقاعنا فيه ﴿ لا يالونكم خيالاً ودوا ما
عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم
الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ .
فهل فينا من يعقل ؟ أرجو . .

متى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله؟ (*)

في زخم هذه الأحداث المبكية المفجعة حيث تتوالى الكوارث على المسلمين وآخرها مأساة الفلسطينيين في لبنان وما يتعرضون له من حرب إبادة حقيقية من قبل القوات اليهودية بمشاركة الميليشيات الصليبية المارونية ووقوف قوات الجيش اللبناني وقوات الصمود والتصدي بدون صمود ولا تصد للقتال الإسرائيلية حتى نقلت وكالات الأنباء صراخ المسؤولين الفلسطينيين وكمدهم وهم يبحثون عن قوات الصمود والتصدي فإذا بها تنسحب بسرعة لتدكها الطائرات والمدافع الإسرائيلية ثم تعلن بعد يوم واحد عن توقفها عن القتال . . كما نقلت وكالات الأنباء كيف استقبلت القرى المارونية الكتائبية جنود الاحتلال الإسرائيلي بالأهزيج والورود وكيف رفضت قوات الجيش اللبناني الاشتراك في أي معركة للدفاع عن لبنان ضد القوات الإسرائيلية الغازية .

أقول في زخم هذه الأحداث المفجعة والكوارث المبكية والمآسي التي لم يشهد لها تاريخ العرب والمسلمين مثيلاً (سوى ما أحدثه جنكيز خان وهولاكو من دمار عابر انقلب بعده أحفاده إلى الإسلام يذودون عن حياضه ويرفعون رايته) . تبرز الأحاديث النبوية الشريفة مبشرة ببزوغ

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة المنورة (جدة).

فجر قريب يزيع هذه السجف من الظلام المطبق الكثيف . ففي كتاب
الجهاد والسير باب قتال اليهود من كتاب صحيح البخاري . . جاءت
الأحاديث الشريفة التالية :

١ - « تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول : يا
عبد الله . هذا يهودي ورائي فاقتله » .

٢ - « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود وحتى يقول الحجر وراءه
يهودي : يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله » .

قال الإمام ابن حجر العسقلاني في « فتح الباري شرح صحيح
البخاري » ، وهو إخبار بما يقع في مستقبل الزمان ؛ وتحدث عن تاء
المخاطب في قوله تقاتلون اليهود بأن المقصود بذلك ليس الصحابة قطعاً
وإنما المقصود بذلك المسلمين في مستقبل الزمان ثم قال : « وفيه إشارة
إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى - عليه السلام - فإنه الذي يقاتل
الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال على ما ورد من طرق
أخرى » .

ويقول ابن حجر أيضاً في باب النبوة (فتح الباري شرح صحيح
البخاري) ما يلي :

«وعلى هذا فالمراد بقتال اليهود وقوع ذلك إذا خرج الدجال ونزل
عيسى » وكما وقع صريحاً في حديث أبي إمامة ونزول عيسى وفيه « وراء
الدجال سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى فيدركه عيسى عند باب
لد (ولد الآن هي مطار تل أبيب) فيقتله وينهزم اليهود فلا يبقى شيء مما
يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء فقال : يا عبد الله يا مسلم هذا
يهودي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنها من شجرهم ! » .

وفي صحيح مسلم نجد هذا الحديث بألفاظ قريبة من ألفاظ
البخاري حيث روي بلفظ : « لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول

الحجر : يا مسلم . هذا يهودي فتعال فاقتله . »

ويلفظ تقتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله ويلفظ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر . فيقول الحجر والشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود . »

قال الإمام النووي : الغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس وهناك يكون قتل الدجال واليهود .

وروى البزار بسند حسن وابن منده والطبراني قوله ﷺ :

« لتقاتلن المشركين حتى يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن أنتم شرقيه وهم غربيه . » قال راوي الحديث ولا أدري أين الأردن يومئذ من الأرض .

من هذه الأحاديث الصحيحة لأشرف الخلق وأصدقهم نستخلص ما يلي :

١ - إن المسلمين سيقاتلون اليهود في مقتلة عظيمة وسيقتلونهم ويبيدونهم إبادة تامة وذلك بعد ظهور اليهود واستعلائهم في الأرض . . وهذا من دلائل النبوة فقد كان اليهود آنذاك أذل الأمم وأضعفهم وأحقرهم . . وكانوا خلال تاريخهم الطويل مثلاً للذلة والمسكنة . . ولم تقم لهم دولة ولا كيان منذ عهد سليمان - عليه السلام - حتى العصور الحديثة حيث ظهر لليهود دولة وكيان .

٢ - إن الذين سيقاتلون اليهود ويهزمونهم لن يقاتلوا تحت راية وطنية ولا تحت راية قومية ولا راية اشتراكية ولا يريدون إقامة دولة علمانية وإنما الذين يقاتلون اليهود (وليسوا الصهاينة كما تردّد أجهزة الإعلام العربية التي تتحدّث عن احترامها البالغ لليهود وكرهها للصهاينة

فحسب) هم أولئك الذين يقاثلونهم بصفة واحدة عبر عنها الحجر والشجر يقول : يا مسلم يا عبد الله .

وهم أولئك الذين وصلت درجة إيمانهم إلى هذا المستوى الرفيع الذي استحقوا فيه تكريم الله لهم وتسخير الحجر والشجر ليكلّمهم ويحدثهم بوقع اليهودي يختبئ وراءه .

وذلك يذكرنا بما كان يقوله الصحابة - رضوان الله عليهم - من سماعهم لتسيح الحجر والطعام في أيديهم .

٣ - لا بد للوصول إلى هذه المرحلة العالية من الإيمان من وجود جيل رباني ينشأ على مائدة القرآن ويترنّى بسنة الرسول - صلوات الله عليه وعلى آله وصحابه - ويهتدي بهديهم ويسير على طريقتهم ويتبع آثارهم ويقتدي بأفعالهم وأقوالهم .

٤ - نحن لا نشك مطلقاً في صدق رسول الله ﷺ وصدق ما أخبر به . . ونرى بوادر الصحة الإسلامية بين الشباب في مختلف أرجاء الأرض دلالة على أن الجيل القادم سيكون بإذن الله خيراً من الجيل الحالي . . والجيل الذي سيليه سيكون إن شاء الله خيراً ممّا سلف من أجيال التيه والضياع .

ولا شك أنهم سيواجهون حرباً ضرورياً من أعداء الإسلام سواء كانوا يهوداً أم نصارى أم من عباد الأوثان أم من أولئك الذين وصفهم لنا رسول الله ﷺ بأنهم من جلدتنا ويتكلمون بلساننا وهم من ألد أعدائنا . ونحن على ثقة بأن نصر الله أت وأن نصر الله قريب متى استكملت شروط النصر وهو أن يكون الجهاد في سبيل الله لا في سبيل راية عمية ولا في سبيل دولة علمانية ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ . والله ناصر جنده وغالب على أمره .

هل بدأ العدّ التنازلي لسيطرة إسرائيل على أمريكا(*)

بعد أن تفاعلت قضيتا إيران جيت والجاسوس اليهودي الأمريكي جوناثان بولارد ، ظهرت لأعين بعض الأمريكيين على الأقل بشاعة التدخل الإسرائيلي في السياسة الأمريكية ، وعدم مصداقية الروابط الوثيقة مع إسرائيل رغم ما تبذله الولايات المتحدة على كافة المستويات والأصعدة في دعم الكيان الإسرائيلي .

ويبدو أنه من السابق لأوانه الاعتقاد بأن العدّ التنازلي لسيطرة إسرائيل على أمريكا قد بدأ بالفعل . فالسيطرة الصهيونية على مختلف أجهزة الرأي العام والكونجرس لا تزال قوية وفعّالة . . ولعلّه من التفاؤل قبل الأوان احتساب هذه الظاهرة الجديدة المستنكرة للسيطرة اليهودية على مقدرات الشعب الأمريكي والتدخلات الإسرائيلية المستمرة في رسم السياسة الأمريكية ، واعتبار هذه الظاهرة الصحية دلالة على بداية انقشاع عهد الهيمنة الصهيونية على مقدرات السياسة الأمريكية .

ولكنّ هناك ظواهر مفيدة لا يمكن إغفالها في فهم الأمور المعقّدة على الساحة السياسية .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة الشرق الأوسط (لندن - الرياض . . . إلخ) .

الشخصية اليهودية :

وأول مفتاح لفهم هذه القضايا المتشابكة حول علاقة اليهود بالسياسة العالمية وعلى وجه خاص السياسة الأمريكية هو فهم الشخصية اليهودية القلقة المتناقضة والتي ترى اليهودي أفضل الأمم ومع ذلك تشعر بمدى المهانة والحقارة التي تعيش فيها . والتلمود والعهد القديم (التوراة) مليئان بوصف هذه الشخصية التي تعتقد في نفسها أنها صفوة البشر ومن ذلك ما جاء في التلمود .

« كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل » « الأجانب أي غير اليهود كالكلاب والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب ولا للكلاب والكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب ، وليس له أن يطعم الأجنبي وأن يعطيه لحماً بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه » .

« الإسرائيلي معتبر عند الله كالملائكة . وإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت . . والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهودي وباقي الشعوب والخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة . وقد خلق الله الأجنبي على هيئة إنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا من أجلهم » .

ومع كثرة النصوص التوراتية والتلمودية التي تجعل إسرائيل إبن الإله البكر إلا أن هذا الابن البكر المحبوب يتكبر ويطنغي ويعبد العجل والبعليم والآلهة الكثيرة . يقول الرب في سفر أرميا : « هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل . انطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك . فقلت بعدما فعلت كل هذه (القبائح) ارجعي إليّ ، فلم ترجع . فرأت أختها الخائنة يهوذا . . . وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض وزنت مع الحجر والشجر » الإصحاح ٣ .

وفي الإصحاح ١٩ من سفر أرميا أيضاً : « اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم . هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل . هأنذا جالبٌ على هذا الموضع شراً . . من أجل أنهم تركوني وأنكروا هذا الموضع . وبيخروا فيه لآلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أبائهم ولا ملوك يهوذا . وملاؤا هذا الموضع من دم الأذكياء . وبنوا مرتفعات للبعل (أحد الأصنام المنتشرة سابقاً في لبنان وما حولها) ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل » . . وفي موضع آخر من نفس السفر يقول الرب « لأنَّ الأنبياء (الكذبة) والكهنة تنجسوا جميعاً بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب لذلك يكون طريقهم كمزالق في ظلام دامس فيطردون . . تنبأوا بالبعل وأضلُّوا شعبي إسرائيل . وفي أنبياء أورشليم (الكذبة) رأيت ما يقشعر منه : يفسقون ويسلكون بالكذب . . ويشدِّدون فاعلي الشر حتى لا يرجعوا الواحد عن شره صاروا لي كلهم كسدوم وسكانها كعامورة (سدوم وعامورة هي قرى لوط التي خسف الله بها) . . من عند أنبياء أورشليم (الكذبة) خرج نفاق في كل الأرض . هكذا قال رب الجنود لا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم فإنهم يجعلونكم باطلاً . . قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب . . » .

ومع هذا ورغم كل الجرائم التي فعلتها إسرائيل إلا أنَّ الإله كما تصوره التوراة المحرَّفة يظل متمسكاً بابنه البكر إسرائيل الذي يجعله فوق الأمم جميعاً . . ويجمع الرب إسرائيل من أشتات الأرض إلى أورشليم فيحكموا العالم . . « ويجمع (الرب) منفي إسرائيل ويضمُّ مشتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض . فيزول حسد أفرايم (أحد أسباط بني إسرائيل) وينقرض المضايقون من يهوذا . أفرايم لا يحسد يهوذا ويهوذا لا يضايق أفرايم . وينقضان على أكتاف الفلسطينيين غرباً . وينهبون

بني المشرق معاً يكون على أدوم وموآب (في الأردن حالياً) امتداد
يدهما وبنو عمون (في الأردن كذلك) طاعتها . وييد الرب لسان بحر
مصر ويهزّ يده على النهر بقوة ريحه . ويضربه إلى سبع سواق . ويجيز
فيها بالأحذية . وتكون سكة لبقية شعبه التي بقيت من آشور كما كان
لإسرائيل يوم صعوده من أرض مصر » (أشعيا الإصحاح ١١) .

وهكذا لا ينسى الرب شعبه المختار مهما عبد من أوثان . . ومهما
فعل من آثام . . لأنه شعبه الذي أحبه من كل قلبه . . حتى لو ضربه
ضربات موجعة فإنها ضربات أب لابنه العاصي الذي عتق أباه . . وقلب
الأب معلق بابنه دائماً . ويجعله فوق كل الشعوب ودمهم يتمجد !!

لهذا تتميز الشخصية اليهودية على مدار التاريخ بأحاسيس متناقضة
من المهانة والذلة والحقارة مع إحساس فريد بالتميز عن جميع شعوب
الأرض وأنهم شعب الله المختار وابنه البكر الذي جعله سيداً على جميع
شعوب العالم . . بل إنه لم يخلق هذه الشعوب كلها إلا لخدمته وأن
قتلهم وأخذ أموالهم واجب ديني حيث جاء في التلمود « حياة غير
اليهودي ملك لليهودي فكيف بماله » . « ومحرم على اليهودي أن ينجّي
أحدًا من الأجانب من هلاك أو يخرجه من حفرة وقع فيها . بل عليه أن
يسدّ الحفرة التي وقع فيها الأجنبي بحجر » .

وجاء في التوراة والتلمود « لليهودي لا تقرض بربا . للأجنبي لا
تقرض إلا بربا » . وجاء في التلمود : « يحق لليهودي أن يسرق مال غير
اليهودي ، والسرقه من غير اليهودي لا تعتبر سرقة بل استرداداً لمال
اليهودي إذ إن العالم كله لم يخلق إلا من أجل اليهود » .

ولهذا يعتقد اليهود دائماً أنهم شعب فريد متميز وأن هذا التمييز
يجعل لهم الحق في سرقة الشعوب الأخرى واستغلالها وأخذ أموالها ،
بل وسفك دمها متى ما أمكن ذلك . .

وهذا الشعور بالغربة وعدم الانتماء لأي وطن سوى أورشليم وأرض أورشليم يتركز في اليهودي منذ أقدم العصور . . منذ زمن وجودهم في مصر . فرغم أن المصريين أكرموا بني إسرائيل في عهد يوسف - عليه السلام - ومن بعده إلا أن الولاء ظل دائماً لأورشليم وأرض فلسطين التي تسمى أرض إسرائيل .

وفي سنوات النفي إلى بابل ورغم أن اليهود وجدوا حظوة كبيرة لدى الفرس (قورش وغيره) إلا أن إحساسهم بالغربة ازداد تأصلاً . وظهرت التعاليم التي تمنع زواج اليهودي أو اليهودية بغير اليهودي حفاظاً على نقاء الجنس اليهودي .

ورغم العودة الأولى ثم النفي الثاني من فلسطين إلا أن هذا الشعور لم يزد مع الأيام إلا تأصلاً . . .

لهذا لا يوجد ولاء حقيقي لليهودي لأي أرض يسكن فيها ولو مكث فيها آلاف السنين . . فمثلاً يهود الخزر (بحر قزوين) هم من أهل تلك البلاد ثم تهودوا فأصبح ولاؤهم لأورشليم رغم أنهم لم يعرفوا أورشليم هم وآباؤهم منذ آلاف السنين . .

ومن يهود الخزر ظهر حكام إسرائيل الحاليين ابتداء من بن جوريون وانتهاءً بشامير مروراً بجولدا مائير ومناحيم بيجن وبيريز وشارون . .

لهذا فإن اليهودي يعيش حياة قلق متوجسة مليئة بالكذب والخداع لأنه يعيش بين أظهر شعوب لا ينتمي إليها وأوطان لا يحس نحوها بالولاء . . فولاؤه يجب أن يكون لأورشليم وأرض أورشليم .

يقول فيلسوف الصهيونية الحديثة الحاخام مارتن بوبر (١٨٧٨ - ١٩٦٥) « يمكنك أن تخرج اليهودي من فلسطين ولكن لا يمكنك أبداً أن تخرج فلسطين من اليهودي » .

ويقول الكاتب اليهودي ليني برينر في كتابه الصهيونية في زمن الدكتاتورية ص ٤١ « لم يكن بوبر وزولشان وأينشتاين إلا مجرد ثلاثة من بين الصهاينة الكلاسيكيين الذين قدسوا علم النقاء العرقي . ولكن على صعيد التعصب المطلق فإن قليلين يمكنهم أن يضاهاوا الأمريكي اليهودي موريس صموئيل الذي اعتبر الزنوج والأمريكيين وبقية الأجناس مجموعة من الزواحف تتناسل في جدول بشكل مقرف » .
فلسفة معاداة السامية :

ليس من الغريب إذن أن تتكوّن لدى مختلف شعوب الأرض عداوة لليهودي المتعالي الذي يقطن بين ظهرانيهم والذي يستخدم كافة الوسائل الخسيسة ليحقق ثروة ضخمة ويمتص دماء البشر . . لهذا كثرت المذابح على مدار الأيام لليهود وفي جميع العصور وبين جميع الشعوب . . وازداد بذلك الحقد اليهودي على البشرية كما ازدادت عقدة التعالي مع كل شعور بالهوان والضعفة والاضطهاد الذي كان يحلّ باليهودي أينما أقام بسبب تصرفاته وسلوكه الشائن .

والغريب حقاً أن يسهم قادة الصهيونية بصورة مباشرة وغير مباشرة في إشعال جذوة العداة لليهود (السامية) . . يقول المؤلّف اليهودي ليني برينر في كتابه الصهيونية في زمن الدكتاتورية ص ٤٢ « لكي يكون المرء صهيونياً جيداً عليه أن يكون معادياً للسامية » ، وذلك أن معاداة السامية ستصحب اليهود أينما ذهبوا . والأكثر من ذلك أن اليهود هم الذين خلقوا معاداة السامية بحكم صفاتهم هم . وأصرّ الصهاينة على أن السبب الجذري لمعاداة السامية كان وجود اليهود في المنفى . فاليهود يعيشون بشكل طفيلي على مضيفيهم » .

ولهذا فقد أيدّ هرتزل باستمرار الجهود الرامية إلى بعث معاداة السامية لأنّ ذلك يحقق هدفه الأقصى في طرد اليهود من روسيا وأوروبا

إلى أرض فلسطين .

وهو أيضاً ما تذكره التعاليم التوراتية والتلمودية المحرّفة حيث لا بقاء ولا عيش ولا كرامة لليهود في أيّ أرض سوى أرض فلسطين مهما توطّنا في تلك الأرض وتسنّموا فيها من مراكز .

لهذا لا ينبغي أبداً أن يكون لليهودي ولاء سوى الولاء لإسرائيل وخاصة بعد قيام هذه الدولة .

وبما أنّ كثيراً من اليهود هم من شعوب مختلفة ويتكلّمون لغات مختلفة فإنّ الفكرة الوحيدة التي تجمعهم هي التفوق العرقي والعودة إلى أرض الميعاد التي سيظهر فيها المسيح اليهودي الذي سيحكم العالم .

وبما أنّ اليهود قوم ملتصقون بالأرض وبمناخها المادي فإنّ كثيراً من اليهود وأبناء اليهود لم يكونوا يستسيغون الهجرة إلى فلسطين ومواجهة الصعاب فيها . . لهذا وجد هرتزل وأنصاره من بعده مشقّة كبيرة في دفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين .

وبما أنّ روسيا القيصرية كانت بصورة عامة ضد اليهود فقد استغلّ هرتزل ذلك كما استغلّ قضية دريفوس في فرنسا لإثارة موجة من الذعر لدى اليهود للفرار إلى فلسطين .

وكل حل لا يؤدّي بنزوح اليهود مرة أخرى إلى فلسطين هو حلّ زائف كما يقرّر عدد من القادة اليهود ومنهم هوبن فرومر الأمريكي الذي حمل حملة شعواء على اليهود الذين كانوا ينادون بحلول أخرى غير العودة إلى فلسطين .

وقد أدّى ذلك إلى أن يصف بعض الكتاب الصهاينة ومنهم ميكايوسف بردتشفسكي اليهود بقوله : « إنّ اليهود ليسوا أمة ولا شعباً ولا بشراً » . ويصفهم حايم برينر بقوله : « إنّ اليهود ليسوا أكثر من غجر وكلاب قدرة ومجروحين وكلاب » . أمّا أجوردون اليهودي فإنّ « اليهود

لديه ليسوا أفضل من طفيليات « ويصرخ موريس صموئيل في وجه إخوته اليهود قائلاً :

« نحن اليهود . نحن المدّمرون سنبقى مدّمرين إلى الأبد لا شيء ستفعلونه يمكن أن يلبي حاجتنا ومطالبنا . سندمّر إلى الأبد لأننا نريد عالمنا عالم الله . وليس من طبيعتكم أن تبنوه . أولئك الذين هم منا ويفشلون في فهم هذه الحقيقة سيوجدون دائماً مع فرقكم المتمردة حتى يتحقّق التحرر من الوهم » .

ويذكر حايم جرينبرج رئيس تحرير المجلة الناطقة بلسان الصهيونية في نيويورك « الجبهة اليهودية » : « إنّه لكي تكون صهيونياً جيداً يجب أن تكون معادياً للسامية إلى حدّ ما » .

وخلاصة هذا المفهوم أنّ على الصهيوني أن يبثّ فكرة معاداة السامية (أي معاداة اليهود) بصورة معتدلة وذلك لتحقيق عدة أغراض أهمها دفع اليهود المتقاعسين عن الهجرة إلى فلسطين للهجرة إليها ، وإشعارهم دوماً بأنه لا يمكن أن يوجد أي أمان لليهودي في أيّ بلد ما عدا في فلسطين أرض الميعاد ووطن الآباء والأجداد . .

وقد سجّل يعقوب كلاتزكين المحرّر المساعد للموسوعة اليهودية الضخمة ما يلي :

« إن لم نقرّ بصوابية معاداة السامية فإننا ننكر صوابية قوميتنا نحن . فإذا كان شعبنا يستحقّ ويعتزم أن يعيش أحياته القومية الخاصة فهو إذن جسم غريب مزروع في الأمم التي يعيش بينها وهو جسم غريب يصرّ على هويته الخاصة المتميزة . . وبدلاً من إقامة جمعيات الدفاع ضد المعادين للسامية الذين يريدون تقليص حقوقنا ، يجب أن نُقيم جمعيات للدفاع ضد أصدقائنا الذين يرغبون في الدفاع عن حقوقنا » .

نعم إنّه منطوق غريب ولكنه هو هو منطق الصهيونية الذي دفع

بالألمان نحو النازية ليحقق أغراضاً هامة . حيث ذكر وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية لبلفور (صاحب وعد بلفور المشؤوم) « نحن نتفق مع المعادين للسامية ثقافياً بقدر ما نؤمن بأن الألمان ذوي الأصول العرقية المتعددة هم ظاهرة مضعفة للمعنويات وغير مرغوبة » . وقال وايزمان « كل بلد يمكنه استيعاب عدد محدود من اليهود إذا لم يكن يريد متاعب في معدته . وألمانيا لديها بالفعل يهود أكثر من اللازم » .

لهذا سعى زعماء الصهيونية إلى دعم الحركة النازية لأنها تحقق أغراضاً عدة من أهمها طرد اليهود من ألمانيا لكي يذهبوا إلى فلسطين . ورغم أن الحركة البلشفية التي قادها لينين (اليهودي كيبوربوم) وتروتسكي (اليهودي برونشتين) كانت حركة أممية إلا أن قيادتها كانت يهودية حتى العظم . . وقد تمتع اليهود في الدولة الجديدة بسلطات واسعة ومراكز هامة . . ومع ذلك فقد استطاع الصهاينة إقناع يهود الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية بالهجرة منها إلى فلسطين . واستخدموا في ذلك وسائل متعددة من بينها الضغط على الجماعات اليهودية المستقرة لتشعر بعدم الأمان والغربة . كما استخدموا في ذلك ولا يزالون الولايات المتحدة والدول الغربية لتهجير بقية اليهود الموجودين في الاتحاد السوفيتي .

ما مصير يهود الولايات المتحدة :

إن الولايات المتحدة تشهد أكبر تجمع يهودي في العالم حيث يستقر فيها ما يزيد عن ستة ملايين يهودي . . وحيث يتمتع اليهود بقوة هائلة في نظام الدولة وفي أجهزة الإعلام وفي الكونجرس وفي بيوت المال ، بل إن السيطرة اليهودية على جميع مراكز القوى في الولايات المتحدة أصبحت محكمة لدرجة يصعب هزها .

وفي هذا الجو بدأ بعض اليهود يشعرون بالاستقرار في الولايات المتحدة وانحدر بعض اليهود إلى الزيجات المختلطة . . . وارتفعت الأصوات وخاصة من الحاخامات تحذر من ذهاب النقاء العرقي والتميز الاثني . . . وبما أن قادة الصهيونية العالمية يخططون لتجميع اليهود من أطراف الأرض الأربعة في فلسطين تحقيقاً لنبوءات أشعيا وأرميا كما ذكرها العهد القديم وكما ذكرتها كتابات الأحبار في التلمود البابلي والفلسطيني . . . وذلك استعداداً لقيام الدولة العالمية اليهودية التي سيكون مركزها أورشليم فإن ذلك يستتبع دفع اليهود المقيمين في مختلف بقاع الأرض بما في ذلك الولايات المتحدة للهجرة إلى فلسطين .

ولا بد أن تكون هذه الهجرة على مراحل متعددة حتى يمكن استيعابهم وحتى يمكن طرد سكان الأرض الأصليين كما جاء في سفر يوشع من التوراة المحرّفة . . . بأن الرب يطرد الفلسطينيين رويداً رويداً حتى لا تكثر السباع والوحوش في برية إسرائيل . . . وهي هي السياسة التي أعلنها مراراً وتكراراً قادة إسرائيل ابتداء من بن جوريون مروراً بليفي أشكول وجولدا مائير ومناحيم بيجين وانتهاءً بشامير وبيريز .

وبما أن ظهور المسيح اليهودي الذي سيحكم العالم من أورشليم ستسببه حرب عالمية مدمرة هي حرب التنين والتي يهلك فيها كما يقول التلمود ثلثا سكان العالم فإنه ينبغي على قادة الصهيونية العالمية دفع اليهود ولو قسراً للهجرة إلى إسرائيل .

وبما أن أوضاع اليهود في الولايات المتحدة بصورة خاصة فوق الممتازة ولا يمكن أن تجعلهم يفكرون طواعية بالهجرة إلى إسرائيل فإنه لا بد من إيجاد موجة من الكراهية ضد اليهود محسوبة بقدر محدود

لإيجاد شعور عام لدى اليهود بعدم الأمان في أي مكان سوى في أرض إسرائيل .

وهذا بالفعل ما صرّح به إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل لليهود الأمريكيان ..

وهي خطة تستحق أن نعمن في دراستها فقد نستفيد منها في إيجاد هوة بين المصالح الأمريكية والمصالح الإسرائيلية التي تبدو حالياً وكأنها مستعصية على أي وسيلة لفك الاشتباك .

القضية الفلسطينية والسلطان عبد الحميد (*)

لقد بدأ اليهود منذ مؤتمر بازل بقيادة هرتزل التخطيط لهجرة اليهود إلى فلسطين ومنذ وقت مبكر جداً اتصلوا بالسلطان عبد الحميد الثاني بن عبد المجيد محاولين إقناعه وإغراءه بالسماح لليهود للهجرة إلى فلسطين مستغلين الديون المتراكمة على الدولة العثمانية التي غرقت فيها نتيجة الحروب المستمرة التي واجهتها الدولة العثمانية وخاصة في آخر عهدها مع الدول الأوروبية مجتمعة وخاصة روسيا القيصرية . . ونتيجة السياسة غير الحكيمة التي انتهجها بعض أسلافه . . وكانت الديون عندما تولى السلطان عبد الحميد الخلافة سنة ١٨٧٦ م قد بلغت ٢,٥٢٨,٠١٠,٨٨٥ ليرة عثمانية ذهبية . .

ولكننا نفاجأ بموقف ذكي وقوي وحازم من السلطان عبد الحميد . . ونجد في مذكرات السلطان عبد الحميد التي كتبها سنة ١٨٩٥ بعد نظر ومعرفة عميقة بنفسية اليهود مع إيمان قوي اقتضاه أن يقف منذ اللحظة الأولى ضد هجرة اليهود رغم معرفته بنفوذ اليهود الضخم في أوروبا . يقول السلطان في مذكراته : « لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق لهذا فإن أكثر الدول الأوروبية تحبذ هجرة

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) ومجلة المجتمع (الكويت).

اليهود إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيراً .

يقول : « علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين (اليهود) في فلسطين . وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كافة قدراتها خلال وقت قصير . وبذا نكون قد حكمنا على إخواننا في الدين بالموت المحتم » .

ما أصدق هذه العبارة التي قالها السلطان عبد الحميد منذ ما يقرب من قرن من الزمان .

لقد أدرك السلطان المؤمن عبد الحميد الثاني مرامي اليهود وطبيعتهم الغادرة منذ وقت مبكر لأنه كان على صلة بالقرآن الكريم يتدارسه مع مشايخه في كل يوم ويعرف منه طبيعة يهود الغادرة الحاقدة .

وفي فقرة أخرى من مذكراته التي كتبها سنة ١٨٩٥ نقرأ هذه الجملة التي تكشف مدى معرفته لنوايا يهود التي يبدو أن بعض حكام العرب لم يعرفوها حتى اليوم بعد كل هذه المجازر والمذابح التي أقامها يهود . يقول السلطان عبد الحميد :

« لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال الزراعية في فلسطين (كما حاول هرتزل أن يقنعه بذلك) بل يريدون أموراً أخرى مثل تشكيل حكومة وانتخاب ممثلين إنني أدرك أطماعهم جيداً لكن اليهود سطحيون في ظنهم أنني سأقبل بمحاولاتهم » .

وكانت نتيجة رفض السلطان عبد الحميد المتكرر لأطماع اليهود في فلسطين هو مواجهة المؤامرات التي كان يحيكها يهود الدومنة والمغرورون من شباب تركيا الذين كونوا جمعية الاتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة والتي انتهت قيادتها إلى كمال أتاتورك (وهو أحد يهود

الدومنة) الذي استطاع أن ينهي الخلافة الإسلامية ويسلخ تركيا عن الإسلام . .

ولم تكتفِ الدعاية اليهودية الهائلة بإثارة أوروبا على السلطان عبد الحميد بل استطاعت فعلاً أن تؤلب عليه المثقفين من الشباب التركي ثم بعد ذلك أن تخلعه وأن تشوّه سمعته حتى لدى المسلمين أنفسهم . . ولا تزال المدارس في معظم البلاد العربية تهاجم الحكم العثماني وخاصة حكم السلطان عبد الحميد لا لشيء سوى أنه رفض بحزم وقوة أن ينصاع لإغراءات وتهديدات يهود باعظائهم وطناً في فلسطين .

ومنذ أن كتب السلطان عبد الحميد هذه الفقرات في مذكراته عام ١٨٩٥ وحتى خلعه في ٢٧ نيسان (إبريل) ١٩٠٩ ظلّ السلطان عبد الحميد صلباً في مواجهة أطماع يهود رافضاً السماح لهم بالهجرة إلى فلسطين التي كانت وقتذاك تحت الحكم العثماني .

وقد وجّه السلطان عبد الحميد بعد خلعه رسالة إلى شيخه في الطريقة الشاذلية الشيخ محمود أبي الشامات شيخ الطريقة الشاذلية في دمشق وقد نشرت هذه الرسالة التاريخية الهامة في مجلة العربي في شهر شوال ١٣٩٢ الموافق لكانون الأول ١٩٧٢ ضمن مقال بعنوان « سبب خلع السلطان عبد الحميد » بقلم الأستاذ سعيد الأفغاني الدمشقي الذي استعار الرسالة من أولاد الشيخ محمود أبي الشامات وصورها ونشرها .

وإليك نص هذه الرسالة التاريخية الهامة التي توضح عدة جوانب من شخصية السلطان عبد الحميد الثاني ومدى تأثير مشايخ الطرق الصوفية عليه . . وكيف كان ذلك أحد أهم الأسباب في دفاع السلطان المستमित عن فلسطين حتى ضحى بعرشه وبسمعته من أجل ذلك وهو قرير العين لا يابّه بنفي ولا سجن في سبيل مرضاة ربه .

بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيمِ وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي أبي الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامي أعرض أنني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مارس (آذار) من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدي إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً وأعرف أنني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .
وبعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كإمانة في ذمّة التاريخ . . .

إنني لم أتخلّ عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى أنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم جون ترك وتهديدهم - اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إنّ هؤلاء الاتحاديين قد أصرُّوا وأصرُّوا عليّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة « فلسطين » ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف . وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :

« إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فضلاً عن مائة وخمسين مليون

ليرة إنكليزية ذهباً ، فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت
الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسود
صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين
لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي هذا اتفقوا على خلعي وأبلغوني أنهم سيعدونني إلى
سلانيك (في اليونان حالياً) فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن أُلطخ الدولة
العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة
دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين وقد كان بعد ذلك ما كان .
ولذا فإنني أكرّر الحمد والثناء على الله المتعال . وأعتقد أن ما عرضته
كافٍ في هذا الموضوع الهام وبه أختتم رسالتي هذه .

أشتم يديكم المباركتين . وأرجو وأسترحم أن تفضلوا بقبول
احترامي وبسلامي إلى جميع الأخوان والأصدقاء .

يا أستاذي المعظم لقد أطلت عليكم التحية . ولكن دفعني لهذه
الإطالة أن تحيط سماحتكم علماً وتحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٢٢ أيلول ١٣٢٩ هـ - ١٩٠٩ م

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

نعم لقد رفض السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد أن يُلطخ
الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بالعار الأبدي والموافقة على إقامة
وطن قومي لليهود في فلسطين ودفع من أجل ذلك عرشه وحرية ورضي
بالنفي والسجن في سلانيك وهو يحمد الله تعالى على أن وفقه لهذا

الموقف الذي سيحمد عليه في موقف العرض يوم القيامة وسيلاقى جزاءه عليه عند ربه فقد كان رحمه الله لا يخشى في الله لومة لائم .
ترى أين حكام العرب المسلمين من موقف هذا السلطان الذي ضحى بعرشه وحرته من أجل فلسطين ؟ ونحن نرى بعضهم لا يكتفي بالمواقف السلبية المخزية بل يتآمر سراً وجهاً مع يهود ضد أمته ودينه ووطنه .

رحم الله السلطان عبد الحميد رحمة الأبرار وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وقبض للأمة من يقف مثل مواقفه .

في خضم الأنباء (*)

تذيع وكالات الأنباء سيولاً متدفقة من الأخبار عن ما يحدث في لبنان وإسرائيل وتفاعل العالم الخارجي مع هذه الأحداث . . . وتحتاج كثير من هذه الأنباء إلى وقفة تأمل لمعرفة فيها إلى أيّ مستنقع قد وصلت فيه الأوضاع في البلاد العربية . . . فمما أذاعته الإذاعات ونقلته شبكات التلفزيون والصحف خبر المظاهرة الصاخبة في دمشق يوم الاثنين ٢٠ شوال ١٤٠٢ (٩ أغسطس ١٩٨٢) والتي قامت بتحطيم السفارة الأردنية وتمزيق علمها ثم السفارة السعودية بعد مرورهم أولاً على السفارة الأمريكية .

وإذا استطعنا أن نفهم قذف السفارة الأمريكية بالطوب والحجارة . . . وإن كان ذلك لا يفيد الفلسطينيين المحاصرين في بيروت بأيّ شيء فإننا لا نستطيع أن نفهم مطلقاً لماذا تهاجم السفارة الأردنية والسفارة السعودية في الوقت الذي تتفرج فيه قوات الردع العربية في لبنان على المجازر الإسرائيلية بل وتنقل وكالات الأنباء الصور العديدة من الاتصالات الودية بين قوات الردع والقوات الإسرائيلية الغازية . . . والخبر الثاني الذي استلقت نظري هو خبر وصول أربعين من

(*) مقال نشرته صحيفة المدينة (جدة).

الحاخامات اليهود الأمريكيين والإسرائيليين إلى بيروت الذين جاؤوا ليشاركوا القوات الإسرائيلية في المعركة المقدسة ضد الفلسطينيين . . وقد صرّح هؤلاء لوكالات الأنباء بأنّ حرب الإبادة التي تقيمها إسرائيل في لبنان ليست حرباً عادلة فحسب وإنما هي حرب واجبة ومقدسة . . وقد شارك هؤلاء الحاخامات الجنود الإسرائيليين بأن قاموا بالصلاة في الخطوط الأمامية في المدرعات وناقلات الجنود . . وأعلن حاخام القدس أنّ وجود المدنيين في بيروت الغربية لا يعتبر سبباً كافياً للتخلّي عن اجتياحها . . وقال إنّ من بدأ عملاً جليلاً (وهو غزو لبنان وتدميره) فيجب عليه إنهاؤه .

ولم يشترك الحاخامات اليهود في هذه الحملة المكثفة لرفع الروح المعنوية لجنود إسرائيل وحدهم بل اشترك معهم مجموعة كبيرة من أعضاء مجلس الشيوخ ومجلس الكونجرس الأمريكي وزعماء اليهود البريطانيين ومجموعة كبيرة من نجوم السينما والفن مثل الممثلة الأمريكية جين فوندا والممثل كيرك دوجلاس والمغني سامي ديفر . . والخبر الثالث والمتكرّر هو اشتراك قوات الكتائب المارونية وقوات سعد حداد مع القوات الإسرائيلية في قصف صور وصيدا وأخيراً بيروت . .

هذه الأخبار الثلاثة توضح لنا مدى العداء الذي يكنه اليهود والصليبيون والباطنيون للإسلام والمسلمين . . ووقوفهم جميعاً صفّاً واحداً ضدهم ظاهراً وباطناً . . سرّاً وعلانية . . رغم الشعارات الإنسانية الكاذبة التي يتشدّق بها الصليبيون وشعارات القومية والاشتراكية التي يلوكها الباطنيون والنصيريون . .

والمهزلة التي تتكرّر بعد كل اجتياح إسرائيلي للبلاد العربية هي أننا خسرنّا المعركة العسكرية وكسبنا المعركة الإعلامية . . وقد ظهرت

في الصحف العربية مؤخراً هذه النغمة المريبة !! ذلك أن الذي خسر نفسه لا يمكن أن يكسب غيره . . ولا يلقى إلا المزيد من المهانة والاحتقار . .

إن الأمة العربية بوضعها الحالي المتمزق البعيد عن الله المحارب له لا تستحق سوى هذا المصير البائس . . ألا وهو الخسران المبين في الدنيا والآخرة . .

ولا يوجد أي حل آخر سوى العودة إلى طريق الله وإلى التمسك بدينه وإلى قيام جيل رباني فريد يستطيع أن يعيد لهذه الأمة كرامتها الممرغة في الأوجال ويرفع رأسها المدفونة في الرمال . .

إن أخشى ما يخشاه اليهود والغريون هو هذه الصحوة الإسلامية التي بدأت بوادرها في الأفق . . والتي واجهتها الأنظمة بالسحل والقتل والتشريد والسجن وواجهتها أجهزة الإعلام العميلة بالسخرية والاتهامات بالرجعية والتطرف . .

نعم إن الصحوة الإسلامية التي لن يوقفها عمالة العملاء ولا بطش المتجبرين هي التي ستضع حداً لمأساة هذه الأمة . .

وقد نشرت المدينة في عددها الصادر ١١ شوال ١٤٠٢ هـ رقم ٥٦٠٧ مقالاً للكاتب الفرنسي تيري دي بوسيه تحت عنوان الفرصة المفقودة . . معلقاً على أحداث لبنان واجتياح إسرائيل له . . جاء فيه ما يلي :

« لا نتخضع بأحد ستعود النتائج ضد إسرائيل بالدرجة الأولى ثم أيضاً ضد الغرب . . الرأي العام العربي سيرد الفعل بألم على هذه الإهانات العديدة التي تتراكم واعتدال الحكومات وضمانات الاقتصاد النفطية وخرافات العصرية أو التحالف الأمريكي لن يكفي أبداً لاحتواء

انفجار الإسلام الذي أصبح الملاذ الوحيد ضد خيبات الأمل والأراجيف .

ولقد صدق تييري دي بوسيه فإن الإسلام هو الملاذ الوحيد ضد خيبة الأمل وأراجيف التقدمية والقومية والاشتراكية وخرافات العصرنة ..

وحتى يظهر هذا الجيل الرباني الذي يخاطبه الحجر والشجر بقوله « يا مسلم .. يا عبد الله .. هذا يهودي ورائي تعال فاقتله » فإننا سنمرّ بفترة عصيبة عصيبة .. يكثر فيها الهرج والمرج كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ وهي كثرة الفتن وكثرة القتل والفوضى العارمة التي تدمر الأخضر واليابس ...

أقتل عربياً . . الأغنية الأكثر رواجاً في العالم (*)

قامت فرقة الروك البريطانية المعروفة باسم كيور بتأليف أغنية عنوانها « قتل العرب » « Killing the Arabs » وقامت شركة أليكترا بتوزيعها على نطاق عالمي . وقد بلغ عدد الأشرطة المباعة أكثر من ٣٥٠,٠٠٠ نسخة كما قامت بإذاعتها مئات من محطات التلفزيون العامة والخاصة على طول الساحة الأمريكية وامتداداً لأوروبا وأستراليا وجنوب إفريقيا بل لقد وصلت الأسطوانات والأشرطة إلى القارات الست ، وأذاعتها مئات من محطات الإذاعة الحكومية والخاصة . . .

وقبل ذلك قامت صحيفة الصن «Sun» البريطانية المعروفة التي يملكها المليونير اليهودي مردوخ الذي يملك عشرات الصحف العالمية ومحطات إذاعة ومحطات تلفزيون ، قامت صحيفة الصن بتصوير العرب في رسم ساخر بأنهم خنازير وعندما احتجَّ أحد البريطانيين على هذا الأسلوب المبتذل قامت الصن بتصوير الخنازير في رسم ساخر وهي تحتج وتظاهر لتبنيها بالعرب الذين هم أخطأ بكثير من الخنازير .

هل أدَّى هذا الموقف ومئات المواقف المتكررة الساخرة من العرب والمهينة لهم إلى تحرك عربي حقيقي؟! . . هل تحركوا ضد

(*) هذا المقال كان على وشك الظهور في صحيفة الشرق الأوسط ، ثم لسبب ما لم ينشر .

تشرشل الصهيوني عندما واجه بعض أعضاء البرلمان البريطاني الذين قالوا له إن مساعدة اليهود وتوطينهم سيثير العرب فقال قوله المشهورة : « إن العربي مثل الكلب كلما رفته يقدمك قام بلعق حذائك » .

ولقد أوضحت عشرات المواقف المختلفة مدى الحقد اليهودي - الصليبي على العرب بصورة خاصة والمسلمين بصورة عامة .

ومهما قيل من كلام معسول من حين لآخر فإن الحقد الدفين يسيطر على تصرفات كلا الكتلتين الرأسمالية والشيوعية تجاه العرب والمسلمين .

ويستطيع المطالع للتاريخ الحديث والقديم أن يدرك التحالفات اليهودية المستمرة مع أعداء الإسلام تصديقا لقول الله تعالى : ﴿ ولتجدنَّ أشدَّ الناسَ عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ﴾ .

ويدرك المرء تلك التحالفات اليهودية ضد الإسلام ابتداء من معركة قريضة في عهد النبي ﷺ وانتهاءً بتحطيم الدولة العثمانية وقيام دولة إسرائيل .

ولقد عملت الدسائس اليهودية والصليبية الحاقدة على توجيه هولاکو وقرا هولاکو وكيوك وهم من أحفاد جنكيز خان المغولي الذين استقرُّوا في خانية فارس بعد أن سيطروا على الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية حيث سقطت الدولة الخوارزمية تحت ضربات جنكيز خان الوثني .

وتحول قرا هولاکو وكيرك إلى النصرانية . . واستطاع هولاکو أن يصل إلى بغداد . . وبكل بلاهة وبلادة ظنَّ الخليفة العباسي أن استقباله لهولاکو في خارج بغداد سيضمن له السلام الذي كان وزيره العلقمي يزيِّنه له . .

وسعياً وراء السلام والسراب الخادع ذبحت بغداد عن بكرة أبيها

بما فيها الخليفة العباسي ووزيره العلقمي . . وقُدِّر عدد من قتل ومات في ذلك الوقت العصيب بمليون شخص ، وهي أكبر مذبحه للمسلمين حتى ذلك التاريخ (القرن السابع الهجري) .

وتغيَّر الموقف في عين جالوت على يد قطز والظاهر بيبرس بسبب روح الجهاد التي كان يبثها العز بن عبد السلام . . وتحولت المعركة إلى أول نصر للمسلمين وأول هزيمة للتتار .

وتحوَّل التتار أنفسهم إلى الإسلام . ودخلوا في دين الله أفواجاً وتحولت تلك الخانيات المسيطرة على معظم العالم المعروف آنذاك إلى الإسلام . . وصارت موسكو تؤدِّي الجزية إلى سلطان قازان التتري المسلم .

وعندما تناحرت الإمارات وتقاتلت السلطنات وقتل الأخ أخاه عادت النكبات مرة أخرى . . وذُبح العرب والمسلمون في الأندلس كالنعاج . . وكانت معاهدات السلام لا تساوي ثمن الورق المكتوبة عليه لإيزابيلا وزوجها فرديناند .

وفي نفس الوقت تقريباً بدأ إيفان الرهيب مذابحه المتتالية للمسلمين في قازان واستراخان وعلى طول امتداد نهر الفولجا . . وفي غضون ثلاثين سنة من حكم إيفان الرهيب كانت القوات الروسية قد اخترقت جبال الأورال واحتلت مناطق البشكير ووصلت إلى شواطئ بحر قزوين (بحر الخزر أو بحر الديلم أبو بحر شروان) . .

وليس غريباً أن تسقط قازان بعد سقوط غرناطة بستين عاماً فقط . . ذلك لأنَّ الخلافات والحروب كانت متأججة الأوار بين الأمير وإخوته وأبناء عمومته . . فلم يكن بدُّ من أن يأتي العدو يستبيح بيضتهم . . ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾ .

ومنذ عام ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) أخضعت الجماهير الإسلامية

على طول نهر الفولجا للصحراء الديني وعموم الدين الإسلامي بكل قسوة
وهدمت الجوامع وطرد رجال الملا (علماء الدين) وصودرت الأوقاف
الإسلامية ..

واستمرت سياسة إيفان على عهد خلفائه تشتدّ حيناً وتلين آونة
ولكنها تعتمد سياسة طويلة المدى في إبادة المسلمين أو تحويلهم إلى
النصرانية .

ومنذ قيام الثورة البلشفية اضطرّ لينين في أول عهده لمحاولة كسب
المسلمين الذين يمثلون أكبر أقلية لمواجهة قوات كولشاك ودينكين التي
كادت أن تجهز عليه .. وكان أول بيان أصدره لينين إلى المسلمين في
نوفمبر ١٩١٧ يقول :

« يا مسلمي روسيا .. يا مسلمي الشرق .. أيها الرفاق .. أيها
الأخوة .

ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحرّيتكم في العبادة .. إننا هنا
نعلم احترامنا لدينكم ومساجدكم وإنّ عاداتكم وتقاليديكم حرة لا يمكن
المساس بها .. ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي
معوقات .. ولكم الحق في ذلك ، واعلموا أنّ جميع حقوقكم الدينية
والمدينة مصونة بقوة الثورة » .

وفي نفس الوقت كان جورج الخامس ملك بريطانيا وأميراطور
الهند يوجّه النداء تلو النداء إلى المسلمين وإلى العرب لكي يقفوا تحت
راية الإنجليز ليقاتلوا ما بقي من دولة الخلافة العثمانية .

وممّا قاله جورج الخامس في بيانه الصادر ١٣ فبراير ١٩١٥ وهو
يحثّ العرب والمسلمين على الانضمام تحت رايته « إنّ رايتنا تظل
الملايين العديدة من المسلمين الذين انضمّ إلى جيوشنا الآلاف المؤلفة
منهم ، وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنباً إلى جنب .. ولا شك أنّ

كل مسلم صحيح ملأت العقيدة الإسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يستخف بعقيدته ويكون العوبة في يد دولة أجنبية تجعله قرباناً على مذابح مطامعها الأشعية .

إنَّ حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند قررت أنه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسية أن تكون شبه جزيرة العرب ترفل في ثياب الحزية وتستعيد رقيها القديم ونضرتها الأولى . . . بربكم أفلم يكفكم ذلك ؟ » .

ومعلوم ماذا كانت النهاية بعد الحرب العالمية الأولى حيث قُسمت أراضي المسلمين بين روسيا وبريطانيا وفرنسا وأعطيت فلسطين وعداً لليهود ، حسب وعد بلفور واتفاقيات سايكس بيكو .

وقام لينين من جهة بحرب إبادة وإبادة رهية لمسلمي التركستان ونشر المجاعات الرهية حتى أكل المسلمون موتاهم . . ودكّت المدن الإسلامية المختلفة مثل طشقند وبخارى وسمرقند وخوقند وباب الأبواب . . وتمّ قتل أكثر من خمسة ملايين مسلم في الثورات المتتالية التي قام بها المسلمون ضد الحكم البلشفي الشيوعي . .

وقد تمّ في عهد لينين وستالين تشريد شعب القرم الإسلامي وتشريد شعوب التركستان كما تمّ إغلاق ١٥ ألف مدرسة إسلامية و ٢٦ ألف مسجد .

وها هي الحملات تقوم مرة أخرى عند قيام بوادر صحوة إسلامية . . ويتولّى جورباشوف بنفسه قيادة هذه الحملة ضد الإسلام والمسلمين ، وعندما قام أهل قازاقستان بثورتهم الأخيرة (١٩٨٦) تواطأت أجهزة الإعلام الغربية على إسدال ستار التعتيم كما تواطأت من قبل على السكوت عن جميع الجرائم البلشفية ضد المسلمين .

إنَّ الحرب ضد الإسلام والمسلمين مستمرة . . وسيبقى المبدأ

الإعلامي في الشرق والغرب « ادفع دولاراً تقتل عربياً » .
وسترتفع الأصوات مطالبة بإبادة العرب وقتل المسلمين . .
وستردد في جنات الكون أصداء تلك الأغاني الحاقدة : « اقتلوا
العرب » . ومهما حاول العرب في استجداء السلام فإنَّ القتل لهم
بالمرصاد . . وما لم يطلبوا الموت فلن توهب لهم الحياة . . وستبقى
أسلحة الموت والدمار مصلّنة عليهم حتى يراجعوا دينهم . . ولن يرفع
الله عنهم هذا الذلّ والهوان إلا إذا عادوا للجهاد .
ويسجّل الأفغان بكل فخر أنهم أول من أقام جذوة الجهاد في
القرن العشرين بصورة واضحة جليّة . . وها هي قصة جهادهم تجتذب
شباب المسلمين . . بما فيهم شاب عربي لم يتجاوز العشرين استشهد
في الشهر الماضي ، عندما أصابته قذيفة وانفجر الدم فمسح الدم بوجهه
وصرخ « الله أكبر !! وافرحته !! هأنذا أستشهد في سبيل الله » .
إنّ مثل هذه الروح هي الكفيلة بالردّ على من يتربصون بنا
الدوائر . . وإلّا فسنتقل مثلما تقتل النعاج ونذبح مثلما ذبح سكان بغداد
عندما استسلموا لنداء السلام الوهمي الذي أطلقه هولوكو على يد الوزير
العلقي .

ما لجرح بميت إيلام(*)

لقد أوضحت الغارة الإسرائيلية على المفاعل النووي العراقي . .
إن كانت بحاجة إلى إيضاح . . مدى استهتار إسرائيل بكل القيم
وبمقررات الأمم المتحدة ومواثيقها . . ولا يجدنا أن تندد الأمم المتحدة
أو مجلس الأمن أو هذه الدولة أو تلك بالغارة الإسرائيلية ، فإسرائيل قد
تعودت على مثل هذه القرارات التي لا تسمن ولا تغني من جوع . . .
والتي لا ترد حقاً ضائعاً ولا وطناً سليماً . . .
وليس من سبيل لردع إسرائيل إلا بإعلان الجهاد الحقيقي ومواجهة
كل اعتداء بمثله . .

والشر إن تلقه بالخير ضقت به
ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم . .
ورحم الله شوقي حيث يقول وكأنه يعيش اليوم بين أظهرنا :
لا تلتمس غلباً للحق في أمم
الحق عندهم معنى من الغلب
لا خير في منبر حتى يكون له
عود من السمر أو عود من القضب

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

والسمر هي الرماح والقضب هي السيوف . . فلا خير في منابر
الأمم المتحدة التي نتداعى إليها كلما أصابنا من إسرائيل
مصاب . . وكلما أخذتنا منها جائحة إذا لم ندعم ذلك بالسمر
والقضب . . وبالموت في ساحة الوغى . .

ولا سبيل إلى محو عار هذه الغارة إلا بغارة على مفاعلات إسرائيل
النوية في ديدمونة بصحراء النقب . . وكم من ليوث تتلظى للوغى لو
أطلق قيادها . . وكم من بزاة وصقور تريد أن يفك عقالها لتنتقل لتدك
معاقل الظلم أو تموت حرة شريفة .

وقد أوضحت هذه الغارة فداحة الحرب العراقية الإيرانية على
الامة الإسلامية فقد شغلت العراق وإيران عن الخطر الحقيقي وهو
إسرائيل . . وكم من دماء زكية سالت على أرض العراق وإيران كان أجدر
أن تروى ترى فلسطين . . وكم من قتابل ومدافع وطائرات دكت منشآت
العراق وإيران كان الأجدر بها أن تدك معاقل الظلم والطغيان في
إسرائيل . . وكم من مصانع وأرواح صارت حطباً لهذه الحرب النكدة
المشؤومة بين البلدين الشقيقين المسلمين . .

ولا بد من بذل أقصى الجهد لإيقاف هذا الدمار الشامل الذي يلفت
سماء العراق وإيران . . ولا عبء ببضع كيلومترات تذهب لهذه الدولة أو
تلك ويعلم هذه الدولة يرتفع على سوارى السفن تمخر في شط
العرب . . فإن ما نخسره في الحرب يعدل أضعاف أضعاف تلك
الكيلومترات المتنازع عليها حول شط العرب . .

وليست العراق وإيران وحدهما اللتان تدفعان ثمن هذه الحرب . .
وإنما الأمة الإسلامية بأكملها تدفعها خزيًا وعارًا وذلاً وصغاراً وهي واقفة
مبهوطة أمام طائرات إسرائيل تعبر ألف كيلومتر من إسرائيل إلى العراق
دون أن ينتبه لها رادار أو يلتفت إليها جهاز أو تسمعها أذن أو تبصرها

عين . . فلكنأنا الجميع صمٌ بكمٌ عمي . . لا يفيقون إلا بعد أن تدكّ
المفاعل الذري قرب بغداد وتسوي به التراب في ثلاث ساعات متواليات
من الضرب بالقنابل ثم تعود أدراجها إلى إسرائيل عبر ما يقرب من ألف
كيلومتر من أرض العرب دون أن تمسّ منها شعرة ولا تلحقها طائرة ولا
يطاردها صاروخ!! لأن الجميع مشغولون بحرب وطيس تدور رحاها في
الأهواز وعلى قمم جبال جيلان وبالقرب من المحمرة (خرمشهر) وعلى
أبواب عبادان . . حيث يقتل المسلم أخاه المسلم ويدكّ بيته ومدرسته
ومستشفاه ومسجده!! .

ولا يستفيد من هذه الحرب الضروس بعد إسرائيل إلا أعداء
الإسلام في الشرق والغرب . . فروسيا الشيوعية ضمنت نفوذاً في
المنطقة وسلاحاً يشتري منها بأغلى الأثمان . . كما أنها ضمنت أن لا
تمس بأذى في أفغانستان . . وأن ما تحتله من أراضي المسلمين في
بخارى وسمرقند وطشقند وحوارزم (خيوه) . . وبقية أراضي
التركستان . . وما تستعمره من أراضٍ وفيرة غنية ببترونها ومعادنها
وخيراتها في أذربيجان التي بها باكو أكبر مخزن للنفط في العالم وفي
داغستان وكرجستان وبلاد الجركس . . ضمنت أنها جميعاً ستبقى
تحت سيطرتها ولا تمتد إليها الثورة الإسلامية من إيران . .

ولعلّ القارئ لا يعرف أنّ ثلث أراضي الاتحاد السوفيتي هي
أراضٍ إسلامية وإنّ سدس سكانه مسلمون . . وأنّ بترول باكو هو الذي
جعل الاتحاد السوفيتي أكبر منتج للنفط في العالم (١٢ مليون برميل
يوماً) تليه السعودية (١٠,٥ مليون برميل) تليه الولايات المتحدة
(٨,٥ مليون) وذلك حسب إحصائيات ١٩٨٠ .

كما أنّ القارئ سيدهش عندما يعلم أنّ إنتاج الفحم والذهب
والمعادن وإنتاج القطن والفواكه إنّما يتم في الأراضي الإسلامية التي

احتلتها قياصرة روسيا شبراً بعد شبر على مدى أربعمئة عام . . ثم جاء البلاشفة (القياصرة الجدد) وأعادوا الاستيلاء عليها بعد أن قامت بها جمهوريات إسلامية مستقلة . . وذلك أثناء الثورة البلشفية الحمراء التي وعدت المسلمين بالمساعدة إذا وقفوا في وجه القياصرة . . فلما تم لها القضاء على قوات روسيا البيضاء التفتت نحو الجمهوريات الإسلامية وابتلعتها واحدة إثر الأخرى . . رغم أن الأهالي قاوموا مقاومة الأبطال في بخارى وسمرقند . . وفي أذربيجان وداغستان . . وفي حوض تاريم وفي شبه جزيرة القرم . . ولكن ثورة الأهالي أخمدت بقسوة بالغة ولم ينجدهم الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وأمريكا) الذين خرجوا من الحرب العالمية الأولى منتصرين . . بل سرهم أن تحصد الجيوش الحمراء المسلمين في بخارى وسمرقند . . ويوم أن قتل أنور باشا الذي أقام ثورة في بخارى ضد البلاشفة - في يوم عيد الأضحى عام ١٣٣٨ هـ كانت الصحافة الغربية تهلل للقضاء على المسلمين الذين تراهم أشد خطراً من الشيوعية .

والغرب اليوم سعيد بهذه الحرب الضروس بين إيران والعراق لأنه يرى معاقل الإسلام يدك بعضها بعضاً . . ومصالح الغرب مصانة بل هي في ازدياد . فقد توجس الغرب خيفة عشية اندلاع الحرب أن يقفل مضيق هرمز فتتوقف إمدادات البترول . .

ولكن البترول لا يزال يتدفق عبر المضيق رغم أهوال الحرب . . بل إن تدفقه قد ازداد أثناء هذه الحرب إذ يبلغ ما يعبره كل يوم أكثر من ١٨ مليون برميل من البترول . وها هي مخازن البترول في الغرب مترعة بأكثر من ثلاثة آلاف مليون برميل حتى لم يعد هناك من مكان لتخزينه سوى باطن الأرض يعيدون حرقه فيها . . وها هو فائض البترول يبلغ ثلاثة

ملايين برميل كل يوم ونتيجة لذلك فإنَّ سعر البترول بدأ ينخفض بدل أن يرتفع ..

ولا خوف لدى الغرب في أن يتوقف الإنتاج ولا حتى أن يقل لأنَّ العراق وإيران في حاجة إلى المال لمواصلة الحرب .. ولا مال بدون بيع البترول ..

وها نحن نرى كلا البلدين ينتجان مزيداً من البترول حتى يحصلوا على حاجتهما من الأسلحة والأعتدة التي يدمرون بها أنفسهم ويقتلون بها مواطنيهم ويسفكون بها دماء المسلمين .

والعراق وإيران بعد ذلك في حاجة إلى إعادة بناء المنشآت التي دمرت والمصانع التي حطمت .. والمدن التي هدمت .. وبنائها يحتاج إلى أموال هائلة وإلى عقود طويلة المدى مع الشركات الغربية التي يتحلَّب ريقها إلى مكاسبها التي تعد بعشرات البلايين ..

فأيَّ سعادة للغرب أعظم من هذه السعادة وأيَّ مكسب أعظم من هذا المكسب . وهذا ما يفسِّر لنا لماذا طالَّت الحرب العراقية الإيرانية كل هذه المدة !! بينما نرى الحروب العربية الإسرائيلية لا تستمر سوى ساعات وإن طالَّت فلأيام معدودات !!

فهل آنَّ لنا أن ندرك خطر هذه الحرب الضروس على مستقبل العراق وإيران بل على مستقبل الإسلام ..

وهل آنَّ لنا الأوان لكي نقول لكيسنجر وتشرشل وساسة الغرب والشرق جميعاً إنَّ العرب ليسوا كما وصفوهم كلاباً كلِّماً ضربتهم لعقوا يديك .. ولتكتف أجهزة إعلامنا التي يسيطر على كثير من مرافقها الموارنة الذين يشدُّون أزر إسرائيل سراً وجهرأ - لتكتف هذه الأجهزة عن تسمية كل هزيمة نصراً وكل عار فخراً .. فهذا هي اليوم تدعي أن الغارة

الإسرائيلية هي غلطة إسرائيل الكبرى لأنها بذلك تفقد تأييد أصدقائها قبل أعدائها .

وقد ادّعت هذه الأجهزة ذاتها يوم أن فقدنا الجولان وسيناء والضفة الغربية عام ١٩٦٧ أننا فقدنا الأرض وكسبنا الأنظمة !! وها هي اليوم تريد أن توهمنا أن نتائج الغارة على المفاعل النووي العراقي نصر إعلامي للعرب !! ويا له من نصر حقير .
من يهن يسهل الهوان عليه . ما لجرح بميت إيلام

مقالات متعلقة بالبتروال

العلماء المسلمون عرفوا أسرار النفط وعين أول وزير لشؤون النفط في القرن الثالث .

- ٨٢٪ من المخزون النفطي في العالم في « الاراضي الإسلامية » .
- العالم الإسلامي يسيطر على مصادر البترول والغاز في العالم .
- تكرير البترول وتصنيعه يحمي هذه الثروة من الأكلة .
- الإعلام الغربي والبابا ومعركة البترول .
- شركة يابانية تعتذر رسمياً للعرب فهل آن الأوان للغرب أن يعتذر ؟

العلماء المسلمون عرفوا أسرار النفط وعين أول وزير لشؤون النفط في القرن الثالث الهجري (*)

لقد عرفت البشرية منتجات النفط من القار والزفت منذ عهود طويلة ففي العهد القديم (التوراة) ذكر أن سيدنا نوح - عليه السلام - قد استخدم القار (القطران) لطلاء وسد الشقوق في سفينته . كما ذكر أن أم موسى - عليه السلام - قد استخدمت القار لطلاء الصندوق الذي ألقته فيه فلذة كبدها عندما خافت عليه بطش فرعون . وفي نقش الآشوريين والبابليين ما يدل على استخدامهم للقار في بعض العلاجات الطبية وفي سد شقوق المعابد والهيكل ..

وفي مواقع كثيرة من العالم مثل ضفاف نهر الفرات في العراق والنهر الأصفر في الصين وفي فارس وفي أمريكا الشمالية والجنوبية كانت تفور من الأرض ينابيع النفط والقار وتسبب أحياناً ناراً مشتعلة متصلة لآماد طويلة ..

وعندما رأى الفرس أن هذه النار لا تخمد عبدها وجعلوها مقدسة .. ولفظ النفط فارسي ومعناه (البترول) .. أو المياه المشتعلة ومنه اشتقت كلمة النافثا التي تستخدم في نوع من المنتجات البترولية . وقد عرف العرب قبل الإسلام القار والنفط واستخدموه في الجرار لحفظ

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

الخمور فورد في الحديث الشريف النهي عن استعمال المزفت والمقير والانتباز فيها لتسارع التخمر إليها بالحرارة .

وقد استخدم الرومان النفط في حروبهم ضد المسلمين وخاصة في دفاعهم المستميت حول القسطنطينية وكانت النار اليونانية أو قنابل النفط أحد العوامل الهامة التي حالت بين المسلمين وبين فتحها منذ أن أرسل الخليفة عثمان بن عفان أول بعثاته الحربية والتي استشهد في أحدها أبو أيوب الأنصاري الصحابي الجليل والذي دفن كما يقال على سور القسطنطينية . ثم استطاع المسلمون اكتشاف سر هذه النار المحرقة واستخدموها في حروبهم .

وقد قام الرازي بكتابة رسالة عن كيفية تقطير النفط وذلك في عام ٣٣٩هـ (٩٥٠م) ولقد استطاع العلماء المسلمون أيضاً أن يفسروا سر النار المقدسة التي لا تخمد في فارس فذكروا أن سبب ذلك غازات النفط التي تتصاعد من الأرض في بعض مناطق فارس وعند اشتعالها تستمر في ذلك الاشتعال نتيجة المدد الذي لا ينقطع من الغازات النفطية .

وقد تحدث علماء المسلمين عن نفط (باكو) وهي أكبر مخزن للنفط في العالم وتقع الآن في الاتحاد السوفيتي . وقد كانت تابعة للخلافة العباسية آنذاك وقد زارها المؤرخ المشهور المسعودي وذكرها في كتابه مروج الذهب وذلك عام ٣٠٣هـ (٩١٥م) .

وقد استخدم ذلك النفط في الاستصباح وفي أغراض أخرى وقام الخليفة العباسي المعتمد بمنح دخل ذلك النفط إلى سكان باكو وما جاورها من مدن وقرى .

وقد ذكر القزويني في كتابه عجائب المخلوقات استخدامات النفط وأن المسلمين قد خصصوا وزيراً لشؤون النفط منذ القرن الثالث

الهجري . والجدير بالذكر أن القزويني ينسب إلى بحر قزوين التي تعتبر مدينة باكو في أذربيجان السوفيتية أحد موانيه الهامة .

وقد ذكرت المصادر العديدة أن البشرية عرفت النفط في مواقع متعددة من العالم ففي أوروبا ذكرت يتابع النفط في بولندا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وعندما غزا الإسبان أمريكا الجنوبية وجدوا النفط في بيرو ، وعرف الإنجليز النفط كذلك عندما استولوا على حوض نهر المسيسيبي في أمريكا الشمالية واستخدم سير فرانسيس دريك الإسفلت في طلاء سفنه لمحاربة الأسطول الإسباني .

وكان الهنود الحمر يستخدمون البترول في أغراضهم المختلفة ومنها المعالجة الطبية وسرعان ما انتقل استخدام البترول في الأغراض الطبية من الهنود الحمر إلى الأطباء الأوروبيين وامتلات أرفق الصيدليات بمراهم البترول .

وفي القرن التاسع عشر بدأ استخدام زيوت البترول في التشحيم لأن الشحوم الحيوانية والنباتية الموجودة لم تكن كافية في تزييت الآلات التي انتشرت بعد الثورة الصناعية الكبرى .

وفي عام ١٨٤٥ بدأت شركة فرنسية في إنتاج زيت الاستصباح من الصخور البترولية وفي عام ١٨٥٠ قام إبراهيم جيسنر بتحضير الكيروسين من الفحم . وفي عام ١٨٥٥ قام صموئيل كير بإقامة أول مصفاة في أمريكا على نطاق محدود جداً ، وكان يصنع من ذلك بترولاً للمعالجة الطبية . ثم انتشر بعد ذلك استخدام الكيروسين في التدفئة والإنارة .

وقام دريك عام ١٨٥٩ بحفر أول بئر في بنسلفانيا بالولايات المتحدة من أجل إنتاج البترول . . تماماً مثل حفر الآبار من أجل المياه وكان ذلك أول بداية لحفر الآبار من أجل البترول وكان الإنتاج حينئذ ٣٥ برميلاً يومياً . . وبذلك سجّل دريك في الولايات المتحدة الأمريكية أول

بداية لصناعة البترول العالمية .

وتسامع الناس بما فعل دريك وقام الكثيرون في العديد من الولايات بحفر الآبار بحثاً عن هذه الثروة الجديدة المسماة بالذهب الأسود . . وسرعان ما قامت أول مصفاة تجارية للنفط وذلك عام ١٨٦١ في نيو سيثيل بالولايات المتحدة . وفي عام ١٨٦٦ افتتح أول خط أنابيب لنقل البترول وكان قطره عندئذٍ بوصتين فقط وطوله خمسة أميال . . وفي عام ١٨٨٦ بنيت أول سفينة ناقلة بترول . وفي عام ١٨٩٤ بدأ لأول مرة إنتاج البترول من قاع البحر وذلك من شواطئ كاليفورنيا بالولايات المتحدة .

وبدا عندئذٍ أن العالم كله على أهبة ثورة بترولية عارمة . . فقام أهل أوروبا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية بالبحث عن البترول في بلادهم . . ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بالبحث عنه في مستعمرات الدول الأوروبية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية .

وقام روكفلر بتنظيم صناعة البترول وتجارته . . واستطاع بمكر وذكاء خارق أن يستولي على معظم آبار البترول في الولايات المتحدة وأقام صناعة ضخمة منظمة وكانت بذلك أول الشركات الاحتكارية الهائلة التي استولت على تجارة البترول وصناعته . ورغم أن القضاء الأمريكي قام بحل شركته الاحتكارية عام ١٩١١ إلا أن الخطوط التي أرسى دعائمها روكفلر ظلت باقية وسيطرت على تجارة وصناعة البترول وتحوّلت من أخطبوط فردي إلى أخطبوط لمجموعة من الشركات الضخمة التي يملك أغلب أسهمها اليهود .

واستطاعت هذه الشركات أن تقف في وجه المنافسة العالمية لصناعة البترول والتي بدأت بصورة محمومة في أوروبا في القرن التاسع عشر وخاصة في روسيا . وفي عام ١٨٧٤ بدأ الضخ من آبار باكو

الأسطورية . وفي عام ١٩٠٠ كانت روسيا تنتج من حقول باكو البترولية ٨٠ مليون برميل سنوياً بينما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنتج ٦٥ مليون برميل فقط .

وكان التنافس شديداً في إنتاج البترول بين روسيا وأمريكا آنذاك كما هو الحال الآن في السيطرة على العالم . . وفي عام ١٩٠١ استطاع جيولوجي مغمور أن يكتشف حقل سبندلوب في الولايات المتحدة على عمق ١١٥٠ قدماً وهو أكبر حقول الولايات المتحدة الأمريكية حتى ذلك الحين . . وينافس في ضخامته حقول باكو الشهيرة في روسيا . . وتفجر البترول في ثورة بركانية عارمة من هذه البئر العميقة ولم يمكن السيطرة عليه إلا بعد أيام فقد خلالها ٨٠٠,٠٠٠ برميل من البترول . .

وتكررت القصة ذاتها في المكسيك عندما اكتشف حقل بروتودي لانوع عام ١٩١٠ م وظل البترول يتدفق إلى الغابات بمعدل ١٠٠,٠٠٠ برميل يومياً ولمدة شهرين قبل أن يتمكن المهندسون من السيطرة عليه . وتكررت القصة في أماكن كثيرة من العالم . . ولذا فإن الشركات البترولية شديدة الحرص اليوم في أن لا تفقد هذه الثروة الهائلة نتيجة تدفقها دون تحكم . .

وباكتشاف حقول سبندلوب في الولايات المتحدة أصبح ، إنتاج البترول في الولايات يفوق إنتاج العالم بأجمعه . . وأقيمت الشركات الاحتكارية الضخمة التي استطاعت أن تنافس مؤسسة روكفلر .

وزاد الطلب على البترول باختراع السيارات وفي عام ١٩٢٩ كانت هناك ٢٣ مليون سيارة وأوتوبيس وشاحنة على طرقات الولايات المتحدة الأمريكية وكلها تطلب مزيداً من البترول ولذلك كان إنتاج الولايات المتحدة من البترول في ذلك الوقت يصل إلى ٨٧ بالمائة من الإنتاج العالمي . . وتراجع الاتحاد السوفيتي من الصدارة إلى مؤخرة القائمة

بسبب الثورة البلشفية التي حولت روسيا القيصرية إلى الشيوعية وعمّت
الفضوى روسيا فترة من الزمن ثم تمكنت بعد ذلك من زيادة إنتاجها
البترولي . وكانت المكسيك عام ١٩١٨ ثاني دولة في العالم من حيث
كمية إنتاج البترول . . وبدأت فنزويلا تنتج البترول بعد اكتشافه في
حقول البترول الضخمة عام ١٩١٤ بواسطة الشركات البترولية الأمريكية
والبريطانية والهولندية والتي ابتدأت تقسم الغنائم في عالم البترول
وتؤلف كارتلاً احتكاريًا هائلًا .

ولقد كان لسيطرة الحلفاء على البترول الفضل الكبير في إحرازها
الانتصارات في الحربين العالميتين الأولى والثانية . . وكان تأثير
الحصول على إمدادات وافرة من البترول الرخيص والجيد النوعية
الفضل الأول في اكتساح طيران الحلفاء وأمريكا على وجه الخصوص
طيران ألمانيا وحلفائها من دول المحور في الحرب العالمية الثانية ولقد
اضطرت دول المحور في أثناء الحرب العالمية الثانية على الاعتماد على
البترول المستخرج من الفحم الذي كانت كلفته عالية ونوعيته رديئة
بالمقارنة مع البترول المتدفق في أمريكا ولدئى حلفائها وأصدقائها
ومستعمراتها المبتوثة في أنحاء العالم .

وبدأت منذ عام ١٩٣٩ صناعة البتروكيماويات عندما منعت اليابان
دول الحلفاء من الحصول على المطاط من شرق آسيا فقامت الشركات
الغربية بتصنيع المطاط من منتجات البترول ومنذ ذلك الحين بدأت ثورة
علمية هائلة في استخدام البترول ومشتقاته في الأنسجة والألبسة
والمصنوعات والأدوية والعطور . . ولم يترك باب من أبواب الصناعة إلا
وللبترول فيه نصيب . .

البترول في الشرق الأوسط

استطاع البارون فون رويتر (صاحب وكالة رويتر العالمية) أن

يحصل على حق امتياز التنقيب عن البترول في إيران بأكملها من شاه إيران ناصر الدين وذلك عام ١٨٧٢ م ثم عام ١٨٨٩ ولكن رويتر فشل في العثور على البترول وألغى عقد امتيازته عام ١٨٩٩ م .

وابتدأ السلطان عبد الحميد يهتم باحتمالات اكتشاف البترول في العراق وخاصة بعد استلامه تقريراً من مهندس أرمني يدعى جولبنكيان . ولكن انقلاب أتاتورك حال دون أمل السلطان وحول تركيا إلى دولة علمانية تدور في فلك دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بدلاً من أن تكون نداءً لها . . وقد كانت الخلافة العثمانية هي المسيطرة على أوروبا حتى استطاعت أن تصل إلى مشارف فيينا ومنذ بداية الثورة الصناعية تراجعت مكانة الخلافة العثمانية من الصدارة وحاولت جاهدة أن تبقي قوتها العسكرية على الأقل في مستوى القوات الأوروبية من حيث جودة التسليح والنظام . . وفي أواخر القرن التاسع عشر ضعفت الخلافة كثيراً ولكنها رغم ذلك ظلت تقلق أوروبا حتى في عهد السلطان عبد الحميد الذي كان شديد الذكاء والمهارة فاستطاع بذكااته ومهارته السياسية أن يحتفظ للخلافة بشيء من الهيبة رغم أنه استلم دولة مهلهلة نخر فيها الفساد واستشرى فيها عملاء الاستعمار وخاصة أفراد تركيا الفتاة .

واستطاع جيولوجي يدعى رينولدز يعمل لحساب مليونير بريطاني يدعى أرسى أن يعثر على بئر بترول في مقاطعة الأهواز في إيران في منطقة مسجد سليمان بعد سلسلة من العثرات والفشل وذلك عام ١٩٠٨ م .

ويقع هذا البئر في حوض بترولي ضخم يمتد إلى العراق وعبر الخليج إلى منطقة الإمارات العربية والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية . . ورغم هذه الحقيقة إلا أن أحداً لم يتبها لها حينئذ وظل

بترول هذه المنطقة لمدة ما يقرب من ربع قرن بدون استغلال .
وتكوّنت بعد اكتشاف رينولدز شركة بترولية لاستغلال بترول إيران
أسموها شركة البترول الإنجليزية الفارسية ولكنها تحولت بعد ذلك إلى
الشركة البريطانية للبترول بي . بي التي أصبحت إحدى شركات البترول
الاحتكارية العالمية .

وفي عام ١٩١١ أقيم أول خط أنابيب يصل منطقة الإنتاج في
مسجد سليمان بالأهواز إلى الخليج (العربي) في منطقة عبدان والتي
كانت منطقة مهجورة . . وكان طول هذا الخط ١٣٠ ميلاً .
وتطوّرت عبدان تطوراً كبيراً بعد إنشاء أول مصفاة فيها لحساب
شركة بي . بي عام ١٩١٣ وذلك عندما تحولت البحرية الملكية
البريطانية إلى استخدام البترول بدلاً من الفحم . . وكانت حاجة
بريطانيا إلى البترول في تزايد مستمر ووفرت عبدان لبريطانيا ما تحتاجه
من البترول الخام والمكرر .

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى تمّ اقتسام الحلفاء لتركه
الخلافة العثمانية واحتلّ الإنجليز العراق وفلسطين واحتلت فرنسا سوريا
ولبنان وأطلقت يد فرنسا في شمال إفريقيا في المغرب وتونس والجزائر
وبالمقابل جعلت لبريطانيا السيطرة على مصر والسودان - وليبيا .

وتقاسمت فرنسا وبريطانيا وهولندا بترول العراق وذلك بتكوين
شركة بترول العراق . . واحتجّت أمريكا على إبعادها من بترول الشرق
الأوسط فأعطيت حصة في شركة بترول العراق وذلك عام ١٩٢٨
وكانت أسهم شركة بترول العراق كما يلي :

٢٣,٧٥٪ لشركة بي . بي البريطانية .

٢٣,٧٥٪ شركة شل الهولندية .

٢٣,٧٥٪ شركة البترول الفرنسية .

٢٣,٧٥٪ شركة الشرق الأدنى الأمريكية .

٥٪ حصة المهندس الأرمني جولبنكيان .

والذي كان أول من قدّم تقريراً عن بترول العراق إلى السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٠ ثمّ تعاون بعد ذلك مع شركات البترول الأربع المذكورة وقام بجهود في اكتشاف بترول العراق فأعطيت له بذلك هذه الحصة مكافأة على جهوده .

ولم يكن للعراق نصيب في هذه الشركة المسماة باسمها كما لم يكن لإيران من قبل أي نصيب في بترولها . . وكما لم يكن لأي من البلاد الإسلامية أي نصيب في البترول المنتج من أرضها وباسمها . . فقد اكتشف البترول في أندونيسيا واستولت عليه الشركة الهولندية وشاركتها فيه الاحتكارات العالمية . . واكتشف في المملكة العربية السعودية وفي ليبيا وفي مصر والكويت، وكانت هذه الشركات جميعها تعود بملكيتها الكاملة إلى الشركات الاحتكارية البترولية الكبرى في بريطانيا وفرنسا وهولندا وأمريكا . .

وقامت هذه الشركات بتوقيع اتفاق يقضي بأن لا تنفرد أيّ منها في الحصول على مساحات امتياز كبيرة في تركة الخلافة العثمانية (أي أرض المسلمين) إلاّ بعد الاتفاق المسبق بينهما ، ويسمّى هذا الاتفاق باتفاق الخط الأحمر وقد سمح لبريطانيا أن تستغل بترول الكويت فقط بمفردها . .

وفي عام ١٩٢٧ تفجر حقل الكركوك واندفع البترول إلى ارتفاع ١٤١ قدماً مسبباً حرائق هائلة لم يتمكن التحكّم فيها إلاّ بعد عشرة أيام وقتل خمسة أرواح وتدفّق البترول عندئذ بمعدل ٩٥,٠٠٠ برميل يومياً .
وفيما بين ١٩٣٠ و ١٩٤٠ توالى اكتشافات آبار البترول في إيران والعراق حيث اكتشف حقل الزبير بالقرب من البصرة وفي عام ١٩٣٢

اكتشف البترول في البحرين وفي عام ١٩٣٣ تكوّنت شركة البترول الكويتية من شركة بترول الخليج الأمريكية وشركة البترول البريطانية . . ولم يكن للكويت فيها إلا الاسم فقط كما هو معتاد في هذه الفترة . . وفي عام ١٩٣٨ اكتشف حقل مرجان الذي يعد من أضخم حقول البترول في العالم . .

وحصلت هذه الشركات على امتياز التنقيب واستخراج البترول في قطر عام ١٩٣٥ وعمان عام ١٩٣٧ وأبو ظبي عام ١٩٣٩ وفي المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٣ واكتشف البترول بكمية تجارية لأول مرة في المملكة عام ١٩٣٨ . ومنذ بداية الحرب العالمية الثانية بدا واضحاً أن بترول الشرق الأوسط (بلاد المسلمين) أصبح ينافس بترول أمريكا الشمالية والجنوبية . . وأن المستقبل يكمن في هذه المنطقة الحيوية من العالم .

ورغم أن الولايات المتحدة ظلّت أكبر منتج في العالم حتى عام ١٩٧٤ إلا أن احتياجاتها الهائلة جعلها تتحوّل من مصدر للبترول إلى مستورد منذ عام ١٩٤٨ .

وبدا واضحاً للدول الغربية أن منطقة الخليج العربي هي منطقة بترول المستقبل وأن مخزونها البترولي يشكّل نصف مخزون العالم تقريباً . .

قصة البترول - ٢ -

٨٢٪ من المخزون النفطي في العالم في « الأراضي الإسلامية » (*)

لقد كانت بداية قصة البترول في المملكة باتفاقية عقدها وزير المالية عبد الله السليمان مع مندوب شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا « سوكال » في ٢٩ مايو ١٩٣٣ الموافق ٤ صفر عام ١٣٥٢ هـ في مدينة جدة . . ونصّت الاتفاقية على أنّ من حق الشركة الأمريكية أن تنقب وتستخرج وتصدر وتبيع جميع ما تجده من منتجات بترولية أو معدنية وبلغت مساحة الامتياز ١,٢٨٥,٠٠٠ كيلومتر مربع منها ١,٢٢٨,٠٠٠ في اليابسة ، ٥٧,٠٠٠ كيلومتر مربع في مياه المملكة في المنطقة الشرقية . . ومدة الامتياز ٦٦ عاماً تنتهي عام ١٩٩٩ م .

ولقد استغلّت الشركة حاجة المملكة الشديدة إلى المال آنذاك فوعدت بتقديم قرض بمبلغ ٥٠,٠٠٠ جنيه ذهب قيمته آنذاك ربع مليون دولار أمريكي . . كما وافقت الشركة على إعطاء المملكة مبلغ ٢٥,٠٠٠ « خمسة وعشرين ألف دولار » سنوياً كإيجار للأرض ومبلغ دولار واحد عن كل طن من البترول تستخرجه الشركة . . وقد احتاطت الشركة فوضعت بنداً جاء فيه أنّ هذا الاتفاق يسري مفعوله منذ اللحظة

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) .

التي يتم فيها العثور على البترول بكميات تجارية . . أي أنها لم تدفع ذلك القرض إلا بعد اكتشاف البترول في مارس ١٩٣٨ وقد حسمت قيمة القرض من ثمن البترول المستخرج بواقع دولار واحد لكل طن « الطن = ٧ براميل » .

وقد حوّلت شركة سوكال امتيازها وجميع حقوقها إلى شركة كاسوك التي غيرت اسمها في عام ١٩٤٤ إلى آرامكو .
وبما أن الاتفاقية كانت مجحفة للغاية للمملكة فقد قامت المملكة بتعديل نصوص الاتفاقية عدة مرات .

وبعد أن مسحت آرامكو المملكة مسحاً جيولوجياً كاملاً عدة مرات تخلّت عن ١,٠٦٥,٠٠٠ كيلومتر واحتفظت بـ ٢٢٠,٠٠٠ كيلو منها ١٨٩,٠٠٠ في اليابسة و ٣١,٠٠٠ مغمورة وهي المناطق التي توجد بها أضخم حقول البترول في العالم . . وهي حقول الغوار والسفانية والدمام (يعتبر حقل الغوار أكبر حقل للبترول على اليابسة في العالم كما يعتبر حقل السفانية أكبر حقل مغمور في العالم) .

وفي عام ١٩٤٨ كانت ثلاث شركات بترولية أمريكية ضخمة قد حصلت على حصص في آرامكو فأصبحت حصة سوكال بموجب الترتيب الجديد ٣٠٪ وحصة كل من أكسون وتكساكو ٣٠٪ ، وحصة موبيل ١٠٪ ولم يكن للمملكة العربية السعودية آنذاك أي حصة من بترولها كما هو معهود في الاتفاقات المماثلة في إيران والعراق وليبيا والكويت وإمارات الخليج العربي ودول أمريكا اللاتينية وأندونيسيا ونيجيريا . . إذ كانت كل الحصص تعود إلى الشركات الاحتكارية البترولية الكبرى .

وفي عام ١٩٧٣ حصلت المملكة العربية السعودية ولأول مرة في تاريخها على ٢٥٪ من حقوق امتياز آرامكو في الزيت الخام والمرافق

والإنتاج . . وقد عوضت الشركة تعويضاً عادلاً وجعلها توافق في العام التالي على زيادة حصة المملكة إلى ٦٠٪ ومنذ عام ١٩٨٠ أصبحت المملكة المالكة لجميع الشركة بعد تعويضها تعويضاً مجزياً . . وأوكلت إلى آرامكو الاستمرار في الإدارة والإنتاج والتسويق في مقابل مالي لم يعلن عنه . . وكذلك أوكلت إلى آرامكو كثيراً من مشاريع الجبيل وينبع البتروكيماوية الضخمة وعقود مدّ خط أنابيب الدمام ينبع والبالغ طولها ١١٦٨ كيلومتر . . ومنذ عام ١٩٧٥ قامت آرامكو بإنشاء وتشغيل مشروع تجميع الغاز الذي بدأ في مايو ١٩٨٠ م وأسندت الحكومة إلى شركة آرامكو إنشاء وتشغيل الشركة السعودية لكهرباء « سكيكو » في المنطقة الشرقية ابتداءً من يناير ١٩٧٧ ولمدة خمس سنوات .

ولنعد الآن إلى قصة اكتشاف البترول في المملكة فبعد أن حصلت شركة سوكال على حق الامتياز عام ١٩٣٣ بدأت مباشرة في البحث والتنقيب في منطقة الدمام وأقامت مدينة الظهران كمقر لها وفي عام ١٩٣٥ اكتشف أول بئر ولكنها كانت مخيبة للأمل لأن الكمية التي ظهرت كانت ضئيلة ولم توجد أي كمية من البترول بشكل تجاري إلا في البئر السابع وذلك في مارس عام ١٩٣٨ على عمق ١٤٤١ متراً . . وكان السبب في عدم العثور على البترول أن الشركة كانت تحفر في مستويات تعادل تلك الموجودة في البحرين فلما حفرت إلى عمق أكبر تدفق البترول بعد أن كادت الشركة تيأس من العثور عليه .

وبدأ تصدير الزيت الخام في نفس العام أي ١٩٣٨ من فرضة صغيرة للتخزين والشحن في الخبر كان الزيت يصل إليها عبر أنابيب من الظهران . . وكان البترول ينقل عندئذٍ على الصنادل إلى معمل التكرير في البحرين ثم اختيرت رأس تنورة لتكون فرضة الشركة لاستقبال ناقلات الزيت . . وحملت أول شاحنة من الزيت الخام على الناقل « سكوفيلد »

خريطة بيانية مقارنته
لإنتاج الزيت

MAP SCALED TO SHOW
COMPARATIVE OIL PRODUCTION



إنتاج الزيت

في ١١ ربيع الأول ١٣٥٨ الموافق ١ مايو ١٩٣٩ م .
واستمرّ نقل البترول أثناء الحرب العالمية الثانية ولكن بصورة
متباطئة فقد كان الإنتاج عام ١٩٣٨ م ١٣٥, ٤٩٥ برميلاً ارتفع عام ١٩٣٩
إلى ٩٠٣, ٩٣٣, ٣ براميل وبلغ عام ١٩٤٣ م ١٨٤, ٨٦٨, ٤ برميلاً
وفي ذلك العام أقامت الشركة أول معمل لتكرير البترول في المملكة
وذلك في رأس تنورة وبطاقة إنتاجية تبلغ ٥٠, ٠٠٠ برميل يومياً « خمسين
ألف برميل » .

وزاد الإنتاج بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة ففي عام ١٩٤٥ م
بلغ الإنتاج ٩٩٦, ٣١٠, ٢١ برميلاً . وواصل الإنتاج قفزاته فارتفع من
٥٠٠, ٠٠٠ برميل يومياً في عام ١٩٤٤ وما قبلها إلى ٥٠٠, ٠٠٠ برميل
يومياً في عام ١٩٤٩ . . وظلّ يتزايد بمعدل حوالي ١٠٪ في كل عام
ابتداءً من عام ١٩٥٠ م حتى نهاية ١٩٦٩ م وفي عام ١٩٧٠ م كان

معدّل الإنتاج قد بلغ ٣,٥٤٨,٨٦٥ برميلاً يومياً . . وتضاعف الإنتاج ثلاث مرات منذ عام ١٩٧٠ م إلى عام ١٩٧٩ حيث بلغ الإنتاج ٩,٥٣٢,٥٧٢ برميلاً يومياً أنتجت آرامكو منها ٩,٢٥١,٠٧٩ . . وقامت شركة جيتي وشركة الزيت العربية المحدودة بإنتاج الباقي .

وبلغ الإنتاج الكلي للمملكة من الزيت الخام عام ١٩٧٩ م ٣,٤٧٩,٣٨٨,٧٠٢ أي ثلاثة آلاف وخمسمائة مليون برميل تقريباً بواقع ٩,٥٣٢,٥٧٢ برميلاً يومياً وكانت صادرات المملكة من الزيت الخام ٨,٨١٧,٧٢٦ برميلاً يومياً أو ٣,٢١٨,٤٦٨,٠٠٠ برميل سنوياً أما صادرات المملكة من المنتجات المكررة فبلغت ١٧٨,٣٤٣,٠٠٠ برميل سنوياً أي حوالي ٥٪ من جملة الصادرات البترولية وبذلك قفزت المملكة في مجال إنتاج وتصدير البترول لتصبح أكبر مصدر للبترول في العالم وثاني دولة في الإنتاج وتأتي مباشرة بعد الاتحاد السوفيتي الذي ينتج ١٢ مليون برميل يومياً أغلبها من باكو في أذربيجان وبقية المناطق الإسلامية الواقعة تحت الاستعمار الروسي مباشرة .

وخلاصة القول إن إنتاج البلاد الإسلامية من البترول عام ١٩٧٩

كالآتي :

- ١ - حقول باكو والجمهوريات الواقعة تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي ٢٢,٦٪ من الإنتاج العالمي .
- ٢ - المملكة العربية السعودية ١٥,٢٪ من الإنتاج العالمي .
- ٣ - البلاد العربية في الخليج « الكويت والإمارات وقطر » ٤,٢٪ من الإنتاج العالمي .
- ٤ - البلاد العربية شمال الخليج « العراق وسوريا » ٩,٦٪ من الإنتاج العالمي .
- ٥ - البلاد العربية في إفريقيا « ليبيا ومصر والجزائر » ٦,٠٪ من

الإنتاج العالمي .

٦ - الدول الإسلامية في إفريقيا « نيجيريا . . » ٤,٤ ٪ من

الإنتاج العالمي .

٧ - إيران ٥,٠ ٪ من الإنتاج العالمي .

٨ - الدول الإسلامية في آسيا « أندونيسيا وماليزيا » ٣,٠ ٪ من

الإنتاج العالمي .

ومن هذا الجدول يتبين أن البلاد العربية أنتجت ٣٥ ٪ من إنتاج
البتروال في الوقت الذي استولت فيه روسيا الشيوعية على بترول المسلمين
الواقع تحت سيطرتها وبلغ مقداره ٢٢,٦ ٪ من إنتاج البترول العالمي .
ولقد بلغ إنتاج بلاد المسلمين من البترول ٧٠ ٪ من الإنتاج
العالمي للبترول عام ١٩٧٩ م .

وإذا نظرنا إلى خريطة احتياطي البترول المؤكد وجوده عام ١٩٧٩
فإننا سنذهل للحقائق التالية :

١ - المملكة العربية السعودية ٤٨٠,٤٦٦ مليون برميل .

٢ - الكويت ٦٨,٥٣٠ مليون برميل .

٣ - الاتحاد السوفيتي « باكوببلاد المسلمين المستعمرة »

٦٧,٠٠٠ مليون برميل .

٤ - إيران ٥٨,١٠٠ مليون برميل .

٥ - المكسيك ٣١,٢٥٠ مليون برميل .

٦ - العراق ٣١,٠٠٠ مليون برميل .

٧ - أبوظبي ٢٨,٠٠٠ مليون برميل .

٨ - الولايات المتحدة الأمريكية ٢٦,٥٠٠ مليون برميل .

٩ - ليبيا ٢٣,٥٠٠ مليون برميل .

١٠ - الصين الشعبية ٢٠,٠٠٠ مليون برميل .

وإذا نظرنا إلى النسب المثوية في احتياطي البترول عام ١٩٧٩ م نجد الآتي :

- ١ - المملكة العربية السعودية ٢٦٪ .
 - ٢ - البلاد العربية شمال الخليج « الكويت والعراق » ١٥,٦٪ .
 - ٣ - البلاد العربية جنوب الخليج « الإمارات وقطر » ٥,٥٪ .
 - ٤ - البلاد العربية في إفريقيا « ليبيا والجزائر » ٥,٨٪ .
- وهكذا نجد أن البلاد العربية وحدها تمثل ٥٢,٩٪ من مخزون النفط العالمي عام ١٩٧٩ م رغم الاستنزاف الهائل الذي تم في السنوات العشر الأخيرة . . وإذا نظرنا إلى خريطة العالم سنجد أن بلاد المسلمين في روسيا تمثل ١٤٪ من المخزون العالمي للنفط وإيران تمثل ٩٪ وبلاد إفريقيا المسلمة مثل نيجيريا تمثل ٣,١٪ وأندونيسيا وماليزيا تمثل ٢٪ وبذلك نجد أن بلاد المسلمين تحتوي على ٨٢٪ من مخزون النفط العالمي .

ومن هذه المعلومات الهامة نعرف أن ثروات المسلمين البترولية واقعة تحت الاحتكارات العالمية المعادية للإسلام حيث اقتسم أعداء الإسلام ثرواته البترولية « ومثلها ثرواته الأخرى » فأخذ الاتحاد السوفييتي الشيوعي قسماً وأخذت الدول الغربية قسماً آخر وتعود السيطرة الفعلية في هذين المعسكرين في الواقع إلى اليهود أشد الناس عداءاً للإسلام والمسلمين . . فأغلب أسهم شركات البترول العالمية تعود في الواقع لليهود . . وكذلك البنوك العالمية التي يودع فيها المسلمون فائض أموالهم البترولية والتي تقول الدراسات الاقتصادية إنها تتناقص قيمتها باستمرار بسبب تذبذب قيمة الدولار والتضخم النقدي العالمي . . وأن خير وسيلة للحفاظ على هذه الثروة الناضبة هو إبقاؤها تحت الأرض وعدم استخراجها إلا بحسب الحاجة المقدرة لتلك الدول . . (انظر

مجلة الاقتصاد العربي عدد ٥٨ إبريل ١٩٨١م).

وواقع الأمر أن بترول المسلمين الواقع تحت سيطرة روسيا الشيوعية تستولي عليه دون أن تدفع أي عائد للمسلمين المستخرج البترول من أرضهم بينما تقوم الدول الغربية بإعطاء المسلمين عشرة بالمائة فقط من ثمن بترولهم المكرر وواحد بالمائة فقط من ثمن البترول المصنوع على هيئة مواد بتروكيماوية.

ومنذ أن اكتشف البترول في بلاد المسلمين والشركات الغربية تدفع الفتات وتستولي هي وحكوماتها على معظم ثمن بترول المسلمين . . فمنذ اتفاقيات وعقود الامتياز الأولى التي وقعتها إيران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية وليبيا والجزائر ومصر يتجلى بوضوح ذلك الغبن الواقع على المسلمين . . فقد كانت تلك الاتفاقيات لا تعطي لهذه الدول التي كان أغلبها مستعمراً استعماراً مباشراً أي حق في بترولها . . تلك الشركات التي تتكون باسم شركة بترول العراق أو بترول الكويت أو بترول ليبيا أو شركة البترول العربية الأمريكية أو غيرها من المسميات . . لم تكن تلك الشركات إلا شركات غربية صرفة وإن حملت اسم الدول المنتجة .

أما البلاد التي كانت واقعة تحت الاستعمار مثل الجزائر والكويت ودول الخليج وأندونيسيا ونيجيريا وغيرها من بلاد المسلمين فكان حظها مثل حظ البلاد الواقعة تحت الاستعمار الروسي أي أنها لم تكن تستلم أي مقابل .

ومنذ استقلالها بدأت تستلم عائدات مقابل بترولها وبذلك تحسّن وضعها عن بلاد المسلمين التي لا تزال تحت الاستعمار الروسي .
وفي اتفاقية ١٩٣٨ بين المملكة وشركة آرامكو نصّت الاتفاقية على إعطاء المملكة دولاراً واحداً عن كل طن أمريكي من البترول يتج

(الطن = ١,٠٠٠ لتر = ١٠٠٠ كيلوجرام أو ما يعادل ٧ براميل أمريكية).

وقامت المملكة والدول المنتجة للنفط بتغيير هذه الاتفاقيات المجحفة عدة مرات وفي عام ١٩٦٠ م كان سعر البرميل من البترول الخام ١,٨٠ دولاراً وكانت حصة المملكة منه نصف دولار فقط للبرميل الواحد .

ونتيجة لهذا الغبن الفاحش تجمعت الدول المنتجة للبترول وكونت لأول مرة تكتلاً في مواجهة الشركات البترولية الاحتكارية العالمية وفي ١٤/٩/١٩٦٠ تجمعت الدول المنتجة للنفط في تكتل الدول المنتجة للزيت « الأوبك » وبدأت الدول المنتجة تطالب بحقوقها بصورة منتظمة ومتواضعة جداً . . ورغم ذلك فقد قامت الصحافة الغربية التي يملك معظم أسهمها اليهود بحملة مروعة ضد دول أوبك كما قامت الدول الغربية بالضغط على الدول المنتجة بكافة الوسائل بما فيها الانقلابات العسكرية والتهديد المستمر باستعمال القوة .

وفي إحصائية عام ١٩٦٣ التي نشرتها منظمة الأوبك جاء فيها ما

يلي :

سعر البترول المكرر في السوق العالمية ١١ دولاراً .

حصة الدول المنتجة ٠,٧٤ دولار .

تكاليف الشحن ٠,٦٠ دولار .

تكاليف التكرير ٠,٥٠ دولار .

تكاليف التسويق وأرباح الشركة ٢,٤٠ دولار .

ضرائب للدول الغربية ٥,٧٥ دولارات .

أي إن حصة الدولة المنتجة كانت ٦,٧٪ فقط بينما كانت حصة

التسويق وأرباح الشركة البترولية ٢١,٨٪ وكانت حصة الدول الغربية

« أمريكا وأوروبا » المستهلكة للبتروول ٣, ٥٢٪ وبذلك تكون حصة الدول الغربية وشركاتها من ثمن البتروول ٧٤٪ .

وظل الأمر كذلك حتى عام ١٩٧١ حيث ارتفع سعر البرميل الخام إلى ١٨, ٢ دولار وكانت حصة الدولة المنتجة قد ارتفعت إلى ٢٦, ١ دولار وارتفع أيضاً سعر البتروول المكرر وبقيت حصة الدولة المنتجة لا تزيد عن ١٠٪ من ثمن البتروول المصنوع على هيئة بتروكيمياويات . على هيئة بتروكيمياويات .

واستمر الأمر كذلك حتى عام ١٩٧٩ م حيث بلغ سعر البتروول الخام في سوق روتردام ٤٠ دولاراً كانت حصة الدولة المنتجة مثل المملكة العربية السعودية منه ١٢ دولاراً فقط .

وفي الوقت الذي بلغ فيه سعر البرميل من البتروول المكرر ١٢٦ دولاراً (٤٢ جالون في البرميل الأمريكي بسعر ٣ دولارات للجالون) وبذلك بقيت حصة الدولة المنتجة ثابتة على حوالي ١٠٪ من ثمن البتروول المكرر وواحد بالمائة من ثمن البتروول المصنوع على هيئة بتروكيمياويات وهذا ما ذكره المستر إيكنز السفير السابق للولايات المتحدة الأمريكية في محاضراته في جامعة البتروول والمعادن وما ذكره أيضاً الدكتور غازي القصيبي عندما قال : «البتروول كان يباع بدولار واحد . . الغرب يتولى تكريره ثم يباع بعد تكريره بعشرة أضعاف قيمته» . وقد نشرت مجلة « التايم » في ١٠/٤/١٩٧٩ م أن دخل شركات البتروول الأمريكية عام ١٩٧٨ م بلغ ٣٤٦ بليون دولار .

والجدير بالذكر أن دخل المملكة في ذلك العام بلغ ٣٢ بليون دولار فقط أي إن دخل الشركات البتروولية كان أكثر من عشرة أضعاف دخل المملكة .

ورغم الارتفاع الهائل في مدخولات الدول المنتجة وخاصة

لمملكة العربية السعودية والتي كان دخلها في عام ١٩٧٠ م (٢١٤، ١) مليون دولاراً ارتفع بقفزات كبيرة عام ١٩٧٤ م فبلغ ٢٢,٥٧٣ مليون دولار ثم تضاعف المدخول عام ١٩٧٩ فبلغ ٤٨,٤٤٣ مليون دولار، لم تكن الزيادة في المدخول راجعة إلى زيادة السعر العالمي للبتروول فحسب ولكنها كانت بالنسبة للمملكة عائدة بالدرجة الأولى للزيادة في الإنتاج .

فقد كان الإنتاج عام ١٩٧٠ م ١,٣٨٦,٦٥٨,٨٣٦ برميلاً أي بمعدل ٣,٥٤٨,٨٦٥ مليون برميل يومياً تضاعف ثلاث مرات خلال الأعوام العشرة حيث وصل عام ١٩٧٩ م إلى ٣,٤٧٩,٣٨٨,٧٠٢ أي بمعدل ٩,٥٣٠,٠٠٠ برميل يومياً .

تكرير البتروول: إن البتروول المكرر في البلاد العربية المنتجة للبتروول لا يمثل إلا نسبة بسيطة من جملة إنتاجها وإليك بعض إحصائيات تكرير البتروول : (انظر الجدول ص ١١٥ .

ومن هذا الجدول يتضح أن البتروول المكرر في الدول المنتجة للبتروول يختلف . ففي الشارقة ودبي وعمان لا توجد معامل تكرير البتروول وفي قطر تبلغ الكمية المكررة ١١,٠٠٠ برميل يومياً أي ٢٪ من الإنتاج ، وفي أبوظبي ١٪ فقط بينما ترتفع النسبة إلى ٢٢٪ في الكويت وإلى ما يقرب من ٣٠٪ من الإنتاج في إيران .. بينما العراق تكرر ٥٪ فقط من بتروولها الخام وكذلك السعودية حيث تكرر ٥٪ من بتروولها .. وهناك بعض الدول مثل مصر التي تكرر ٤٠٪ من بتروولها أما البحرين فتكرر كمية أكبر من إنتاجها حيث يبلغ مقدار المكرر ٢٥٠,٠٠٠ برميل يومياً بينما تنتج ٥٠,٠٠٠ برميل فقط .. والبحرين تمتلك معمل تكرير ضخم أنشأته الشركات الأجنبية منذ نهاية الثلاثينات لتكرير البتروول الخام من الكويت والسعودية والإمارات .

خريطة بيانية مقارنتة
لاحتياطي النفط
MAP SCALED TO SHOW
COMPARATIVE OIL RESERVES



احتياط الزيت

ولا تزال معامل التكرير في معظم البلاد العربية تمتلكها الشركات الغربية وبعضها تشترك فيها الدول مع الشركات . . وتعود ملكية بعضها كاملة إلى تلك الدول فأيران واليمن الجنوبية والجزائر والعراق والأردن ومصر تمتلك معامل التكرير ملكية كاملة . . وسوريا تمتلكها شبه كاملة . . بينما نجد المملكة العربية السعودية مشاركة للشركات إذ تبلغ حصة المملكة في مصفاة رأس تنورة ٦٠٪ و ٤٠٪ لأرامكو بينما تعود مصفاة سعود والخفجي بنسبة ٢٥٪ للمملكة و ٧٥٪ لشركة جيتي . . وهي أيضاً بالمشاركة في البحرين والكويت ولبنان وليبيا والمغرب .
ومرة أخرى تبدو أهمية تكرير البترول وتصنيعه وهذا ما بدأت تنفذه المملكة بخطوات سريعة قوية حيث أقيم العديد من مصافي البترول وآخرها مصفاة رابع ذات الطاقة التكريرية الهائلة التي تبلغ ٣٣٠,٠٠٠ برميل يومياً كما أن مشاريع الجبيل وينبع واستغلال الغاز وإقامة الصناعات البتروكيمياوية تؤكد عزم المملكة على الاستفادة الكاملة من

ثرواتها وأنها تسير في الطريق الصحيح لامتلاك ثرواتها واستغلالها
استغلالاً في صالح المملكة وصالح الأمة الإسلامية بأكملها .

عدد معامل التكرار	الزيت المكرر عام ١٩٧٩	إنتاج الزيت الخام عام ١٩٧٩
٤	٥٥٠,٠٠٠	السعودية ٩,٥٣٠,٠٠٠ برميل يومياً
٧	١٦٤,٠٠٠	العراق ٣,٤٥٠,٠٠٠ برميل يومياً
٤	٩٢٠,٠٠٠	إيران ٣,١١٠,٠٠٠ برميل يومياً
٤	٦١٥,٠٠٠	الكويت ٢,٤٩٠,٠٠٠ برميل يومياً
٥	١٣٨,٠٠٠	ليبيا ٢,٠٦٠,٠٠٠ برميل يومياً
١	١٤,٠٠٠	أبوظبي ١,٤٦٤,٠٠٠ برميل يومياً
٣	١٢٢,٠٠٠	الجزائر ١,١١٦,٠٠٠ برميل يومياً
٦	٢٣٤,٠٠٠	مصر ٥٠٦,٠٠٠ برميل يومياً
١	١١,٠٠٠	قطر ٥٠٠,٠٠٠ برميل يومياً
-	لا شيء	دبي ٣٦٠,٠٠٠ برميل يومياً
-	لا شيء	عمان ٢٩٥,٠٠٠ برميل يومياً
٢	٢٢٣,٠٠٠	سوريا ١٦٠,٠٠٠ برميل يومياً
١	٣٤,٠٠٠	تونس ١٠٠,٠٠٠ برميل يومياً
١	٢٥٠,٠٠٠	البحرين ٥٠,٠٠٠ برميل يومياً
-	لا شيء	الشارقة ١٤,٠٠٠ برميل يومياً
١	١٧٥,٠٠٠	دول غير متجة للبترول : اليمن الجنوبي
٢	٧٢,٠٠٠	المغرب
٢	٥٣,٠٠٠	لبنان
١	٢١,٠٠٠	الأردن

العالم الإسلامي يسيطر على مصادر البترول والغاز في العالم (*)

يطلق اسم الغاز الطبيعي على مجموعة من الغازات الهيدروكربونية (أي مكونة من ذرة فحم وماء وتسمى حسب الترجمة العربية فحماثيات) وأهمها غاز الميثان . . وهو الغاز الذي يُعرف باسم غاز المستنقعات . .

وتوجد هذه الغازات في خزانات جوفية في حالة غازية أو حالة ذائبة في البترول وتدعى عندئذٍ محللول الغاز . .

وقد توجد هذه الغازات مع البترول الخام وتسمى عندئذٍ الغازات المصاحبة للبترول أو توجد دون مصاحبة للبترول وتعرف عندئذٍ باسم الغاز (الوحيد) . والغاز المصاحب للبترول إما أن يكون حراً فوق البترول مكوناً غطاءً غازياً أو يكون ذائباً في النفط الخام . . ويعتمد إنتاج هذا الغاز الذائب على إنتاج البترول وإذا توقف إنتاج البترول توقف معه إنتاج الغاز بطبيعة الحال .

وفي بعض الحالات يحتوي الغاز الطبيعي على نسبة من الغازات غير الهيدروكربونية التي تعتبر كشوائب .

ويوجد مع غاز الميثان عادة نسب صغيرة من الغازات

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

الهيدروكربونية الثقيلة التي يمكن بسهولة تحويلها إلى حالة سائلة عند التبريد أو بالضغط . . . وتعرف هذه الغازات ذات الذرات العديدة من الكربون باسم « الغازات الرطبة » التي تساعد على استخلاص البنزين الطبيعي « الغاز الطبيعي المسال » والغازات البترولية السائلة مثل البروبين والبوتين . . . وهي التي تستخدم في أسطوانات الغاز (أنابيب الغاز) المنزلية والتي لا يخلو منها مطبخ في أي مدينة . . .

وبما أن نقل الغاز يواجه كثيراً من الصعوبات فإن التجارة الدولية في الغاز كانت ولا تزال أقل بكثير مما هي عليه في البترول . . . ولا يزال البترول يحتل الصدارة كمصدر للوقود لأنه سهل النقل ويمكن بتكريره أن ينتج أنواعاً مختلفة من المنتجات البترولية التي تحتاجها الأسواق ، وكذلك فإن محتوى البترول من الطاقة أعلى بكثير من محتويات الغاز . لهذا كله كان نقل الغاز لا يتم إلا عبر خطوط برية وذلك حتى بداية الستينات من هذا القرن . . . ثم تطورت وسائل نقله عبر المحيطات واتسع بذلك مجال تصدير الغاز ودخل كمنافس للبترول .

ونتيجة للعوامل السابقة فقد كان الغاز المصاحب للبترول يحرق هدراً في معظم الدول المنتجة للبترول . . . وفي دراسة إحصائية نشرتها جلف تايمز القطرية (ونقلتها عنها جريدة المدينة في ١٧/١٠/١٤٠١هـ) تبين أن ثمانين عشرة دولة منتجة للبترول تفقد سنوياً ما قيمته مائة بليون دولار نتيجة لحرق الغاز . . . ومعظم هذه الدول التي تحرق الغاز هي للأسف دول إسلامية .

ولقد كانت المملكة العربية السعودية من الدول المنتجة للبترول والتي تهدر فيها وتحرق كميات كبيرة من الغاز . . . وذلك ما حدا بالشيخ أحمد زكي اليماني وزير البترول السعودي ليقول أثناء افتتاح مركز الجمعية بالمنطقة الشرقية لتجميع الغاز «لقد كانت قلوبنا تحترق عندما

كنا نرى هذه الثروة تحترق .

وذلك أيضاً ما حدا بالدكتور يوسف التركي المسؤول عن المنشآت البترولية وصناعاتها في مدينة ينبع إلى القول : « إن المملكة العربية السعودية لن تهدر في عام ١٤٠٤ هـ ثروة الغاز الطبيعي . . كما أن هذه الثروة لن تحرق ولن تضيع هدرأ حيث ستستخدمها المملكة استخداماً جيداً يعود بالنفع والخير على هذه البلاد » وأضاف قائلاً : « المعروف أن المملكة كانت تحرق ثروة غالية وهي الغاز نتيجة للظروف التي كنا فيها في الوقت السابق . وسوف يبدأ في عام ١٤٠٤ هـ مصنع البتروكيماويات الذي يعتمد اعتماداً أساسياً على ثروة الغاز الطبيعي التي كانت تهدر وتحرق في وقت سابق » .

ولا شك أن تنبه المملكة ودول الخليج المنتجة للبتترول إلى أهمية هذه الثروة التي كانت تهدر وتحرق أمر يبعث على التفاؤل .
ومما يبعث على التفاؤل أيضاً هذا الاهتمام الشديد بالصناعة البترولية وبإقامة معامل للتكرير وإقامة صناعة بتروكيماوية ضخمة في ينبع والجبيل وبما أن صناعة البتروكيماويات تعتمد على الغاز الطبيعي إلى حد كبير وذلك لأن الغاز يدخل في صلب هذه الصناعة حيث يحول إلى ميثانول ثم إلى إيثانول ويحول جزء منه إلى غاز النشادر الذي يحول بدوره إلى مواد أخرى معقدة مثل اليوريا التي تستخدم في صناعة الأسمدة والبوليثلين الذي يستخدم في صناعات متعددة ومنها الأنسجة والأقمشة وأنواع البوية والأدوية والعمطور . . إلخ . ويستخدم الغاز أيضاً كمصدر للطاقة لهذه الصناعة الهامة والمعقدة . . ونتيجة لوفرة الغاز في المملكة فإن ذلك سيجعل للمملكة القدرة على المنافسة العالمية حيث تكلفه الغاز تبلغ عشرة أضعاف تكلفتها في المملكة .
وتعتزم المملكة أن تستفيد من غازها الذي كان يحرق والذي

سيستمر إحراق كمية كبيرة منه حتى عام ١٤٠٤ هـ عندما تكتمل المنشآت وخط أنابيب ينبع الذي سينقل الغاز من المنطقة الشرقية إلى المنطقة الغربية حيث سيستخدم جزء منه في صناعة البتروكيماويات ويصدر الباقي للخارج على هيئة سائلة ..

وسنعود للحديث عن سياسة تكرير البترول وإقامة الصناعات البتروكيماوية في مقال آخر لأهميته البالغة .. ونحن هنا فقط نسجل سرورنا البالغ لهذا الاهتمام بأمر الصناعات الكيماوية وتكرير البترول الذي طال انتظارنا له .. والذي يشكّل حجر الزاوية في بناء اقتصاد سليم للأجيال القادمة ..

وإذا نظرنا إلى إحصائيات الغاز التي نشرها البنك الدولي في تقريره « الطاقة في البلدان النامية » أغسطس ١٩٨٠ فإننا سنذهل للحقائق التالية :

١ - يقدر الاحتياطي العالمي للغاز الطبيعي (عام ١٩٨٠) « بحوالي ٤٥٦ بليون برميل » من المكافئ البترولي (والبرميل من المكافئ البترولي هو كمية الغاز التي تنتج طاقة معادلة لبرميل من البترول) ... ومعنى ذلك أن احتياطي الغاز الثابت وجوده يعادل ٧٢٪ من جملة احتياطي البترول الثابت وجوده .

وبما أن البحث عن الغاز خارج الولايات المتحدة وأوروبا الغربية والاتحاد السوفييتي لم يجر على نطاق واسع فإن المصادر العلمية تقدر الغاز الموجود في العالم بـ « ١٩٠٠ بليون برميل » من المكافئ البترولي ..

٢ - تقول الإحصائيات إن ٤٠٪ من الغاز المصاحب للبترول يحرق هدرًا (في معظم البلاد المنتجة للبترول من العالم الثالث) .

٣ - تذكر الإحصائيات أن الإحتياطي العالمي من الغاز (سواء

كان مصاحباً للبتروول أو غير مصاحب) بلغ عام ١٩٨٠ « ٤٥٦ بليون برميل » من المكافئ البتروولي حصة الدول الصناعية الغربية (أمريكا وأوروبا) منها ٨٠,٨٤ بليون أي ١٨٪ وحصة الاتحاد السوفيتي والصين ١٦٨ بليون أي ٣٧٪ وحصة دول الأوبك « ومعظمها دول إسلامية » ١٧٧,٧٥٠ بليون أي ٣٩٪ وحصة بقية دول العالم ٢٩ بليون أي ٦٪ فقط ..

٤ - تذكر الإحصائيات أن ٤٠٪ من جملة إنتاج الغاز المصاحب للبتروول تحرق ولكن التدقيق في هذه الإحصائيات يوضح أن الولايات المتحدة لا تحرق إلا ٥٪ فقط من الغاز المصاحب بينما تحرق الدول الإفريقية المنتجة للبتروول ٨٠٪ من هذا الغاز وتحرق دول الشرق الأوسط (أي الدول العربية وإيران) ٥٩٪ من هذا الغاز ..

ويبلغ ثمن هذا الغاز الذي يحرق هدرًا مائة بليون دولار (حسب دراسة نشرتها جلف تايمز القطرية ونقلتها عنها جريدة المدينة في ١٧/١٠/١٤٠١هـ) .

٥ - يشكل الغاز الطبيعي المنتج مصدرًا للطاقة بما يعادل ٨٩٠٠ مليون برميل من المكافئ البتروولي عام ١٩٧٨ . . . استخدمت البلاد الغربية (الولايات المتحدة وأوروبا) ٥٦٠٠ مليون برميل واستخدمت الدول الشيوعية ٢٥٠٠ مليون برميل واستخدمت بقية دول العالم ٨٠٠ مليون برميل فقط . . وهذا يوضح مدى استخدام الطاقة بكافة أشكالها في البلاد المتقدمة صناعياً . . والبلاد المتخلفة ؛ إذ إن هذه الدول المتقدمة تستهلك أكثر من ٩٠ بالمئة من جملة الطاقة المنتجة وتترك لبقية دول العالم العشرة بالمئة الباقية .

٦ - يقدّر خبراء البنك الدولي أن أرخص اختيارات الطاقة في

البلدان النامية هي الغاز الطبيعي وبالأخص الغاز الطبيعي المصاحب للبترو . .

٧ - سيشهد العالم مزيداً من إنتاج الغاز المصاحب للبترو مع ارتفاع إنتاج البترو في الثمانينات . . وتدرک البلاد المنتجة للبترو مدى الخسارة الهائلة التي تلحق بها نتيجة حرق الغاز . . ولذلك نرى في البلاد المنتجة للبترو اتجاهاً قوياً للحفاظ على هذه الثروة المهدرة والتي تحرق عبثاً . .

ولهذا فإنه من المنتظر نتيجة للسياسة الحكيمة التي تنتهجها الدول المنتجة للمحافظة على هذه الثروة من الغاز أن تزداد الكمية المصدرة من غاز البترو السائل من ١٠٥ مليون برميل من المكافئ البترولي عام ١٩٧٨ إلى ٥٤٥ مليون برميل في عام ١٩٩٠ وتزداد الكمية المصدرة من الغاز الطبيعي المسال (وهو غاز الميثان المسال بالتبريد حتى درجة ١٦١ درجة تحت الصفر مئوية أو ٢٨٥ تحت الصفر فهرنهايت) من ١٥٠ مليون برميل من المكافئ البترولي عام ١٩٧٨ إلى ٦٥٠ مليون برميل عام ١٩٩٠ . .

وستكون معظم هذه الزيادة في الإنتاج هي من نصيب دول أوبك . وإذا بذلت جهود مخلصمة ومكثفة فإن إنتاج غاز البترو السائل والغاز الطبيعي المسال يمكن أن يساهما بما يعادل ألف مليون برميل من البترو عام ١٩٩٠ .

٨ - تقول الإحصائيات لعام ١٩٧٩ إن الدول الإسلامية لا تنتج حالياً إلا ٧٪ من جملة إنتاج الغاز العالمي . ويبلغ إنتاج الدول الإسلامية مجتمعة ٣٦٧٧,٧ ألف مليون قدم مكعب بينما يبلغ الإنتاج العالمي ٥٢٣٧٣,٦ ألف مليون قدم مكعب . .

والسبب في هذه النسبة المنخفضة هو أن معظم الدول الإسلامية

المنتجة للغاز المصاحب للبترول تحرقه في الهواء هدراً .

هذا في الوقت الذي تنتج فيه الدول العربية ٣٥٪ من جملة إنتاج البترول العالمي عام ١٩٧٩ . . وإذا أدخلنا الدول الإسلامية الأخرى مثل إيران وأندونيسيا ونيجيريا فإن الدول الإسلامية تكون قد أنتجت عام ١٩٧٨ ما يعادل ٤٨٪ من جملة إنتاج النفط العالمي .

أما إذا أدخلنا المناطق الإسلامية الواقعة تحت الاستعمار الروسي والصيني فإن جملة الإنتاج البترولي من البلاد الإسلامية والمناطق الإسلامية الداخلة في الاتحاد السوفيتي (أذربيجان وتاريا وبشكيريا وقازاقستان والذين الشعبية (إقليم سينكيانج أو التركستان الشرقية) تصل إلى ٧٣٪ . أما احتياطي البترول الثابت وجوده عام ١٩٧٩ فإن الدول العربية وحدها تحتفظ بـ ٥٣٪ من جملة الاحتياطي العالمي . .

وإذا أضفنا إلى ذلك الاحتياطي ما لدى الدول الإسلامية والمناطق الإسلامية في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية فإن الأمة الإسلامية تخزن ٨٣٪ من جملة احتياطي العالم من البترول . .

٩ - تقول الإحصائيات إن احتياطي الغاز العالمي الثابت وجوده عام ١٩٧٩ بلغ ٢٥٠٢٠١٠ بليون قدم مكعب كان نصيب الدول الإسلامية منه ٩٥٩١٩٠ بليون قدم مكعب أو ٣,٣٪ منه .

وإذا أدخلنا المناطق الإسلامية الواقعة تحت الاستعمار الروسي (وهي أذربيجان والقوقاز والتركستان وتاريا وبشكيريا وبعض مناطق سبيريا) والواقعة تحت الاستعمار الصيني وهي إقليم سينكيانج (التركستان الشرقية) فإن نصيب المسلمين من هذه الثروة يرتفع ليصل إلى ٧٠٪ من جملة احتياطي الغاز الطبيعي .

وقد نشرت آرامكو (حقائق وأرقام عام ١٩٧٩) قائمة بأسماء الدول العشر الأولى في احتياطي الغاز الثابت وجوده عام ١٩٧٩

وهي كما يلي :

- ١ - الاتحاد السوفيتي ٩٠٠,٠٠٠ بليون قدم مكعب ومعظمه واقع في المناطق الإسلامية حول بحر قزوين وفي تاتاريا وبشكيريا وسيبيريا (جزء منها يقطنه المسلمون) .
- ٢ - إيران ٤٩٠,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ٣ - الولايات المتحدة ١٩٤,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ٤ - الجزائر ١٣٢,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ٥ - المملكة العربية السعودية ٩٥,٧٣٠ بليون قدم مكعب .
- ٦ - كندا ٨٥,٥٥٠ بليون قدم مكعب .
- ٧ - قطر ٦٠,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ٨ - هولندا ٥٩,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ٩ - المكسيك ٥٩,٠٠٠ بليون قدم مكعب .
- ١٠ - فنزويلا ٢٤,٨٠٠ بليون قدم مكعب .

وهذا الجدول يؤكد ما سبق أن قلناه إن احتياطي الغاز العالمي الثابت وجوده عام ١٩٧٩ إنما يكمن بالدرجة الأولى في البلاد الإسلامية والمناطق الإسلامية الواقعة في الاتحاد السوفيتي .

وتذكر إحصائيات آرامكو (حقائق وأرقام ١٩٧٩) احتياطي شركة آرامكو من الغاز في المملكة العربية السعودية فتقول إنه بلغ ٦٥,٨٦١ بليون قدم مكعب وذلك في ١٩٧٩ .

الخلاصة : مما تقدّم يبدو بوضوح أن الثروات البترولية وثروات الغاز المصاحب (وغير المصاحب) إنما تكمن في البلاد الإسلامية والمناطق الإسلامية الواقعة في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية .

وحتى لو أبعدهنا هذه المناطق الإسلامية التي تستعمرها روسيا والصين من حسابنا لعدم قدرتنا في المستقبل المنظور على تحريرها فإن

البلاد الإسلامية المستقلة (ظاهرياً على الأقل) تنتج حالياً ٤٨٪ من إنتاج النفط العالمي وتنتج ٧٪ من إنتاج الغاز العالمي لأنها تحرقه للأسف . . بينما يبلغ احتياطي الدول الإسلامية (دون ذكر المناطق الواقعة في الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية) ٦٧٪ وبلغ احتياطي الدول العربية فقط ٥٢,٩٪ من جملة الاحتياطي العالمي الثابت وجوده عام ١٩٧٩ .

أما بالنسبة للغاز فتقول إحصائيات ١٩٧٩ إن حصة البلاد الإسلامية (دون ذكر المناطق الواقعة في الاتحاد السوفيتي أو الصين) من الاحتياطي العالمي من الغاز الثابت وجوده عام ١٩٧٩ هي ٣,٣٪ ومعنى ذلك ببساطة أن البلاد الإسلامية تسيطر على مصادر البترول والغاز في العالم . . وللأسف الشديد نجد أن المسلمين هم أقل المستفيدين من هذه الثروات الهائلة . . وصدق رسول الله حيث يقول : « توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها » فقالوا : أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : « لا بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

وها هي الأمم تتداعى علينا كما تداعى الأكلة على قصعتها فلا تكاد تترك منها شيئاً . .

ولكننا نرى بوادر صحوة إسلامية في كافة المجالات لتمنع هذه الأكلة من أن تأكل ما في قصعتنا . .

وهذه المشاريع الضخمة في ينبع والجبيل وفي الخليج وفي كافة البلاد الإسلامية المنتجة للبترول تؤكد أننا سائرون في الطريق الصحيح لاستخلاص ثرواتنا من أيدي الأكلة .

ومما يدل على هذه الصحوة هذا التصميم الذي نراه للاستفادة ولو جزئياً من ثرواتنا البترولية والغازية المهجرة . وسأنقل للقارئ الكريم

نص ما قاله الدكتور غازي القصيبي وزير الصناعة في المملكة العربية السعودية لطلبة جامعة البترول والمعادن في محاضراته القيّمة التي نشرتها المدينة في ١٧/١١/١٤٠١ هـ - (١٥/٩/١٩٨١ م).

« نحن نسأل أي منصف هل يستكثر على أهم دولة في العالم بترولياً (يقصد المملكة العربية السعودية) أن تُقيم صناعة بتروكيماوية لا تصل حتى إلى ٥٪ من الناتج العالمي ؟ هل هذا إغراق للعالم بالبتروكيماويات ؟ أم إنّ المسألة أنه يُراد لنا أن نبقى إلى الأبد أسارى في ربكة التخلف التكنولوجي . . أقول لكم وقد قلت علناً ومراراً نحن أحقّ الناس بالصناعات البتروكيماوية . العصر الذي كانت مواردنا البترولية فيه تذهب خاماً وتكرّر وتصنّع في الخارج ثم تعود إلينا بعشرة أضعاف ثمنها انتهى . . عصر البترول الذي كان يذهب بدولارين ويصنّع في أوروبا ويُباع كمواد مكرّرة وبتروكيماوية تبلغ أضعاف السعر قد انتهى بلا رجعة . . ولن نقبل بعد اليوم أن تتم الصناعة البتروكيماوية خارج حدودنا . . نحن أحقّ ببترونا وغازنا . . وسوف نصنع هذا » .

نعم نحن مع القصيبي في كل كلمة أوردتها . . ولا بد أن نصنع هذا وإلاً فسنبقى أسارى التخلف والدول الصناعية الكبرى .

تكرير البترول وتصنيعه يحمي هذه الثروة من الأكلة (*)

يقول الدكتور غازي القصيبي في مؤتمره الصحفي بالجبيل (نشرته المدينة في ٢٩/١٠/١٤٠١هـ) « إن قطعة الخشب الملقاة في الشارع لا قيمة لها . . ولكن إذا حوّلتها إلى دمية أصبحت لها قيمة تساوي ٥ ريالات مثلاً ، وإذا حوّلتها إلى قطعة دقيقة زادت قيمتها إلى ١٠ ريالات . . وكذلك الحال في الكتلة الحديدية . . فكيف هو الحال بالبترول ؟

البترول كان يُباع بدولار واحد للبرميل (حتى عام ١٩٦٠ م) . . الغرب يتولّى تكريره ثم يباع بعد تكريره بعشرة أضعاف قيمته . . الغاز لم تكن نحن نستفيد منه .
الآن نحن نقوم بإضافة قيمه لاقتصادنا بتصنيعنا لبترولنا . . وباستغلالنا للغاز وبيعه بعد أن كان يحرق هدرًا .

يوضح هذا الكلام ما يعتمل في صدور النخبة المفكرة من الشباب العربي الواعي والمقدّر لثروات وطنه التي كان يضيع الكثير منها هدرًا . .

ولا شك أن طريق التكرير ثم تصنيع المنتجات النفطية بإقامة

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

صناعات بتروكيماوية هو السياسة الحكيمة التي ينبغي أن تسارع في إنشائها وتعميق ما هو موجود منها . .

ولهذا نرى الدول العربية المنتجة للبتترول تسارع في هذا الاتجاه الصحيح الذي أهمل لفترة طويلة من الزمن . .

ففي المملكة العربية السعودية تقوم الآن مشاريع ضخمة جداً في المنطقة الشرقية مركزها الجبيل وفي المنطقة الغربية ومركزها ينبع . . وذلك لإقامة صناعة بترولية ذات طاقات كبيرة لتكرير البترول وتصنيعه . . واستخدام الغاز الذي كان يضيع هدراً في الصناعات البتروكيماوية البالغة الأهمية . . وآخر هذه المشاريع كان مصفاة (رابغ) بين بترومين / وبترولا . .

ورغم الصعوبات والعراقيل التي قامت في وجه هذه المشاريع وخاصة من الشركات الغربية الكبرى التي حاولت تعويق التصنيع فإن المملكة خطت خطوات صحيحة في طريق التصنيع . . وذلك بإعطاء حوافز للشركات التي ترغب في المشاركة في هذه المشاريع . . وذلك بإعطائها كمية من البترول السعودي بسعره المنخفض لتبنيه في السوق العالمية بسعر مرتفع (انظر تصريح د . القصيبي في جريدة المدينة العدد ٥٣٠١ والعدد ٥٣١٦) . . وذلك في الفترة الأولى لتشجيع هذه الشركات . .

وبعد أن أثبتت هذه المشاريع جدواها من الناحية الاقتصادية وأرباحها الكبيرة سارعت كثير من الشركات للمساهمة فيها ومنعت الحوافز المعطاة (مثل البترول) .

وتبقى أمام المملكة ودول الخليج الأخرى مشكلة العمالة ومشكلة الكادر الفني ذي الكفاءة العالية . .

ورغم أن هناك جهوداً مخلصاً في توسيع نطاق الكفاءات المحلية

يتمنون الإقامة فيه . . لأن فيه مهوى الأفتدة ومهبط الوحي ونور الرسالة
المحمدية . .

ولا شك أن فتح الباب أمام الأدمغة المهاجرة إلى أمريكا وأوروبا
سيساعد دول الخليج على تنفيذ مشروعاتها الطموحة في استغلال هذه
الثروة الهائلة والناضبة . . وتحويلها إلى قاعدة متينة للتطور الصناعي . .
ومن دول مستوردة لكل شيء إلى دول منتجة لكثير من المنتجات وخاصة
منها البتروكيماوية . . (صرح الدكتور القصيبي بأن المملكة تستورد ما
قيمته أربعين بليون دولار سنوياً من البضائع المختلفة) .

ورغم وجود العديد من معامل التكرير في البلاد العربية إلا أن
طاقاتها الإجمالية هي أقل من ٢,٤٠٠,٠٠٠ برميل يومياً ويدخل في ذلك
المصافي الموجودة في البلاد العربية غير المنتجة للبترو - بينما يبلغ
الإنتاج اليومي للبلاد العربية من البترول الخام ٢٤ مليون برميل يومياً . .
مما هو موضح في الجدول التالي . . ومعنى ذلك أن البلاد العربية
الممتدة من المحيط إلى الخليج لا تكرر إلا عشرة بالمائة فقط من
مجموع إنتاجها النفطي . .

وفي إحصائيات عام ١٩٧٩ م كان إنتاج المملكة اليومي من
البترول الخام ٩,٥٣٠,٠٠٠ برميلاً وكان مجموع الزيت المكرر في
منشآتها الأربعة للتكرير ٥٥٠,٠٠٠ برميل يومياً أي ما يوازي خمسة بالمائة
من إنتاجها فقط . .

ويؤمل بعد قيام مشروعات الجبيل وينبع أن يتم تكرير وتصنيع ٥
بالمائة أخرى فيكون بذلك إجمالي الكمية المكررة من البترول مليون
برميل يومياً أو عشرة بالمائة من إنتاجها الحالي .

ورغم أن هذه النسبة لا تزال متدنية حتى بعد إتمام مشاريع
الجبيل - ينبع إلا أنها تعد خطوة هامة إلى الأمام وخاصة أنها تستخدم

الغاز الذي كان يضيع هدراً . . . وستنمي الكفاءات والكوادر العلمية والفنية اللازمة لإقامة صناعة بترولية متكاملة في المستقبل . . .

ويبدو من إحصائيات عام ١٩٧٩ م أن بعض الدول الخليجية قد خطت خطوات جيدة في سبيل تكرير بترولها بينما نرى دولاً أخرى خليجية لا تزال متخلفة في هذا الصدد . . . فنرى الكويت مثلاً تكرر ٢٢ بالمائة من بترولها الخام بينما نرى أبوظبي لا تكرر سوى واحد بالمائة . . . ونرى العراق تكرر ٥٪ من بترولها بينما نرى جارتها إيران تكرر ٣٠٪ من بترولها . . .

ورغم أن معامل التكرير هذه ليست عربية مائة بالمائة فإننا نعتبر أن ذلك مكسب عظيم حتى ولو كانت ملكية بعض هذه المعامل تابعة للشركات الغربية بالكامل . . . والواقع أن أكثر من نصف هذه المعامل هي عربية صرفة . . . بينما نرى بعض المصافي تشترك في ملكيتها الدولة والشركات الغربية ونرى بعضها ملكيتها الكاملة للشركات الغربية . . .

ولا شك أن الإسراع بمشاريع تكرير البترول وصناعته ينبغي أن تكون الشغل الشاغل للدول المنتجة للبترول . . . ومما يسر حقاً أن نقرأ أخباراً تدل على وجود هذا الاتجاه لدى الدول الخليجية . . . ففي ١١/٤/١٩٨١ م وقعت المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين عقداً بمبلغ ٦٠٠ مليون دولار لإقامة مصفاة بالمنامة في البحرين . . . وفي شهر مارس ١٩٨١ م عقدت أيضاً اتفاقية لإقامة صناعة بتروكيماوية في البحرين بين الدول الثلاث المشار إليها بمبلغ ٣٥٠ مليون دولار ، الذي سينتج عند تشغيله عام ١٩٨٤ م ألف طن من النشادر وألف طن من الميثانول يومياً . . . وسيستخدم الغاز الطبيعي الموجود في البحرين في هذه الصناعة .

أقل إنتاجاً وأكثر كلفة

وينبغي الانتباه إلى نوعية معامل تكرير البترول منذ لحظة إنشائها ذلك لأن هناك نوعين من معامل التكرير كما يذكر ذلك تقرير للبنك الدولي باسم الطاقة في البلدان النامية (أغسطس ١٩٨٠ م) . . ونقل لك نص ما قاله هذا التقرير :

(تمثل معامل تكرير البترول حلقة أساسية في تحويل الزيت الخام إلى منتجات بترولية مصفاة مثل البنزين ووقود الديزل والكيروسين وزيت الوقود التي يحتاج إليها المستهلكون . . وتتنوع هذه المعامل من حيث حجمها ومدى تعقدها تنوعاً كبيراً . . فالمصافي الضخمة المعقدة في البلدان المتقدمة لها طاقة تشغيلية أولية تصل من ١٠٠ ألف إلى ٦٠٠ ألف برميل في اليوم . . أما المصافي القائمة في البلدان النامية مع بعض الاستثناءات مثل البرازيل والمكسيك فتقل طاقتها عن ١٠٠ ألف برميل يومياً . . والكثير منها لا تزيد طاقته عن ٢٠ ألف إلى ٥٠ ألف برميل يومياً) .

ويتبين لنا من هذه الدراسة أن طاقة التكرير في معمل في البلاد النامية تصل إلى سدس طاقة التكرير في معمل في البلاد المتقدمة . . فطاقة التكرير الحالية (في المعدل) في البلاد النامية هي ٢٠,٠٠٠ برميل يومياً أو مليون طن سنوياً بينما نرى طاقة التكرير في معمل في البلاد المتقدمة هي ١٢٠,٠٠٠ برميل يومياً أو ستة مليون طن سنوياً . .

ليس هذا فحسب بل إن تكلفة الاستثمار للبرميل في البلاد النامية هي ضعف تكلفة الاستثمار للبرميل في البلاد المتقدمة (٤,٤٥ دولارات للبلاد النامية ودولارين للبلاد المتقدمة) . . وكذلك التكلفة التشغيلية لإنتاج برميل من البترول المكرر في البلاد النامية هي

ضعف تكلفة الإنتاج في البلاد المتقدمة . . (٤,٥ دولارات للبلاد
النامية و ٢,١ دولار للبلاد المتقدمة) .

ويرجع ذلك إلى ضخامة معامل التكرير في البلاد المتقدمة .
وينتج عن ذلك خفض كلفة الإنتاج وكلفة الاستثمار بالنسبة للبرميل
الواحد من النفط المكرر .

وإذا كانت كثير من الدول النامية لا تستطيع أن تُقيم المعامل
الضخمة للتكرير بسبب كلفتها الإجمالية العالية وبسبب عدم توفر النفط
الخام لديها بالكميات الكبيرة . . وكذلك بسبب عدم وجود أسواق محلية
وخارجية للمنتجات الضخمة فإنَّ هذه العوامل جميعها غير موجودة
بالنسبة للدول البترولية الغنية مثل المملكة العربية السعودية ودول
الخليج والعراق وليبيا والجزائر ونيجيريا . . ولهذا فإنَّ إقامة معامل تكرير
البتروك ينبغي أن تدرس دراسة وافية وفي رأينا أنَّ هذه الدول المنتجة
للبتروك بكميات وفيرة لديها القدرة على إيجاد وتشغيل معامل تكرير
ضخمة مثل الموجودة في البلاد المتقدمة . ولا شك أنَّ في ذلك فوائد
متعددة وأولها خفض كلفة الاستثمار وخفض كلفة الإنتاج للبرميل الواحد
من النفط المكرر إلى أقل من نصف التكلفة التي تحتاجها المعامل
الصغيرة . . كما أنَّ عدد العمال بالنسبة لإنتاج طن من البتروك المكرر
هي أقل في المعامل الضخمة منها في المعامل الصغيرة . . لأنَّ المعامل
الضخمة الحديثة تعتمد على التقنية الحديثة العالية المبرمجة بالحاسب
الالكتروني . . (لا نحب استخدام كلمة العقل الالكتروني لعدم
دقَّتها) .

وإذا أضفنا إلى معلوماتنا حقيقة أخرى وهي أنَّ معامل التكرير
الموجودة في البلاد النامية صغيرة وذات أشكال بسيطة تتألف من وحدات
للتقطير ولا تتمتع بطاقة كبيرة لتحويل زيوت الوقود الثقيلة إلى منتجات

خفيفة فإن ذلك يعني أن هذه المعامل تستخدم زيوتاً خفيفة لتكريرها . .
وهذه الزيوت الخفيفة أغلى من الزيوت الثقيلة ولذلك فإن المكاسب
التي تعود من تكريرها أقل من المكاسب التي تعود من تكرير الزيوت
الثقيلة الأرخص سعراً .

وكذلك فإن معامل التكرير في البلاد النامية تواجه مشاكل في كفاءة
التشغيل وإلى أنها تخدم الأسواق المحلية فقط والتي تحدّد طلباتها
بنوعيات معينة من البترول المكرر التي غالباً ما تكون من المواد المقطّرة
الخفيفة . . وبذلك تكون أكثر كلفة . . لأنها تحتاج منذ البداية إلى
استخدام الزيوت الخفيفة المرتفعة الثمن . .

ويضيف تقرير البنك الدولي أن معامل التكرير في البلاد النامية
كثيراً ما تواجه صعوبة في كفاءة الإنتاج نتيجة للفضوئى الإدارية وعدم
خبرة العاملين والعيوب الموجودة في التصاميم والعيوب الموجودة في
الآلات . . وعدم وجود قطع الغيار الكافية للآلات الموجودة . . وعدم
إصلاح ما يعطب منها بسرعة وكفاءة . .

ونتيجة لهذه العوامل مجتمعة فإن كلفة إنتاج المواد البترولية
المكررة محلياً مرتفعة جداً بلا مبرر .

لهذا أحيينا أن نورد هذه المشاكل التي تعاني منها البلاد النامية
لنضعها أمام المسؤولين حتى يتجنّبوها . . ولا شك أن لديهم دراسات
واسعة عن هذا الموضوع .

أنسب المعامل للمملكة والدول المصدّرة للمنظ

ومن هذا كله نرى أن أنسب معامل التكرير للبلاد المنتجة للبترول
مثل المملكة العربية السعودية ودول الخليج وبقية دول « أوبك » هي
المعامل الضخمة لتكرير البترول لقلّة كلفتها بالنسبة لإنتاج وحدة معينة

من البترول (البرميل أو الطن) ولعدم حاجتها إلى أعداد ضخمة من العمال . . ولوجود الأسواق الكافية لتوزيع منتجاتها . . ولاستطاعتها تكرير البترول الثقيل الأرخص سعراً . . وعدم اعتمادها على البترول الخفيف الأغلى سعراً . . وغيها الوحيد بالنسبة للدول الفقيرة هي أن كلفتها الإجمالية عالية . . ولكن هذا العيب غير موجود بالنسبة للدول البترولية الغنية . .

وإذا نظرنا إلى البترول المكرر في العالم نجد هذه الحقائق المذهلة : يبلغ حجم البترول المكرر يومياً ٧٧,٨ مليون برميل يومياً (مجلة البترول والغاز يناير ١٩٨٠م والتي نشرها البنك الدولي في تقريره عن الطاقة في البلدان النامية أغسطس ١٩٨٠ م) .

تقوم الدول المتقدمة (أمريكا وأوروبا واليابان) بتكرير « ٤٨,٧ مليون برميل يومياً » وتقوم دول الكتلة الشيوعية بتكرير « ١٣,٨ مليون برميل يومياً » . وتقوم الدول المصدرة للبترول ذات الفائض المالي (وهي إيران والعراق والكويت والمملكة العربية السعودية وقطر ودولة الإمارات العربية المتحدة) بتكرير « ٢,٤ مليون برميل يومياً » . . وتكرر بقية الدول المصدرة للبترول (سواء كانت أعضاء في أوبك أو غير أعضاء) « ستة ملايين برميل يومياً » . . أما مجموع الدول النامية والبالغة ٦٤ دولة مستوردة للبترول فلا تكرر إلا « ٦,٩ مليون برميل يومياً » . . ومعنى ذلك أن الدول العربية المصدرة للنفط بالإضافة إلى إيران لا تكرر إلا ٣٪ فقط من جملة البترول المكرر في العالم .

ومن هذه الأرقام يتضح أيضاً ، أن إنتاج دول العالم الثالث بما فيه الدول البترولية المصدرة للنفط (أوبك) لا تكرر إلا « ١٥,٣ مليون برميل » من النفط يومياً بينما تقوم الدول الغربية واليابان بتكرير ٤٨,٧ مليون برميل يومياً وتقوم الكتلة الشيوعية بتكرير ١٣,٨ مليون برميل . .

وبما أن كل الظروف الاقتصادية والسياسية والجغرافية تساعد الدول البترولية المصدرة على إقامة منشآت تكرير ضخمة فإن ترك هذه الفرصة تفوت دون المسارعة بإقامة هذه المعامل الضخمة يعتبر تقصيراً معيماً في حق هذه الدول . . وعائقاً دون التنمية لهذا الجيل والأجيال القادمة . .

ونؤكد مرة أخرى على أهمية إنشاء المصافي (معامل التكرير) ذات الطاقات الضخمة لأن إنتاج الدول المصدرة للبتروول ذات الفائض المالي لا يزال صغيراً جداً بالنسبة للإنتاج العالمي وبالنسبة لإنتاج الدول الغربية واليابان . . (و ٣٪ فقط من جملة الإنتاج العالمي للبتروول المكرر) .

وبما أن اليابان والدول الأوروبية (ما عدا بريطانيا التي بدأت تستغل بتروول بحر الشمال في السنوات الثلاث الماضية) دول غير منتجة أصلاً للبتروول وإنما هي دول مستوردة فإن الدول المصدرة تستطيع أن تلعب دوراً هاماً في تكرير البتروول وتسويقه بدلاً من الاعتماد الكلي على الشركات الغربية التي تكسب هي ودولها نتيجة لذلك عشرة أضعاف ما تكسبه الدول المنتجة . . وفي بعض الأحيان يبلغ مكسبها عشرين ضعف ما تكسبه الدول المنتجة .

وفي هذا الصدد أحب أن أنقل كلمة وزير الصناعة السعودي الشاب الطموح الذكي الدكتور غازي القصيبي : « في الوقت الذي يُقال فيه إن المملكة والخليج ستغرق العالم بطوفان من البتروكيمياويات أقرأ كل يوم (وأنا أتابع هذه العملية يومياً) عن مجمعات بتروكيمياوية تقوم في دول لا يوجد فيها غاز ولا بتروول . . إذن هناك رغبة أن تستمر عملية الاستغلال القديمة . . أن يذهب بتروولنا خاماً في دول أخرى ويصنع هناك حتى تكون هناك التكنولوجيا والخبرة ومنافع القيمة المضافة هناك

ونبقى نحن كالعادة مجرد منتجين للمواد الخام .. هذا العصر سواء شاءوا أم أبوا انتهى ولن يعود .»

ويقول في موضع آخر : « العصر الذي كانت مواردنا البترولية فيه تذهب خاماً وتكرّر وتصنع في الخارج ثم تعود إلينا بعشرة أضعاف ثمنها انتهى ...»

عصر البترول الذي كان يذهب بدولارين ويصنع في أوروبا وبيع كمواد مكرّرة وبتروكيماوية تبلغ أضعاف السعر قد انتهى بلا رجعة .. إن التاريخ لا يعود إلى الوراء .. نحن أحق ببترونا وغازنا .. وسوف يصنع هنا .»

وهذا في رأينا هو الطريق لكي نخلق كوادرفنية تستطيع اللحاق بعصر التكنولوجيا لامتلاك ثرواتنا التي تذهب هدرأ .. وهذا هو الطريق لبناء مستقبل الأجيال القادمة ...»

الإعلام الغربي والبابا ومعركة البترول (*)

إن الحملة المسعورة والشرسة على المملكة العربية السعودية والدول البترولية العربية التي تقودها أجهزة الإعلام الغربي وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية تدعونا إلى الدهشة والاستغراب . ومما يزيدنا استغراباً انضمام البابا يوحناً إلى هذه الحملة الصليبية المسعورة واتهامه الدول المصدرة للنفط بالجشع والاستغلال .

وقد تحدّثت أجهزة الإعلام الغربية نفسها عن ثروة البابا والفاتيكان التي جعلت المتربع على عرش البابوية من أغنى أغنياء العالم إن لم يكن أغناهم على الإطلاق . . وبينما يتحدّث كبير الكرادلة عن جشع الدول المصدرة للنفط واستغلالها للإنسان ويذرف دموع التماسيح على الإنسانية المعذّبة الفقيرة تراه يكتنز البلايين لحسابه وحساب دولة الكرادلة التي أثارَت فضائحها المالية الإعلام الغربي نفسه .

وليس ذلك بمستغرب فقد قال الله فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرَّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ووصفهم بأنهم الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وبشرهم بأنها ستحمى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

أرباح شركات البترول

يتناسى الإعلام الغربي الحاقده أرباح شركات البترول ويصّب حملته المحمومة على الدول العربية المصدّرة للنفط ويتهما بأنّها سبب أزماته الاقتصادية المتتالية .

حتى لقد بلغ الأمر بأن طالب كثير من الغربيين على مستوى الكونجرس وعلى مستوى المسؤولين وعلى المستوى الصحفي والشعبي باحتلال منابع النفط وانتزاعها من أيدي العرب البرابرة الذين يستغلّون البشرية بنفطهم ويبدرونه على ملذاتهم وأهوائهم .

والواقع أنّ هذا الإعلام المسموم مشحون بالأكاذيب والمغالطات . فإنّ أرباح الشركات البترولية في الولايات المتحدة قد بلغت تريليون دولار (ألف مليار دولار أو مليون مليون) .

وقد صرح بذلك الرئيس جيمي كارتر في ٢٩ أكتوبر ١٩٧٩ عندما حاول أن يقنع الكونجرس بفرض ضرائب عالية على هذه الأرباح الخرافية!!

وقد نشرت الصحافة المحلية وفي (المدينة) بالذات في ١٤٠٠/١/٩ هـ الموافق ٧٩/١١/٢٨ خبراً مفاده أنّ السناتور ديلي بومبرز والسناتور هوارد متزبناوم قد طالبا الكونجرس بفرض ضريبة عالية على أرباح الشركات البترولية الأمريكية التي تجني أرباحاً طائلة من فروق سعر أوبيك وسعر السوق الحرة والتي قدرت أرباحها بتريليون دولار (مليون مليون دولار) .

كما نشرت بعض الصحف شيئاً من هذه الأرباح المثيرة للخيال والتي لا يستطيع أن يتصوّرها إنسان وقد جاء فيها :

إنّ أرباح شركة أكسون كوربوريشن لعام ١٩٧٩ قد بلغت ٢٩٠٠

مليون دولار كما بلغت أرباح شركة بريتش بتروليم ١٧٠٠ مليون دولار وحققت شركة موبيل أويل أرباحاً في هذا العام تقدر بـ ١٤٠٠ مليون دولار بينما بلغت أرباح شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا ١٣٠٠ مليون دولار وشركة جولف أويل ١١٠٠ مليون دولار .

نعم إنها أرقام تدير الرؤوس ومع هذا فإن الإعلام الغربي يتجاهلها تماماً ويركز كل هجومه على الدول العربية المصدرة للنفط رغم التضحيات الهائلة والجسيمة التي تقدمها معظم هذه الدول وعلى رأسها المملكة العربية السعودية للعالم الغربي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية . فقد ظلت المملكة العربية تبيع نفطها طول عام ٧٩ بسعر ١٨ دولاراً للبرميل بينما تبيعه معظم دول الأوبك بسعر ٢٤ إلى ٢٨ دولاراً، وفي الوقت الذي بلغ سعره في سوق روتردام خمسين دولاراً . فإذا علمت أن المملكة تنتج ما يقرب من عشرة ملايين برميل يومياً عرفت أن المملكة تخسر أكثر من ثلاثمائة مليون دولار يومياً إذا حسبنا ذلك بسعر السوق الحر والذي تبيع به شركات البترول بترونها وتتقاضى ثمنه بدلاً من المملكة .

ليس هذا فحسب ولكن المملكة تقدم للاقتصاد الغربي تضحية أخرى جسيمة وهي أنها قد زادت إنتاجها من ثمانية ملايين برميل يومياً إلى عشرة ملايين كما أن مجلة النيوزويك الصادرة في ٧ يناير ١٩٨٠ قد نسبت إلى معالي الشيخ أحمد زكي يماني قوله بأن المملكة ستزيد إنتاجها إلى ١٢ مليون برميل يومياً .

ونتيجة ذلك كله كما تقول النيوزويك المشار إليها إن سوق البترول قد أتخمت بالبترول وإن كثيراً من الدول لا تعرف كيف تحتفظ بالفائض النفطي المخزون لديها إذ إن جميع مخازنها الأرضية وتحت الأرضية قد امتلأت تماماً .

وإن سوق البترول تعاني حالياً من فائض في الإنتاج مقداره مليون برميل يومياً ولذا فإن المعركة الحاسمة التي خاضتها المملكة العربية السعودية في مؤتمر دول الأوبك في كاراكاس في الأسبوع المنصرم قد أدت إلى فائض بترولي ضخم سيؤدي قريباً إلى خفض أسعار البترول إلى المستوى الذي حدّدته المملكة وقدره أربعة وعشرون دولاراً للبرميل الواحد^(*).

إن هذه التضحيات الجسيمة التي تقوم بها المملكة يتجاهلها الإعلام الغربي الصليبي الحاقد ويتحدّث حبرهم الأعظم ورئيس كرادلتهم البابا يوحنا عن جشع الدول العربية المصدّرة للبترول واستغلالها للإنسان .

ولا يذكر الإعلام الغربي الضخم من الحقائق إلا أن المملكة العربية السعودية قد زادت سعر بترونها من ١٨ دولاراً إلى ٢٤ دولاراً وأنها قد أقدمت على زيادة تبلغ ٣٣٪/ وأنّها تسبب ارتباكاً للاقتصاد العالمي . كما تقوم أجهزة الإعلام المسمومة والحاقدة بمهاجمة المملكة العربية السعودية واختلاق الأكاذيب وترويج الشائعات عن الاضطرابات المنتشرة في المملكة وعن تخرصاتهم ومزاعمهم التي تتحدّث عن الاضطرابات القائمة والتشكيك في استقرار المملكة لمجرد حادث آثم عارض .

كما تتحدّث تلك الأجهزة المغرضة بحقد مكشوف عن الإسلام حتى إن كثيراً من المراكز الإسلامية في الولايات المتحدة قد اضطرت لإلغاء احتفالاتها ببداية القرن الهجري الخامس عشر نتيجة للهجمات

(*) أدت تضحيات المملكة ودول الخليج إلى خفض سعر البترول إلى أقل من عشرة دولارات ثم ارتفع السعر ليستقر حول ١٨ دولاراً للبرميل في عام ١٩٨٧ - ١٩٨٨ م .

الشرسة على تلك المراكز ورجالاتها .
وكلنا يعلم مقدار السخرية اللاذعة التي تصبها أجهزة الإعلام على
العربي ذي العقال الذي يبعثر الملايين ، حتى المجالات الطبية لم تسلم
من النكت اللاذعة التي تسخر من العربي القادم إلى لندن للعلاج من
ضغط البترول .

فهل آن الأوان لأصدقائنا الألداء أن يكفوا عن هجومهم الكاسح
والحاقد علينا ؟ إن للصبر حدوداً . . ومهما كانت قوى التعقل وكظم
الغيظ قوية فينا فإنه لا بد سيأتي يوم تنفذ فيه هذه القوى المذخورة وتكون
يومها العواقب وخيمة على أصدقائنا الألداء وعلى العالم أجمع ومع
هذا فنحن نأمل أن يقدر أصدقائنا الألداء تضحياتنا الجسيمة ويكفوا
عن هجومهم القذر علينا .

شركة يابانية تعتذر رسمياً للعرب عن وقاحة إعلاناتها فهل آن الأوان للعرب أن يعتذر؟ (*)

لقد قامت شركة سوزوكي للسيارات في فرعها في ألمانيا الغربية بنشر دعاية لسياراتها وللأسف لم تجد هذه الشركة طريقة لجذب انتباه العملاء سوى السخرية من العرب . وصدرت المجلات والصحف الألمانية وهي تحمل دعاية لسيارات سوزوكي وفي نفس الوقت تهزأ بالعرب ذي العقل الذي يشتد حنقه على هذه السيارة التي لا تستهلك إلا القليل من البترول .

وقامت صحيفة « عرب نيوز » بحملة ناجحة ضد هذا اللون البشع من الدعاية ضد العرب واحتجَّ السفراء العرب في بون . . ونظرت وزارة التجارة والصناعة في هذه القضية . . وفي خلال أسبوع فقط قامت شركة سوزوكي بالاعتذار رسمياً للعرب ونشرت ذلك الاعتذار في كبريات الصحف والمجلات الألمانية وفي غيرها من الصحف والمجلات بما فيها عرب نيوز .

والسؤال الآن لماذا لا نواجه الإعلام الغربي والحكومات الغربية التي لا تفتأ تسخر من العرب والمسلمين وتهزأ بهم وتتهمهم بالاستغلال والجشع وبأنهم وراء كل أزمة اقتصادية في العالم . . لماذا لا نواجه

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة .

هؤلاء يمثل ما فعلنا مع سوزوكي ؟ إن التجربة مع سوزوكي أوضحت لنا بكل جلاء أننا نستطيع أن نجعلهم يعتذرون عن هذه الوقاحة المتعمدة .

ففي الوقت الذي قام فيه العرب وخاصة المملكة العربية السعودية بإنقاذ الاقتصاد الغربي وذلك عند قيام الثورة الإيرانية التي خفضت إنتاج البترول من ٦ ملايين برميل يومياً عام ١٩٧٨ إلى أقل من ثلاثة ملايين برميل يومياً عام ١٩٧٩ . . فقد قامت المملكة بزيادة إنتاجها من ٨ ملايين برميل يومياً عام ١٩٧٨ إلى ٩,٥ ملايين عام ١٩٧٩ كما قامت العراق بزيادة إنتاجها من البترول من ٢,٤٠٠,٠٠٠ برميل يومياً عام ١٩٧٨م إلى ٣,٢٣٠,٠٠٠ مليون برميل عام ١٩٧٩م . .

وكذلك زادت دول الخليج إنتاجها النفطي بحيث أنها عوضت النقص في إنتاج البترول الإيراني بل. وأنتجت الدول العربية عام ١٩٧٩م ما يزيد عن النقص الناتج في البترول الإيراني بعد الثورة . . وبذلك عوضت الدول العربية عن هذا النقص ولتت الاحتياجات المتزايدة في البترول وجعلت بذلك أسعار البترول لا ترتفع ارتفاعاً كبيراً .

ولقد بذلت حكومة المملكة العربية السعودية في هذا الصدد جهداً كبيراً في إغراق السوق البترولية وخاصة بعد الحرب العراقية - الإيرانية التي أدت إلى توقف ضخ النفط من كلا البلدين «إيران والعراق» لفترة . . ثم ضحى بعد ذلك بكميات ضخمة بالمقارنة مع إنتاج عام ١٩٧٨م وعام ١٩٧٩م فقد كان الإنتاج العراقي والإيراني يبلغ أكثر من ٨ ملايين برميل يومياً عام ١٩٧٨م وانخفض بعد الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م إلى ٦ ملايين برميل يومياً ثم انخفض عام ١٩٨٠م بسبب الحرب العراقية الإيرانية إلى أقل من مليوني برميل يومياً .

وكان ذلك كفيلاً برفع أسعار البترول إلى مائة دولار للبرميل ولكن الدول العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية قامت

بزيادة إنتاجها عام ١٩٨٠ إلى ١٠,٥٠٠,٠٠٠ برميل يومياً وكذلك فعلت دولة الإمارات وقطر.

وكما صرّح الشيخ أحمد زكي يماني فإنّ المملكة خلقت فائضاً في سوق البترول بدلاً من النقص المتوقع حتى لقد بلغ الفائض اليومي في إنتاج البترول ما بين مليونين إلى ثلاثة ملايين برميل يومياً. وحتى لم تجد الشركات البترولية الغنية مكاناً لتخزين هذا الفائض بعد أن امتلأت خزانات البترول في الدول الغربية بما يقرب من ثلاثة آلاف مليون برميل.

وأصرّت المملكة على أن تتقاضى سعراً يقلّ بتسعة دولارات عن أعلى سعر تبيع به دول أوبيك سعرها بل إنّ المملكة تبيع بترولها بأقل من سعر بترول الشمال وأقل من سعر بترول آلاسكا والولايات المتحدة بحوالى عشرة دولارات. وبأقل من أقل سعر بأربعة دولارات في كل برميل.

وبذلك فقد كانت المملكة تضحي كل يوم بحوالى مائة مليون دولار هي فرق السعر بين بترولها وسعر بترول ليبيا مثلاً^(١).

ورغم هذه الحقائق الناصعة فإنّ الغرب وأمريكا على وجه الخصوص بدلاً من أن تشكر للمملكة صنيعها لإنقاذ الاقتصاد الغربي إلا أنّ الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة متمثلة في أجهزة إعلامها المختلفة تقوم بحملة شرسة على المملكة العربية السعودية وعلى دينها وعلى قيمها ولا تزال هذه الحملة المشتعلة الأوار مستمرة.

(*) بلغ فرق السعر بين بترول المملكة وبترول السوق الحرة في روتردام أكثر من ثلاثين دولاراً للبرميل الواحد؛ أي إن المملكة العربية السعودية كانت تضحي من أجل أصدقائها في الغرب بأكثر من ثلاثمائة مليون دولار يومياً.

فقد قامت النيوزويك في عددها الصادر ٢٥ مايو ١٩٨١ وعددها الصادر في ١ يونيو ١٩٨١ بتصوير المملكة بأنها زادت الإنتاج وخفضت الأسعار لمصلحتها هي لا لمصلحة الغرب وأنها أي المملكة تتظاهر بتخفيض الأسعار بينما هي في الواقع ترفع السعر من وراء ستار.

وقد أوضح السفير الأمريكي السابق إيكنز في محاضراته القيمة التي ألقاها في جامعة البترول والمعادن بالظهران والتي نشرتها «المدينة» في ١٠ رجب ١٤٠١ هـ أوضح السفير بأن هذه الحملات كاذبة ومغرضة . . وأن الذي يوجه الإعلام في الغرب وفي الولايات المتحدة اليهود أو من يتعاون معهم . .

كما ذكر السفير السابق أن أرباح الدول المستهلكة للبترول تبلغ ما بين عشرة إلى عشرين ضعف ما تكسبه الدول المنتجة . . وقد صرح السيناتور ديلي بوميرز والسناتور هوارد متزنباوم في تصريح نشرته «المدينة» في ١٩/١/١٤٠١ هـ بأن أرباح شركات البترول بلغت تريليون دولار (مليون مليون دولار).

ورغم هذه التضحيات المتتالية التي أوضحها معالي الشيخ أحمد زكي يماني بقوله: يكفينا إنتاج ستة ملايين برميل يومياً وسيغطي ذلك جميع احتياجاتنا المالية ومشاريعنا الإنمائية إلا أننا من أجل أصدقائنا ومن أجل سلامة الاقتصاد العالمي نضحّي ونتتج عشرة ملايين ونصف المليون من البراميل يومياً . .

وقد خلقنا الفائض البترولي بحيث أن ذلك أدى إلى انخفاض سعر البترول في السوق الحرة وإلى موافقة دول الأوبك على تجميد أسعارها عند حدها الحالي بل إلى اضطرار بعضها لبيع بترولها بسعر أقل مما كانت تباع في الأشهر الماضية . . .

فلماذا تواجه تضحياتنا الجسيمة وإهدارنا لثروتنا البترولية

الناضبة بهذا الاستهتار . . بل بهذا السيل من الشتائم المقذعة؟

لقد جربنا مرة واحدة فوقنا في وجه سخرية سوزوكي واستهزائها فسارعت سوزوكي إلى الاعتذار وحسناً فعلت فهل نجرب مع الغرب مرة واحدة ما جربناه مع سوزوكي؟؟

إن تهديداتهم المبطنة والمعلنة باحتلال منابع النفط والتنسيق الذي يتم بين الولايات المتحدة وإسرائيل لاحتلال منابع النفط كما يشرحه كتاب جوزيف تشوربا الذي ظهر حديثاً في الولايات المتحدة باسم « التراجع عن الحرية » أمر لا ينبغي أن يخيفنا لأنهم يدركون أن البلاد العربية ستقاتل دون شرفها ولن تسمح لهم باحتلال منابع النفط دون دفع ثمن غالٍ يندمون عليه .

وجوزيف تشوربا هذا كان مسؤولاً بارزاً في الاستخبارات الأمريكية لشؤون الشرق الأوسط كما يعمل أيضاً مستشاراً لإسرائيل . . وفي نفس الوقت يعمل ضمن إدارة الرئيس ريغان . . وهو صديق حميم لريتشارد آكن مستشار الرئيس لشؤون الأمن القومي وأحد غلاة المتحمسين لإسرائيل في الولايات المتحدة . .

وعلينا أن نواجه هذه المعركة داخل الولايات المتحدة نفسها ولا بد من الوصول إلى الرأي العام الأمريكي الذي لا يعرف عنا إلا ما تقوله له أجهزة الإعلام وهو أننا سبب غلاء المعيشة وسبب المضاعب الاقتصادية التي يواجهها العالم بأسره .

ولا بد من إيصال صوتنا إلى الرجل العادي وذلك بمحاولة إيجاد قنوات لإيصال صوتنا إلى الشعب الأمريكي والأوروبي ولا ينقصنا المال لإيجاد صحافة قوية تدعمنا كما لا تنقصنا الإمكانيات لإيجاد محطات تلفزيون في الولايات المتحدة تتحدث عن عدالة قضيتنا . . ويمكننا

أيضاً أن نصل عبر الشبكات الحالية للتلفزيون إذا أحسنّا استخدام ما لدينا من قدرات وإمكانيات . .

كما أنّ علينا قبل ذلك كله أن نحسن صلتنا بربنا . . ففسير على النهج الذي أوضحه لنا في كتابه العزيز وعلى لسان رسول الله ﷺ .

وإن كُنّا مستمسكين بحبل الله المتين حقاً فلن تخيفنا جموعهم . .

﴿الذين قال لهم الناس إنّ الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم * إنّما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ .

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ .

﴿وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم﴾ .

مقالات عامة عن شؤون المسلمين

- . الوجه الآخر للتطرّف الديني .
- . العودة إلى الشريعة الإسلامية .
- . الأنظمة الشيوعية تحارب المسلمين بالمجاعات .
- خداع العرب المسلمين : بيان من جورج الخامس إلى العرب وبيان من لينين إلى المسلمين .
- . هذا ما يطلبه المسلمون في الاتحاد السوفييتي والصين الشيوعية .
- . القرم إحدى مآسي المسلمين .
- . مذبحه أسام والكلبة لا يكا .
- . المذابح مستمرة في أسام .
- . قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .
- . الدول الغربية والاحتكارات العالمية تصدّر السموم إلى العالم الثالث .
- . صغيرة ولكنها أهم .

الوجه الآخر للتطرف الديني (*)

اشتركت كثير من الأعلام في الكتابة حول موضوع قضية التطرف الديني ، وكانت أغلب هذه الأعلام تتخذ جانب الأنظمة ضد الشباب المتدينين عموماً ، بينما برزت قمم شوامخ تكتب بموضوعية هادفة مثل كتابة الدكتور (يوسف القرضاوي) وكتابات الشيخ (محمد الغزالي) . ويبدولي أن التركيز كان مشدداً على جانب الشباب بصورة خاصة واتهامه بالتطرف ولم يتعرض للأنظمة المحاربة للإسلام إلا القليل من الكتاب وبصورة مبتسرة . . ولا شك أن كثيراً من الأنظمة في البلاد العربية والإسلامية تقف من الإسلام وشريعته موقفاً عدائياً صارخاً بل مغرقاً في التطرف . فمعظم هذه الأنظمة لا تكتفي بمحاربة الشريعة الإسلامية وفرض القوانين الوضعية الكافرة على الشعوب المسلمة بل تجابه كل من تسول له نفسه بانتقاد هذه القوانين بأحكام السجن والسحل والقتل . . بل إن حرب إبادة كاملة لمدن إسلامية قد نقلتها وكالات الأنباء وعرفها العالم أجمع . . وحُطمت فيها المساجد على من فيها . . وبلغت بشاعة الأنظمة البوليسية والقهرية أن كانت تبقر بطون الجرحى ثم يأخذ الجنود أكباد هؤلاء الدعاة إلى الله ويشوونها في النار ثم يأكلونها . . إنها صورة

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) وفي مجلة المجتمع (الكويت).

بشعة لا يمكن تصديقها ولم تحدث في تاريخنا الطويل بالمآسي سوى ما حدث من هند بنت عتبة آكلة الأكباد في موقعة أحد .

واذكر حلقة تليفزيونية في عهد عبد الناصر قبل حرب ١٩٦٧ م . وكان موضوع الحلقة هو الزواج بواحدة فقط (ووضع قوانين لمنع الزواج بأكثر من واحدة) وكان من ضيوف الحلقة الشيخ محمد الغزالي . فلما جاء دوره في الكلام قال : أنا أحب أن أسأل قبل أن نخوض في منع الزواج بأكثر من واحدة . لماذا يبيح القانون المصري الزنا؟؟ وهنا انفعال مقدم البرنامج انفعالاً شديداً . وشم الغزالي وأقفلت الشاشة فوراً ، واستبدلت بأغنية لأم كلثوم وأخذ الشيخ (محمد الغزالي) إلى السجن لأن هذه الأنظمة لا تريد أن يعرف الناس أن القانون المصري لا يعاقب على الزنا ولا على اللواط إذا كان بين عاقلين بالغين بدون إكراه . . . وليس القانون المصري وحده هو الذي يبيح الزنا بل إن القوانين الوضعية في معظم البلاد العربية والإسلامية ابتداءً بتركيا ومروراً بتونس وبلاد المغرب العربي وسوريا ولبنان والصومال واليمن الجنوبي وإيران الشاه (قبل الثورة) وباكستان إلى عهد (بوتو) وأندونيسيا إلى الوقت الحاضر ، كلها جميعها تبيح الزنا إذا كان بين عاقلين بالغين بدون إكراه .

وبعض هذه الدول لا يبيح الزنا فقط ، وإنما يبيح البغاء أيضاً ، وتقوم الدولة بالإشراف على البغايا وإعطائهن تراخيص كما يشرف عليهن أطباء من الدولة .

ليس هذا فقط ولكن الأنظمة الوضعية لا تعاقب الزوج إذا زنا خارج منزل الزوجية ، ولا يحق لأحد أن يشكوه سوى زوجته لأنها هي المتضررة من ذلك (إذا زنا الزوج في منزل الزوجية) . . كما أن القانون كذلك يجعل حق الشكوى من زنا الزوجة للزوج فقط ، فإذا عاشرها

يسقط حقه في الدعوى. . . وإذا ثبت أن الزوج زنا في منزل الزوجية فيحق للزوجة عندئذ أن تزني أيضاً في منزل الزوجية أو خارجه !!
وتعترف هذه القوانين الوضعية بالتبني الذي ألغاه الإسلام . . كما أن بعض هذه الأنظمة تمنع الزواج بأكثر من واحدة في الوقت الذي تسمح فيه بالمخاللة !!

وتمنع هذه الأنظمة (الزواج العرفي) أي الزواج الذي لم يقيد لدى الدولة ولو كان قد تم بوجود شهود عدول وبولي وبوثيقة غير حكومية . . وتعتبره زنا وهو مباح في هذه الحالة . . كما أن القوانين تعترف بنسب أبناء السفاح وإن كانوا لا يدخلون في الميراث !!
وتبيح القوانين الوضعية شرب الخمر بأنواعها ما عدا حالات محدودة مثل (سياقة السيارات التي تمنعها أيضاً الدول الغربية) كما أن معظم الدول العربية والإسلامية تقوم بصنع الخمر فهناك مصانع للدولة تقوم بصنع الخمر .

وتبيح الأنظمة الوضعية في البلاد العربية والإسلامية الربا . . والنشاط البنكي الربوي موجود في جميع البلاد العربية والإسلامية بلا استثناء . . وهناك المثات من القوانين الوضعية التي تصادم الشريعة مصادمة واضحة !! والحدود في معظم البلاد العربية والإسلامية معطلة وملغاة بل إن من يطالب بتنفيذها يعتبر مجرمًا وسودع في غياهب السجون !!

وتفرض كثير من الأنظمة السفور على النساء فرضاً فالمدارس في تركيا وتونس واليمن الجنوبية تفرض الاختلاط بين الطلبة والطالبات ، كما تمنع الطالبات منعاً باتاً من لبس أي لبس محتشم ولو كانت الطالبة كاشفة الوجه (إذ لا بد أن تنزع عنها منديل الرأس أيضاً) .
وجميع القوانين الوضعية لا تلتفت إلى مصادمتها للشريعة مصادمة

أن قام كمال أتاتورك بإلغاء الشريعة الإسلامية وتحويل تركيا إلى دولة علمانية لادينية . . .

ورغم أن معظم الدول العربية والإسلامية قد حذت حذو تركيا في إلغائها الشريعة الإسلامية من قوانين الدولة إلا أنها جميعاً جعلت المادة الأولى في الدستور دين الدولة الرسمي الإسلام . .

وقد باءت محاولات أمان الله خان في أفغانستان عندما همّ بتقليد كمال أتاتورك بالفشل الذريع وبثورة الشعب والعلماء عليه وإقصائه من الحكم وذلك عام ١٩٢٩ م. أمّا في إيران فقد استطاع رضا بهلوي أن يستولي على الحكم بمساعدة الإنجليز وأن ينصب نفسه شاهاً لإيران . . ثم تولى بعده ابنه محمد رضا بهلوي الذي خلعتة الثورة الإسلامية في إيران . .

وقد كان محمد رضا بهلوي ووالده يسيران على منهج أتاتورك في إقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم . . وكان الشاه محمد رضا بهلوي متعاطفاً مع البهائية واليهود في إيران بشكل سافر . . ورغم أن باكستان قامت باسم الإسلام إلا أنها أيضاً لم تجعل الشريعة الإسلامية أساساً للمواد القانونية فيها . . وقد ظلّت باكستان في عهد بوتو تحكم بالقوانين الوضعية . . ولما جاء ضياء الحق بدأت رحلة العودة إلى الشريعة الإسلامية . .

أمّا في مصر فقد كان الدعاة إلى العودة إلى الشريعة الإسلامية يواجهون المشانق والاعتقالات والسجن والتعذيب ابتداءً من اغتيال الشهيد حسن البنا ومروراً بإعدام عبد القادر عودة وصحبه عام ١٩٥٤ ثم إعدام سيد قطب ورفاقه عام ١٩٦٤ وما تلا ذلك من إعدامات ومحاكمات صورية يعرفها الجميع . . .

ونتيجة للضغط من شباب الجامعات الإسلامية الذي بدا وكأنه

يسيطر على جميع التنظيمات الطلابية . . ويؤثر على الرأي العام فقد اضطرت الحكومة في عهد الرئيس السادات إلى تكوين لجنة قانونية تدرس كيفية وضع قوانين مستمدة من الشريعة الإسلامية وتلغي بالتالي جميع المواد القانونية المصادمة للشريعة .

وقد أتمت هذه اللجنة القانونية المكوّنة من أعضاء مجلس الشعب دراساتها المستفيضة وقدمت مشروعاً بقانون يلغي القوانين الوضعية رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ ويستبدلها بالقانون الجديد المطابق للشريعة الإسلامية . .

ويلغي هذا القانون الجديد جميع المواد القانونية التي كانت تبيح الزنا (المادة ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧) والمواد التي كانت تبيح صناعة الخمر وتنظيمها وتسمح ببيعها وترويجها والدعاية لها . . حيث تملك الدولة مصانع ستلاً ومصانع الخمر الأخرى .

وقد نشرت « المدينة » في ١٤٠٣/١٢/٤ هـ أن الرئيس السوداني جعفر نميري قد أصدر أمره بإغلاق الحانات ومتاجر بيع الخمر في محافظة الخرطوم ابتداءً من ١٤٠٣/١٢/٣ هـ (١٠ سبتمبر ١٩٨٣) وإلى أجل غير مسمى . . وذكرت وكالة الأنباء السودانية أن هذا القرار يقضي بأن يقدم أصحاب الحانات ومتاجر الخمر قوائم بكميات وقيمة البضائع التي لديهم إلى محافظ العاصمة . . وذكرت الوكالة أيضاً أنه سوف تفرض أيضاً عقوبات صارمة منها قطع أيدي اللصوص ورجم الزناة أو جلدهم . .

وتماشى هذه الأوامر مع التغييرات القانونية التي تستهدف جعل القانون السوداني خاضعاً للشريعة الإسلامية . .

وتقول المدينة إن ثلاثة أقاليم في السودان قد طبقت منذ بضع سنوات وبنجاح كبير قرار تحريم الخمر التي كان الاستعمار البريطاني قد

أقام لها العديد من المصانع في البلاد إلا أن هذه المصانع توقفت تماماً منذ ١٢/٣/١٤٠٣ هـ . . (١٠ سبتمبر ١٩٨٣) وتقرر تحويلها للعمل في مجالات صناعية أخرى . . ونحن نشكر للرئيس نيميري مبادرته إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ونهيب بالرئيس مبارك أن يبادر إلى تبني المشروع بقانون الذي قدمته لجنة قانونية عليا من مجلس الشعب المصري . . ويكون له بذلك شرف تطبيق الشريعة الإسلامية في عهده وإلغاء القوانين التي تبيح الزنا وشرب الخمر والربا . . والشعب المصري شعب مسلم شديد الإيمان ويرفض رفضاً باتاً أن يحكم بالمادة ٢٧٣ التي تنص على الآتي : « لا تجوز محاكمة الزانية إلا بناءً على دعوى زوجها إلا أنه إذا زنى الزوج في المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في المادة ٢٧٧ لا تسمع دعواه عليها » كما تنص هذه المادة على أنه متى ثبت أن الزوج قد زنى في منزل الزوجية فإنه يفقد حقه للأبد عن التبليغ عن زنا زوجته . . كما نصت المادة نفسها (٢٧٣) على أنه : « لا يجوز محاكمة الزوج على الزنا الذي يرتكبه في منزل الزوجية إلا بناءً على شكوى زوجته . . » .

وقد نص القانون المصري ومثله معظم القوانين الوضعية في البلاد العربية والإسلامية على وجوب الشكوى من الزوج أو الزوجة للسير في التحقيق ورفع الدعوى وبناءً عليه لا يجوز للنيابة العامة أن تسيّر في تحقيق جرائم الزنا قبل تقديم شكوى من الزوج . .

ولا يعتبر القانون الزنا بين رجل وامرأة غير متزوجين زنا بل يسميه وقاعاً . . فإذا حدث بالتراضي بين بالغين فلا عقوبة عليه . . إلا إذا حدث في الشارع أو في المنتزهات العامة بحيث يراه المارة فإنه عندئذ يدخل في تعريف الفعل الفاضح العلني حسب المادة ٢٧٨ وتكون

العقوبة عندئذٍ الحبس مدة أقصاها سنة أو غرامة لا تتجاوز خمسين جنيهاً
مصرياً . .

كذلك يسمح القانون للمرأة التي توفي زوجها وهي في العدة بأن
تزني ولا عقوبة عليها في ذلك ولا يحق لأحد أن يبلغ عنها كما أن الزوجة
المطلقة طلاقاً رجعيّاً تستطيع الزنا بنص القانون بعد انتهاء العدة . . أمّا
المطلقة طلاقاً بائناً فإنّ القانون يعطيها الحق في الزنا منذ لحظة
طلاقها . .

وكذلك يسمح القانون للرجل غير المتزوج أن يزني كما يشاء أمّا
الرجل المتزوج فتنصّ المادة ٢٧٣ على أنّه لا يعتبر زناه خارج منزل
الزوجية زنيّاً وإنما يسمّى وقاعاً ولا عقوبة عليه . . فلو أعدّ منزلاً لعشيقته
أو ذهب إلى مكان آخر غير منزل الزوجية فإنّ زوجته تفقد حقها في التبليغ
عنه . . وتنصّ المادة ٢٧٤ على أنّ عقوبة الزوج الذي زني في منزل
الزوجية وثبت ذلك بناءً على دعوى زوجته ولم تعف عنه زوجته حتى
صدور الحكم بالحبس مدة أقصاها ستة أشهر . . . !! أمّا الزوجة الزانية
التي ثبت زناها بناءً على دعوى زوجها وثبت ذلك لدى المحكمة فإنّ
المحكمة تحكم عليها بالسجن مدة أقصاها سنتين !!

وللزوجة أن يعفو عن زوجها الزانية حتى بعد صدور الحكم . . كما
أنّ المحكمة تستطيع أن تعفو عن زنا الزوجة إذا وجدت ما يدلّ على رضا
الزوج أو بمصالحة زوجته وذلك بتكرّر لقاتهما ولو كان تنازله في طي
الكتمان !! (انظر الموسوعة الجنائية المجلّد الرابع للمستشار جندي
عبد الملك) .

على كل حال ليس غرضنا هاهنا استعراض المواد القانونية في
القانون المصري وغيره التي تبيح الزنا وشرب الخمر وحيازتها
وصناعتها . . ولكننا هاهنا نوضح أنّ القانون المصري وكثير من البلاد

الإسلامية والعربية الأخرى قد خطت خطوة في عام ١٩٦١ وذلك بمنعها الدعارة التي كانت تنظمها القوانين حسب المواد ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ من قانون العقوبات المصري والتي أُلغيت بموجب القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٦١ والمعروف بقانون مكافحة الدعارة ونرى الوقت مناسباً جداً لإلغاء القوانين الحالية التي تبيح الزنا وشرب الخمر والإنتاج فيها . .

وها هي السودان تعود إلى حظيرة الشريعة الإسلامية وتبدأ خطواتها الصحيحة في محاربة الخمر والزنا . . وتبدأ في تنفيذ الحدود . . وها هي إيران وباكستان تسيران في نفس الخط . . أما المملكة العربية السعودية فهي الوحيدة التي قامت منذ أول يوم على أساس الشريعة الإسلامية . . ومنذ أن قام عبد العزيز - رحمه الله - بجهوده الجبارة في توحيد الجزيرة فإنها لم تحكّم إلا بشريعة الإسلام . .

ولا غرو فالجزيرة العربية هي مهد الإسلام وفيها قبلة المسلمين وفيها الحرمين الشريفين . . وقد كانت ولا تزال هي التي رفعت راية الإسلام عالية في الخافقين . .

ونحن - ها هنا - نتوجّه إلى رؤساء الدول العربية والإسلامية الذين لا يزالون يحكمون شعوبهم بالقوانين الوضعية التي تصادم الشريعة الإسلامية مصادمة واضحة . . أن يعودوا إلى رحاب الإسلام وأن يفيثوا إلى ظلاله الوارفة . . وأن يحكموا شرع الله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .

وها هو مجلس الشعب المصري ممثلاً في هيئته القانونية يضع مشروعاً بقانون يلغي فيه قانون العقوبات المصري رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧

ويضع عوضاً عنه قانوناً للعقوبات مطابقاً لأحكام الشريعة الإسلامية
الغراء ..

ومصر كنانة الله في أرضه .. أحقّ أن تكون أول الدول العربية
رجوعاً إلى حكم الإسلام بعد أن كانت أول الدول العربية خروجاً
عليه ..

ومصر في عهد الرئيس مبارك ينبغي أن تحمل شرف العودة إلى
الإسلام وأن تزيح عن وجه مصر الإسلامي الأبيّ ما شابه من خزي وعار
بتنفيذ القوانين الوضعية المصادمة للشريعة الإسلامية ..
وكلنا أمل في الرئيس مبارك .. أن يقوم بهذه الخطوة المباركة في
عهده المبارك إن شاء الله .

الأنظمة الشيوعية تحارب المسلمين بالمجاعات (*) .. !!

إن حرب الأنظمة الشيوعية للإسلام والمسلمين أمر قديم منذ أن ظهرت الثورة البلشفية وتمكنت من السلطة في روسيا عام ١٩١٧ م .. وبعد فترة وجيزة من خداع المسلمين، اضطر إليها «لينين» ليكسب ملايين المسلمين في روسيا إلى صفه ضد حكومة كرايسكي التي قامت إثر القضاء على القيصرية، تحول لينين إلى حرب إبادة المسلمين .. وقد كان أول بيان أصدره لينين إلى المسلمين في ٢٢ نوفمبر ١٩١٧ م إثر استيلائه على السلطة يبشر المسلمين بالحكم الذاتي، وينادي المسلمين بالثورة من أجل دينهم وقرآنهم ومقدساتهم .. يقول لينين: « يا مسلمي روسيا، يا تزار الفولجا والقرم يا أيها القرغيز وسكان سيبيريا والتركستان . يا سكان القوقاس الأبطال وقبائل الشاشان .. وسكان الجبال الأشداء .. أنتم يا من هُدمت مساجدكم وحُطمت معابدكم .. ومزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم .. ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحررتكم في العبادة .. إننا هنا نعلن احترامنا لدينكم ومساجدكم وإن عاداتكم حرة لا يمكن المساس

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) وفي مجلة المجتمع (الكويت).

بها . . ابنوا حياتكم. الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات . . ولكم كل الحق في ذلك . واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة . . ورجالها والعمال والفلاحين والجنود وممثلهم . . لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية . .

وبالفعل انضمت إلى لينين مجموعات كبيرة من المسلمين الذين عانوا من الحكم القيصري الاستبدادي والمعادي للإسلام كما عانوا من حكومة كرانسكي التي رفضت أن تسمح للمسلمين بأقل قدر من الحكم الذاتي . .

وانضم حزب الأش أوردا بقواته في قازقستان إلى لينين كما انضم « زكي فيلدي طوقان » إلى صف لينين بعد أن أقام أول حكومة في بشكيريا . . وبعد أن يش من الاتفاق مع حكومة كرانسكي . .

وفي أول بادرة للغدر، بعد أن أقام أول حكومة في بشكيريا . . وبعد أن يش من الاتفاق مع حكومة كرانسكي تحول « لينين » إلى حرب إبادة بشعة للمسلمين ومساجدهم ومدارسهم وثقافتهم لم يشهدا العالم الاسلامي حتى في أيام جنكيز خان وهولاكو!

ورغم أن لينين لم يكن قد تمكن من إخضاع حكومة كرانسكي البيضاء إلا أنه اتفق مع المستوطنين الروس والحزب الشيوعي المحلي للقيام بمذبحة في باكو عاصمة أذربيجان . . التي فتحها المسلمون على يد « حذيفة بن اليمان » صاحب سر رسول الله في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .

وتتت المذبحة في مارس ١٩١٨ م حيث قتل في باكو أكثر من ١٨,٠٠٠ مسلم . . وقد تمكن المسلمون أن يخمدوا هذه المجزرة

وأعلنوا قيام جمهورية أذربيجان التي اعترف بها الحلفاء كما اعترف بها
لينين ..

ومرة أخرى غدر بها لينين عام ١٩٢٠ م .. واكتفى الحلفاء
الغربيون بالتنديد الكلامي بلينين ، تماماً كما يفعلون الآن في
أفغانستان ، حيث يتركون للدب الروسي إبادة شعب بأكمله وتهجيرهم من
وطنه دون أن يقدموا شيئاً سوى الاحتجاجات الكلامية !!

وفي فبراير ١٩١٨ م قامت جحافل لينين بدك مدينة خوقند الباسلة
وإزالتها من الوجود !! ولم يفلت من القتل سوى مجموعات بسيطة
استطاعت الفرار .. وهكذا واجهت مدينة خوقند التي فتحها « قتيبة بن
مسلم الباهلي » في القرن الهجري الأول مصيرها البائس على يد جنكيز
خان القرن العشرين ..

وتوالت مذابح لينين للمسلمين في « بخارى وطشقند وسمرقند
ومرو وبيهق ونسا ونسف » تلك المدن العظيمة التي أخرجت آلاف
العلماء والأفذاذ في التاريخ الإسلامي من أمثال الإمام « عبد الله بن
المبارك وسفيان الثوري وإسحاق بن راهويه » الذين نبغوا من مدينة
« مرو » عاصمة خراسان سابقاً .. والإمام محمد بن إسماعيل البخاري
والشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن سينا من مدينة بخارى .. وأبو الليث
نصر بن محمد السمرقندي إمام الهدى من مدينة سمرقند .. ومن خوارزم
أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني .. أحد نوادر العقل البشري ..
ومحمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر والمقابلة ، ومبتكر
حساب اللوغاريتمات .. ولفظه لوغاريثم تحوير أوروبي لاسم
الخوارزمي .. والإمام « جار الله محمود بن عمر الزمخشري » صاحب
التفسير المشهور بالكشاف .. ومن بيهق الإمام البيهقي ومن NSF الإمام
النسفي ..

وقام علماء الإسلام بذكور روح المقاومة والجهاد في سبيل الله . . فقامت في التركستان عدة ثورات أشهرها ثورة الباسماش التي امتدت من عام ١٩١٨ م حتى عام ١٩٤٨ م . . وثورة الإمام نجم الدين غوتسوفي القوقاس التي امتدت من عام ١٩١٧ م إلى عام ١٩٢٤ م . . ومنذ عام ١٩٣٩ م حتى عام ١٩٧٠ م قامت في القوقاس ٥٢ ثورة ضد الحكم الشيوعي البلشفي . . (مجلة الشؤون السوفيتية العدد ٢٧ و ٢٨) . وقد أخدمت هذه الثورات الإسلامية بكل وحشية وهمجية ووجدت الموافقة الضمنية السرية من الدول الغربية التي لم تتحدث قط عن أي ثورة إسلامية بل تتجاهلها وتسدل عليها التعتيم !! بينما لا تكف أجهزة الإعلام الغربية عن الحديث عن انتهاك حقوق الإنسان في الاتحاد السوفيتي إذا منع يهودي واحد من السفر إلى إسرائيل أو أمريكا . . وتقيم الدنيا وتقعدها من أجل أن تسافر ابنة ساخاروف اليهودي لتلحق بزوجها !!

واستخدم لينين في حربه ضد المسلمين كافة الوسائل بما فيها المجاعات . فعندما واجهت قواته مقاومة ضارية في القرم ولم يستطع الاستيلاء عليها فرض عليها حصاراً شديداً أدى إلى مجاعة رهيبة وقد أصدر الرفيق « كالينين » الذي كان مسؤولاً عن القرم تقريره الذي نشرته الأرنستيا في ١٥ تموز ١٩٢٢ وقد جاء فيه أن عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير ١٩٢٢ م في القرم كانوا ٣٠٢,٠٠٠ وفي مارس أصابت المجاعة ٣٧٩,٠٠٠ وفي إبريل ١٩٢٢ م ٣٧٧,٠٠٠ وفي خلال أشهر الحصار الستة أصابت المجاعة أكثر من مليون تناري قرمي مات منهم بسبب المجاعة أكثر من مائة ألف شخص . . .

وواجه المسلمون حرب إبادة وإذابة . . ففي القرم واجه التتار المسلمون حرب إبادة فمنذ دخول القوات البلشفية بقيادة كالينين عام

١٩٢٢ م انخفض عدد السكان من خمسة ملايين تناري قومي مسلم إلى أقل من مليون عام ١٩٤٠ م . . ثم قام ستالين عام ١٩٤٥ م بقتل وطرد جميع من بقي من سكان القرم المسلمين !!

ولأول مرة في التاريخ يباد شعب بأكمله ويطرد كلياً من وطنه حتى إنه لا يوجد في القرم تناري مسلم واحد !!

وقام لينين بنشر المجاعة في التركستان للقضاء على الثورات المتكررة . . ففي عام ١٩٣٢ م انتشرت المجاعة في التركستان واستمرت حتى عام ١٩٣٤ م . . وفي هذه المجاعة المروعة مات أكثر من « ثلاثة ملايين تركستاني » . . واضطّر من بقي على قيد الحياة أن يأكلوا الميتة ثم أكلوا بعد ذلك جثث أطفالهم وأقاربهم !!

وفي قازاقستان وقرغيزيا أقام لينين مجاعة مروعة لإخضاع المسلمين ، وامتدت من عام ١٩٢١ م حتى عام ١٩٢٢ م وكان ضحيتها أكثر من مليون شهيد . .

وفي عام ١٩٢٦ م مات أيضاً مليون آخر من القازاق والقرغيز نتيجة المجاعة المروعة التي نشرها لينين للقضاء على الثورات الإسلامية المتكررة .

وفي قازاقستان قام لينين بإبادة ثلث السكان فيما أسماه « سياسة التحضير » في الفترة ما بين ١٩٢٦ و ١٩٣٩ م وكما يقول بنيجنسن ولومرسيه: « لقد سببت سياسة التحضير في الثلاثينات من هذا القرن اختفاء ثلث شعب القازاخ المسلم « كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي » .

وقام لينين الذي كان يدعو المسلمين للثورة من أجل دينهم وقرآنهم بهدم وتحويل ٢٦,٠٠٠ مسجد و ١٥٠٠٠ مدرسة إسلامية وذلك عام ١٩٢٨ م فقط .

واليوم نرى نفس المأساة تتكرر على يد منجستو هايلي ماريام الصليبي الشيعي الحاقداً في الحبشة . . الحبشة التي أسلم نجاشيها في عهد النبي ﷺ على يد جعفر بن أبي طالب - رضوان الله عليه - . . . الحبشة التي دخلها الإسلام مبكراً والإسلام لا يزال في مكة حبيساً ، الحبشة التي دخل أكثر سكانها في الإسلام طوعاً ، والتي واجهت في العصور الحديثة تأمر الدول الغربية الاستعمارية الصليبية لإقامة دولة صليبية تحكم الإمارات السبع الإسلامية ، وبالفعل قام يوهنسن التجريبي بمحاولة توسيع رقعة حكمه بمساعدة إنجلترا والدول الاستعمارية الغربية الأخرى . . ولكن ثورة المهدي في السودان قضت عليه . .

ثم قام « منليك الثاني » مؤسس ما يسمى أمبراطورية الحبشة الحديثة بمساعدة الدول الغربية باجتياح الإمارات السبع الإسلامية . . . وقد استطاع « منليك » وبعده هيلاسلاسي بصهر هذه الإمارات الإسلامية السبع « ما عدا سلطنة الأديسا » التي قاومت بضراوة هذا الصهر . . واستطاعت بذلك أن تحافظ على الحكم الذاتي لشعب عفار المسلم . . .

واستطاع هيلاسلاسي بمساعدة الدول الغربية وعلى رأسهم الولايات المتحدة أن يتحدّى قرارات الأمم المتحدة في استقلال « أريتريا » وضمّها إلى إمبراطوريته عام ١٩٦١م . ومنذ ذلك الحين قامت الثورات المتكررة في أريتريا والمناطق الإسلامية . . وازدادت هذه الثورات شراسة عندما تولّى سدة الحكم الشيعي « منجستو هايلي ماريام » .

والغريب حقاً أن تقوم الولايات المتحدة وهي زعيمة الدول الرأسمالية بمساندة منجستو عندما اشتعلت الحرب بينه وبين الصومال . . وكما ذكرت التايم وغيرها من المجلات الأمريكية كان

للفوز الأمريكي الفضل في انتصار منجستو بعد هزيمته في حرب الأوجادين ، حيث منعت الولايات المتحدة وصول أي مساعدة فعلية عسكرية للصومال !! وتحول شعب الأوجادين المسلم إلى مجموعة من اللاجئيين تعبت بعقولهم ودينهم الهيئات الكنسية ومنظمات الصليب الأحمر وتقوم بمحاولة تنصيرهم واستغلال ظروف مغبتهم وتشريدهم ، فتقدم رغيف الخبز بيد والإنجيل باليد الأخرى .

وهذا أمر تحرص عليه هيئات الصليب الأحمر والهيئات الكنسية . . . وهناك اتفاق سري بين « الدول الغربية وهيئاتها الكنسية » . . . إذ تقوم تلك الدول بخلق الظروف المناسبة لتشريد المسلمين وتقوم بعد ذلك هيئاتها بتقديم المعونة والغوث في مسح الرهبان والقسس . .

وفي أثيوبيا الآن أكثر من تسعة ملايين مسلم يواجهون حرب إبادة حقيقية منهم ثلاثة ملايين في إقليم عفار . . حيث يقوم منجستو بمنع وصول أي مساعدة غذائية لهؤلاء المسلمين . .

وقد أذاعت وكالات الأنباء خبراً مفاده أن منجستو اتفق مع الحكومة الإيطالية باستبدال كمية من المساعدات الغذائية بطائرات حربية ، وقامت ضجة في البرلمان الإيطالي من أجل ذلك .

كما أذاعت وكالة الغوث الدولية أنباء مؤكدة من أن تسعة ملايين « مسلم » يواجهون الموت بسبب إصرار حكومة منجستو على منع وصول الإغاثة الدولية إلى هؤلاء المنكوبين . .

ولقد ساهم منجستو في إيجاد هذه المجاعة مساهمة فعالة وذلك بسنة الغارات الحربية المستمرة ، يدعمه في ذلك الاتحاد السوفيتي وحلفاؤه . . «للأسف بعض حلفائه من البلاد العربية» . . كما قام منجستو بسياسة الأرض المحروقة وهي إبادة المواشي والمزروعات

لخصومه . . وهي هي نفس السياسة التي يتبعها الاتحاد السوفيتي في أفغانستان الآن . .

وجاءت فترة الجفاف لتكمل المأساة الرهيبة . . وتحول البشر إلى هياكل ، ثم تحولت الهياكل إلى كومة من العظام ، لا تجد أحياناً من يدفنها . . وفزّت شعوب إسلامية بأكملها من الموت الذي يأتيها من فوق من حمم الطائرات ومن أسفل من مدافع المورتار والهاون . . ومن الأرض المحروقة اليابسة . . وها هي مئات الآلاف بل الملايين من الأريتريين والعفر . . تتجمّع الآن في كسلا وشرق السودان . . لتواجه حرب إبادة للعقيدة على يد رجال هيئات التنصير والصليب الأحمر !!

جهود العلماء المسلمين في نشر الإسلام ومقاومة الغزاة السوفيت في الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى(*)

يجهل أكثر المثقفين الأدوار البطولية العظيمة التي قام بها علماء الإسلام ومشايخ الطرق الصوفية في نشر الإسلام في المناطق الشاسعة التي دخلت في الإسلام على امتداد القرون فيما يعرف اليوم بالاتحاد السوفيتي . . . ومنذ وقت مبكر جداً كانت الفتوحات الإسلامية التي قادها أجلة الصحابة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - ، كانت هذه الفتوحات العسكرية الباهرة مصحوبة بالدعوة إلى الله بالقول والفعل وباللسان والسنان . .

وكان ممن اشترك من أجلة الصحابة في فتح أذربيجان وكرجستان وأرمينية وطبرستان والديلم وخراسان وبلاد ما وراء النهر حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ والبراء بن عازب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص وحبر الأمة عبد الله بن عباس وأخوه قثم بن العباس الذي استشهد في معركة فتح سمرقند وسيدا شباب أهل الجنة الشهيدان الحسن والحسين ابنا فاطمة الزهراء والحكم بن عمرو الغفاري أول من فتح بلاد الصغانيان وهي الآن في جمهورية أوزبكستان

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) ، كما نشر أيضاً ضمن كتابنا «المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ» .

السوفيتية ، وعبد الله بن عامر بن كرز الذي أعاد فتح خراسان في عهد عثمان - رضي الله عنه - بعد أن انتقضت كثير من مناطقها ..

وكان لهؤلاء الصحابة والتابعين دور كبير في نشر الإسلام في ربوع خراسان المقسمة اليوم بين إيران وأفغانستان وجمهورية تركمنستان السوفيتية .. وتقع مرو وبيهق ونسا وسرخس وهي من أهم مدن خراسان في جمهورية تركمنستان ..

وقد أثمرت جهود هؤلاء الصحابة مثات العلماء والفضلاء والأجلاء الذين خرجوا من تلك البلاد وقاموا بخدمة الإسلام أجل خدمة ..

وعندما توقف المد العسكري في القرن الرابع الهجري وتوقفت الفتوحات عند حدود الصين والتركستان الشرقية قام العلماء ومشايخ الطرق الصوفية ومريدوهم من التجار بنشر الإسلام في الأصقاع الواسعة الواقعة شرق نهر سيحون (سرداريا) والمعروفة آنذاك باسم التركستان (أي التركستان الشرقية) والواقعة شرق فرغانة كما انتشروا شمالاً في سهوب القفجاق وامتدوا من خوارزم صوب سهوب الاستيس فيما يعرف بقازاقستان حالياً وشرقاً وشمالاً صوب سيبيريا الغربية .. وفي الشمال الغربي صوب نهر الفولجا حيث كان يقطنه بلغار الفولجا .. وفيما يلي نبذة موجزة عن هذا الجهد المبارك :

١ - انتشار الإسلام في التركستان الشرقية (أي ما يعرف بطريق

الحرير) :

لقد تم دخول ستوق بغراخان ملك الترك الشرقيين على يد الدعاة إلى الله سنة ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) وتبعه في إسلامه مليون شخص على الأقل (مائتي ألف خيمة بكامل سكانها ..).

٢ - انتشار الإسلام على طول نهر الفولجا (طريق الفراء) :

وذلك منذ القرن الثالث الهجري ويحدّثنا (ابن فضلان) في رحلته التي قام بها إلى بلاد البلغار بأمر الخليفة العباسي المقتدر سنة ٣٠٩هـ (٩٢١م) عندما جاء وفد من بلغار الفولجا وطلبوا من الخليفة العباسي أن يرسل لهم من يعلمهم أمور دينهم ، كما طلبوا منه خبراء عسكريين ومهندسين لينسوا لهم استحكامات عسكرية في وجه أمة الروس الهمجية ، يحدّثنا ابن فضلان عن ملك البلغار المش بن يلطوار المسلم وعن انتشار الإسلام بين رعيتة .

وقد كان إسلام بلغار الفولجا يتم بواسطة الدعاة من العلماء والصوفية وتلاميذهم ومريديهم من التجار . .

٣ - دور العلماء في مواجهة الغزو المغولي الذي قام به جنكيز خان وذلك سنة ٦١٨هـ ثم دورهم العظيم في نشر الإسلام بين صفوف هؤلاء المغول الجفاة الهمج حتى دفع جوجي ابن جنكيزخان ابنه لهؤلاء العلماء من الصوفية لتعليمه فتعلم ابنه بركة خان القرآن في صغره ونشأ على الإسلام وقد تولّى بركة خان حكم القبيلة الذهبية سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦ م) وبقي أميراً عليها إلى أن توفاه الله سنة ٦٦٥هـ (١٦٢٧ م) وانتشر الإسلام في عهده انتشاراً واسعاً بين صفوف المغول وخاصة قبيلته الذهبية وقد حكمت هذه القبيلة معظم مناطق الاتحاد السوفيتي الحالية حيث كان مقرّها أولاً في خوارزم وغرب سيبيريا وسهل القبجاق وجميع بلاد ما وراء النهر (أي جيجون) . . .

وقد وصلت هذه القبيلة إلى حكم منغوليا وجميع أراضي روسيا والقرم ومعظم مناطق القوقاس وقد وصف لنا ابن بطوطة في رحلته السلطان (محمد أوزبك) الذي حكم الأراضي الواقعة على نهر الفولجا وشبه جزيرة القرم (٧١٣ - ٧٤١هـ) كما وصف لنا مملكة السلطان

طرمشيرين الذي كان يحكم خوارزم وما وراء النهر. . وكلاهما من نسل جنكيزخان . .

وقد ظلُّ أبناء القبيلة الذهبية يحكمون الأراضي الواقعة على نهر الفولجا حتى سقطت خانياتهم في قازان واستراخان على يد (إيفان الرهيب) سنة ٩٦٠ هـ (١٥٥٢ م) أمَّا خانية القرم التي حكموها فقد بقيت في أيديهم حتى سقوطها بيد كاترين سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) كما بقيت إماراتهم في خيوه ، وخوارزم وبخارى حتى سقوطها نهائياً بيد لينين سنة ١٣٤١ هـ (١٩٢٢ م) .

وللطرق الصوفية ورجالها أعظم الفضل بعد الله في إسلام هؤلاء المغول وتحولهم الى صف الإسلام والدفاع عنه ونشره .

ولم يكن للعلماء الصوفيين فضل إدخال المغول في الإسلام فحسب بل كان لهم أيضاً شرف المحافظة على إسلام هؤلاء القوم وتعميق الإسلام بينهم على مدى العصور وينقل لنا (ابن بطوطة) أثناء رحلته صورة مشرقة بالنور ونحن نرى العالم (حسام الدين الياغي) وهو يعظ السلطان طرمشيرين (سلطان بخارى وما وراء النهر) المغولي حتى يبكيه يقول ابن بطوطة « وكان هذا الشيخ يعظ الناس في كل جمعة ويأمر السلطان بالمعروف وينهاه عن المنكر والظلم . . ويغلظ عليه القول والسلطان ينصت لكلامه ويبكي . . وكان الشيخ لا يقبل من عطاء السلطان شيئاً . . ولم يأكل قط من طعامه ولا لبس من ثيابه . . » .

كما يصور لنا ابن بطوطة هذا السلطان التقي المؤمن فيقول :
« وهو السلطان المعظم علاء الدين طرمشيرين ، وهو عظيم المقدار كثير الجيوش والعساكر ، ضخم المملكة ، شديد القوة ، عادل الحكم . . . ومن فضائل هذا الملك أنه حضرت صلاة العصر يوماً ، ولم يحضر السلطان (لانشغاله) فجاء أحد فتياهه بسجادة ووضعها قبالة

المحراب، حيث جرت عاداته أن يصلي، وقال للإمام حسام الدين الياغي: إن مولانا يريد أن تنتظره بالصلاة قليلاً ريثما يتوضأ. فقال الإمام الصلاة لله أول طر مشيرين. ثم أمر المؤذن بإقامة الصلاة. وجاء السلطان، وقد صُلي منها ركعتان، فصلى السلطان الركعتين الأخيرين حيث انتهى به القيام، وذلك في الموضع الذي تكون فيه أنعلة الناس عند باب المسجد، وقضى ما فاته، وقام إلى الإمام ليصافحه وهو يضحك، وأنا إلى جانب الإمام. فقال لي الإمام: إذا مشيت إلى بلادك، فحدّث أن فقيراً من فقراء الأعاجم يفعل هكذا مع سلطان الترك».

وكذلك يصف لنا ابن بطوطة الإمام العالم (نعمان الدين الخوارزمي) الذي كان يعظ السلطان محمد أوزبك ويعتفه والسلطان محمد أوزبك هو أحد السلاطين السبعة الذين يحكمون الدنيا آنذاك. . فقد كان ملكه يمتد في أرض روسيا على طول نهر الفولجا. . ويحكم القرم، والقوقاس حتى تصل حدوده بحدود مملكة طر مشيرين في خوارزم. .

يقول ابن بطوطة عن الإمام العالم (نعمان الدين الخوارزمي) الذي كان يقيم في زاوية صغيرة في مدينة السرا حاضرة ملك السلطان محمد أوزبك. . وهو من فضلاء المشايخ حسن الأخلاق كريم النفس شديد التواضع شديد السطوة على أهل الدنيا، يأتي إليه السلطان محمد أوزبك زائراً في كل جمعة فلا يستقبله ولا يقوم إليه. . ويقعد السلطان بين يديه ويكلمه ألطف كلام ويتواضع له والشيخ بضد ذلك. . وفعله مع الفقراء والمساكين والواردين خلاف ذلك فإنه يتواضع لهم ويكلمهم بألطف كلام ويكرمهم. .

هكذا كان أصحاب الزوايا من العلماء الزهاد المشايخ لا يلتفتون

إلى السلاطين ولا يسعون نحوهم بل السلاطين يجثون على أبوابهم
ويسمعون تقريرهم وتأنبيهم بكل أدب وخضوع .

وكان للعلماء ومريديهم دور عظيم .. في دخول المغول في
الإسلام وفي تجذيره وتعميقه في نفوسهم .

الطريقة الياسوية

ولقد كان للطريقة الصوفية الياسوية تأثير خاص على هؤلاء المغول
لانتشارها بينهم، ومؤسسها الشيخ أحمد اليسوي من سلالة الإمام محمد
ابن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية^(١).

وقد نشأ هذا الشيخ وتوفي في مدينة يس التي عرفت فيما بعد باسم
تركستان وهي في منطقة تشيمقند (حالياً في جمهورية قازاقستان) وقد
كانت وفاته سنة ٥٦٢هـ - ١١٦٦م .. وكان لتلامذته واتباع طريقته
تأثير قوي على الأتراك والمغول على مدى القرون .. وكان لهم دور كبير
في انتشار الإسلام بين المغول والقبائل التركية والقازاخية كما كان لهم
دور كبير في تجذير الإسلام وتعميقه في نفوسهم .. وفي العصور الحديثة
قام شيوخ هذه الطريقة ومريدها بمقاومة القياصرة بعنف في منطقة
قرغيزيا وقازاقستان .. مقاومة شديدة ..

وعندما قامت ثورة لينين ضد القياصرة وأعلن وعوده الكاذبة
للمسلمين بأنهم سيعطون حريتهم الدينية والسياسية كاملة صدقه كثير من

(١) ذكر ذلك الدكتور يحيى محمود ساعاتي في مقاله المسلمون في الاتحاد السوفياتي - مجلة
الفيصل - العدد (١٤) ذوالحجة ١٤٠٦هـ / أغسطس ١٩٨٦ ص ٤١ - ٤٥ ، في استعراضه
لكتابتنا المسلمون في الاتحاد السوفياتي ، وأسند ذلك الى نجم الدين عمرالنسفي في كتابه
تاريخ سمرقند إلى ما ذكره علي اليزدي في كتابه ظفرنامه .

المسلمين . . وانقسمت هذه الطريقة عندئذٍ إلى فرقتين فرقة صدقت لينين ووعوده الخلافة للمسلمين ووقفت معه لتحارب قوات روسيا البيضاء وتعرف هذه الفئة باسم لاشي .

وفرقة لم تصدق وعود لينين وحاربت منذ أول وهلة كما حاربت قوات القياصرة وكما حاربت قوات روسيا البيضاء وتعرف هذه الفئة باسم الأيشان . . ويتهم مريدوها بالتعصب الديني والنشاط المناهض للسوفييت منذ عام ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م . . كما يقول بنجينسن ولومرسيه في كتابهما المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي . . . وكان مركز الأيشان مدينة أرسلانبار في وادي فرغانة ، وأتباعها منتشرون في قرغيزيا وأوزبكستان .

أما فئة لاشي التي تعاونت أول الأمر مع لينين مصدقة وعوده الكاذبة فسرعان ما عرفت الحقيقة وتحولوا إلى العمل السري ضد الشيوعية وفي عام ١٣٧٠ هـ (١٩٥٠ م) اكتشفت السلطات تنظيماتهم المناهضة للسوفييت وقامت الحكومة بإجراءات تعسفية في ملاحقتهم بعد أن قتلت جميع من قبضت عليهم من زعمائهم . . ورغم ذلك بقيت هذه الطريقة تعمل سراً لنشر الإسلام وتجذيره ومحاربة الإلحاد والشيوعية . وفي عام ١٩٦٣ م اكتشفت السلطات البوليسية السوفييتية تنظيماً سرياً آخر لهذه الطريقة . . وكان الاتهام الموجه إليهم هو إقامة بيوت سرية لإقامة الصلوات ودراسة القرآن والحديث وتنظيم حلقات دراسية والتمهيد لإقامة حكم إسلامي ومحاربة الإلحاد والشيوعية . . وقد حكم على معظم أعضاء هذا التنظيم بالإعدام . .

ولا يزال أتباع هذه الطريقة ينتشرون سراً في جنوب كازاخستان وقرغيزيا وبعض مناطق أوزبكستان . .

٤ - قبيلة الشيخ : وموطنهم كذلك في غرب تركمنستان شمال مدينة كراسنوفودسك ..

وهذه المواطن معروفة في التاريخ الإسلامي بأنها كانت موطن الدولة العلوية في طبرستان والديلم والتي قامت في أيام العباسيين بعد مقتل الإمام زيد بن علي زين العابدين ثم مقتل ابنه الإمام يحيى بن زيد .. والتي كان للإمام حسن الأطروش دور كبير في تأسيسها .. وفي شر الإسلام وتجذيره في تلك المناطق ..

ويقول كتاب (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) مؤلفين الفرنسيين بنجيسن ولومرسييه إن هذه القبائل الأربع تعتبر قائدة والرائدة للنشاط الديني المتمثل في الجماعات المسلمة التي أجهت الروس القياصرة بعنف وضراوة في الحرب التركمانية التي تلت حتى عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢ م) ثم قامت هذه القبائل بمحاربة بين والدعوة البلشفية وواجه التركمان حرب إبادة شديدة من النظام نصري ثم البلشفي ولولا الخصوبة العالية التي خصهم الله بها لدمروا.

ولا يزال لهذه الطرق دور كبير في نشر الإسلام وتجذيره في مناطق كمستان وهم يواجهون حملات الإبادة والسجن والتشريد دون أن رالى ذلك أجهزة الإعلام الغربية التي يوجهها ويملكها اليهود ..

يقة النقشبندية

تعتبر الطرق الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية أكثر الفئات لامية صموداً في وجه الطغيان الروسي القيصري ثم الشيوعي في .. ويطلق الروس على المؤسسات الصوفية اسم الإسلام زي والمقصود بذلك الموازي للإسلام الرسمي المحدود الذي م به السلطات السوفيتية .. ويعتبر الإسلام الموازي كما يقول

الطريقة الكبراوية :

وتنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ نجم الدين الخيوي نسبة إلى مدينة خيوه الذي عاش في القرن السادس (٥٤٠ - ٦٠٦ هـ) (١١٤٥ - ١٢١١ م) والذي يوجد قبور أورغتشي في غرب خوارزم . وقد كان لهذه الطريقة دورا في الإسلام وتجذيره في مناطق خوارزم كما كان لهم دور الإسلام في المناطق الواقعة شمال خوارزم وبين القبائل التي تنتشر هذه الطريقة في منطقة خوارزم الواقعة في جمهورية أوزبكستان السوفيتية وفي غرب جمهورية تركمنستان

وقد وفدت القبائل التركمانية من التركستان الشمالية السلاجقة وهم أيضاً من الأتراك الشرقيين وسكنوا في طبرستان والديلم وخراسان

ويتزعم هذه الطرق الصوفية أربع قبائل كلها تنسب إلى النبي الشريف

وهذه القبائل الهاشمية العربية هي :

١ - قبيلة عطا : وموطنها في شرق تركمنستان

أموداريا قرب تشاردجو

٢ - قبيلة حجة : وموطنها غرب تركمنستان

وهي المنطقة التي حكمها أولاد الإمام زيد بن الحسين بن علي في طبرستان والديلم

وتوجد جنوب تركمنستان قرب مدينة قزوین عرفات .

٣ - قبيلة السيد : وموطنهم في غرب تركمنستان

كارابوغاز حيث قامت الدولة العلوية الزيدية الهاشمية

ال

ت

ال

الإ

البلد

المصر

تسم

مؤلفا كتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» هو العنصر الديني النشيط الذي تخشاه السلطات الروسية أشد الخشية لأنها تعتبره الأكثر رجعية وتمسكاً بالإسلام . . ومقاومة للروس وللشيوعية . . وتعتبر الطريقة النقشبندية من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً في الاتحاد السوفيتي وربما أكثرها أهمية . .

لقد تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند في مدينة بخارى الذي يقول بانتسابه إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - وقد ولد هذا الشيخ عام ٧١٨ هـ (١٣١٧ م) وتوفي سنة ٧٩٢ هـ (١٣٨٩ م) بعد أن ترك أتباعه ينتشرون في آسيا الوسطى والقوقاس وتثار الفولجا ووصلت طريقته إلى الهند والصين ثم امتدت إلى الشرق الأوسط ذاته . .

ولقد شكّلت الطريقة النقشبندية المحرك الرئيسي لقوى الجهاد الإسلامي في وجه المستعمر الكافر الروسي في العهد القيصري ثم في العهد البلشفي الشيوعي ، وامتدَّ جهاد شيوخها ومريديها عبر مئات السنين وعلى امتداد الأراضي الواسعة من القوقاس في جبال الداغستان والشاشان غرباً . . إلى بخارى وقرغيزيا على حدود الصين شرقاً . . واشتهرت بصورة خاصة مقاومة الميردين في القوقاس . .

ولقد أدخل الشيخ منصور أشرمه هذه الطريقة إلى القوقاس في القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) . . وكان هذا الشيخ هو أول من قاوم الغزو الروسي على القوقاس . . وقد قام مع مريديه بإفناء فرقة روسية كاملة على نهر سوبخا سنة ١٧٨٥ م (١٢٠٠ هـ) واستمرَّ في الجهاد حتى أسرف في ميدان القتال عام ١٧٩١ م (١٢٠٦ هـ) حيث أودع السجن في قلعة شلوسليبرغ وهناك وافته المنية عام ١٧٩٣ م (١٢٠٨ هـ) ثم ظهر بعد ذلك الشيخ النقشبندي خاس

محمد أفندي الباراغلاي وتولى الجهاد ضد الروس حتى استشهد ثم تولى بعده الجهاد تلميذه الشيخ جمال الدين الكازيكومخي . . وكان الشيخ جمال الدين هذا أستاذاً ومرشداً للإمامين العظمين الملا الغازي محمد الكمراوي والشيخ محمد شامل الكمراوي اللذين قاما بثورة الداغستان الشهيرة مع تلميذهما الأمير حمزة الخنزاجي والتي استمرت من سنة ١٢٤٦ هـ - (١٨٣٠ م) إلى عام ١٢٧٦ هـ - (١٨٥٩ م) . . وقد استشهد الملا الغازي محمد والأمير حمزة في ميدان القتال ثم أسر الشيخ محمد شامل عام ١٨٥٩ م . .

ومع إطلالة القرن الرابع عشر الهجري قامت مرة أخرى ثورة المريدين من الطريقة النقشبندية وبعد معارك طاحنة مع القوات الروسية تم إخضاعها عام ١٣٠٥ هـ - (١٨٨٧ م) .

أما في بلاد الشاشان فقد دخلت الطريقة النقشبندية أثناء إمامة الشيخ محمد شامل في الداغستان على يد أحد نوابه وهو الشيخ تاشوحجي وذلك سنة ١٢٤٦ هـ - (١٨٣٠ م) وقد اشتهر الشيخ تاشوحجي بأعماله البطولية الباهرة في مقاومة الغزو الروسي الكافر . . وفي آسيا الوسطى كان النقشبديون كما يقول لومرسييه وبنجيسن هم المسؤولون عن ثورة المسلمين ضد الروس . . في وادي فرغانة (مدينة أنديجان) (١٣١٦ هـ - ١٨٩٨ م) . . وكان زعيم هذه الثورة الشيخ النقشبندي المجاهد الأيشان (وهو لقب بمعنى الشيخ) مادالي . . وقد استشهد هذا الشيخ أيضاً . .

وفي قرغيزيا قاد رجال الطريقة النقشبندية الجهاد ضد الغزاة البوذيين الأويروت وذلك في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين كما كان لهم دور بارز في جهاد الروس الغزاة أثناء الحكم القيصري ثم أثناء الحكم البلشفي . .

وفي تركمنستان كان لشيخ الطرق المختلفة (الياساوية والكبراوية والنقشبندية) دور بارز في المعارك الطويلة التي دارت بين التركمان في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) والتي انتهت باستيلاء الروس على تركمنستان عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٢م) ويقول بينجنسن ولومرسيه «إن معظم قادة الثورة البسمشية كانوا من المريدين الذين جاهدوا بقوة السلاح الجيش الأحمر من سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٢٨ . . وقد اشتهر من هؤلاء الشيخ إسلام قرباشي وملا دهقان وكورشيرمات ومادامين ودجانيك» .

وعندما احتلت القوات الروسية القوقاس عام ١٢٧٦ هـ (١٨٥٩ م) بعد هزيمة الشيخ محمد شامل الكمراوي أقامت هذه القوات المذابح والمشائخ الطريقة النقشبندية ومريديها . . واستطاع بعضهم الفرار إلى الدولة العثمانية . . ورغم هذه المذابح فقد بقيت هذه الطريقة تجاهد في الشاشان تحت قيادة الشيخ تاشوحجي تلميذ الإمام محمد شامل ثم بعد استشهاده تحت قيادة تلميذه الشيخ بشير الكوميكي الداغستاني . . وقد أسر الشيخ بشير ونفي إلى سيبيريا حيث وافته المنية هناك ولكن سلالة المعروفة باسم سلالة أكساي تولت مشيخة الطريقة النقشبندية في القوقاس الشمالي وواصلت الجهاد ضد الروس وخاصة في الشاشان . . وقام خلف الشيخ بشير وهو الشيخ اليخان كوميكا بمواصلة الجهاد ولكنه أسر ونفي أيضاً إلى سيبيريا حيث توفي هناك ثم ظهر المرشد الثالث لسلالة أكساي وهو الشيخ دني أرسانوف وانتقم لشيخه الشيخ اليخان فقتل الضابط الروسي الذي نفى الشيخ اليخان . . ثم كوّن فرقة لقتال الروس قامت بعدة معارك ناجحة على نهر ترك . . واستشهد عام ١٩١٧ م (١٣٣٦ هـ) .

وفي نفس العام اختار علماء الداغستان الشيخ نجم الدين غوتسو

إماماً للداعستان والشاشان وقاد هذا الإمام المجاهد الثورة ضد الروس
القياصرة والبلاشفة من عام ١٩١٧ إلى أن أسر في ميدان القتال عام
١٩٢٥ . . واشتهر في الجهاد معه مجموعة من المشايخ وهم أوزون
حجي ومحمد البلوكاني ودرويش محمد الأندي وإبراهيم حجي
الكوتشيري وسيد أمين الأنسلاوي وسراج الدين حجي . . ولقد ذاعت
بصورة خاصة بطولات أوزون حجي الذي كان شيخاً كبيراً . . والذي
توفي أثناء الثورة عن عمر يناهز التسعين وقد استشهد معظم هؤلاء
المشايخ في ميادين القتال ، أما نجم الدين غوتسو وسيد أمين فقد أسرا
في المعركة الأخيرة عام ١٩٢٥ وتمّ تنفيذ حكم الإعدام بهما .

وتبع ذلك قمع طويل قامت به السلطات الروسية البلشفية كما
يقول بنجينسن ولومرسيه سالت فيه الدماء أنهاراً . . وصفت كل
المحاكم الشرعية ونزع السلاح من الأهالي وأوقف معظم علماء الدين
ومشايخ الطرق الصوفية حتى أولئك الذين لم يشتركوا في ثورة نجم
الدين غوتسو وقامت السلطات باعتقال المرشد (علي ميتانين) عام
١٩٢٤ وأعدم عام ١٩٢٧ بعد محاكمة صورية . . واعتقل شيخ الطريقة
النقشبندية في الشاشان عام ١٩٢٨ وهو الشيخ سالسا يانداروف ، وأعدم
عام ١٩٢٩ . . وفي نفس العام أعدم أيضاً الشيخ النقشبندي علي
الأكوشي . .

وقامت السلطات السوفيتية بما أسمته حركة التطهير الكبيرة عام
١٩٢٨م ، ضد علماء الاسلام ومشايخ الطرق الصوفية ، وأحدث ذلك
انتفاضة وثورة عظيمة كافح فيها مريدو الطريقتين النقشبندية والقادرية جنباً
الى جنب . . وكان ممن استشهد في هذه المعارك الشيخ شيتا إيستامولوف
والشيخ أرسانو كاي خيضر وهما من الطريقة النقشبندية . أما في بلاد
الأيغوش فقد قتل تسعة من أبناء مؤسس هذه الطريقة وتسعة من أحفاده

وهم يحملون السلاح كما يقول (بنجينسن ولومرسيه) . .
ولم تتمكن السلطات السوفيتية من قمع هذه الثورة إلا في عام
١٩٣٦ لكنها عاودت انطلاقها عام ١٩٤٠ ممّا أدّى إلى المذابح الرهيبة
في الشاشان وإلى نفي هذه الشعوب بأكملها إلى مجاهل سيبيريا . .
وقد استطاع عدد من المريدين القادرين الذين اشتركوا في الثورة
أن يعتصموا بالجبال العالية حتى عام ١٩٤٧ عندما استطاعت السلطات
السوفيتية القبض على الشيخ قريش بلهورييف آخر فرع في سلالة بطل
حجي بلهورييف ونفي الشيخ قريش إلى سيبيريا . .
وفي أثناء السبي لشعوب الشاشان وأينغوش في مجاهل سيبيريا قام
العلماء وخاصة طريقة عويس حجي التي أسسها رجل من الشاشان يدعى
(عويس حجي زاغيف) بجهود جبارة لإبقاء جذوة الحماسة الدينية
والمحبة بين الأفراد الذين يواجهون الموت في مجاهل سيبيريا . .
ويقول بنجينسن ولومرسيه « لقد أعطى السبي إلى مجاهل سيبيريا
نتيجة لم تكن في الحسبان ذلك لأن العلماء كانوا الرمز الوحيد للأمة في
معسكرات سيبيريا ومنفى السهوب الكازاخية . . وكانت دافعاً أساسياً
لحب البقاء عند جميع المسيبين ويعترف بهذه الحقيقة كل
الاختصاصيين السوفيت ويقول أحدهم وهو د . كليموفيتش: « أثناء
الحرب العالمية الثانية وبسبب الظروف السائدة بعدها أحى رؤساء
جماعات المريدين الاعتقادات الدينية . . وممّا يوضح سبب هذا البعث
الديني تعاسات الحرب وعبادة الشخصية التي تفرضها الأنظمة
الشيوعية والخرق الشرس لسياسة لينين حول القوميات في حالة
التشتشين والأنغوش» .

ولقد تكوّنت طريقة عويس حجي القادرية عام ١٩٥٥ في أثناء
العيش في مجاهل سيبيريا وكانت عاملاً مهماً في إذكاء الروح الدينية

والمحافظة على العقيدة الإسلامية وروح الإخاء والمحبة بين الشعوب المسبية في فيافي سيبيريا وقد سميت الطريقة في الأدب السوفيتي باسم «أخوية القلنسوات البيض» لأن رجال هذه الطريقة يلبسون قلنسوات بيضاء من الفراء أثناء الذكر الجماعي . .

ولم يكن تأثير هذه الطريقة مقصوراً على شعوب الشاشان وأينغوش ولكن أثرها امتد إلى شعوب كازاخستان وقيرغيزيا الشمالية . .

وعندما عادت شعوب الشاشان وأينغوش إلى وطنها وجدوا كل مساجدهم وجوامعهم مهدمة كما يقول بنجينسن ولومرسيه ولقد ظلت جمهورية التاشان أينغوش حتى عام ١٩٧٨ م الإقليم المسلم الوحيد في الاتحاد السوفيتي الذي أجريت فيه التجربة الجذرية القاضية بمحق الدين الإسلامي من خلال هدم وحل كل مؤسسات العبادة . .

ولكن هذه الإجراءات العنيفة ضد الإسلام فشلت فشلاً ذريعاً بفضل الله أولاً ثم بفضل جهود العلماء المخلصين . .

الطريقة القادرية : تنسب هذه الطريقة إلى الامام الرباني المجاهد الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني المتوفي سنة ٥٦١هـ (١١٦٦م) . وانتشرت هذه الطريقة في مختلف أرجاء العالم الاسلامي وفي البلاد العربية وشمال أفريقيا وتركيا والهند وفي الاتحاد السوفيتي .

وتتركز الطريقة القادرية في عدة مناطق في القوقاس وآسيا الوسطى . . وتختلف الطريقة القادرية عن الطريقة النقشبندية بأن القادرية يعتمدون الذكر العلني بينما يعتمد النقشبنديون الذكر القلبي الخفي مما جعل الروس يطلقون عليهم اسم «شيتوني» أي المتمتمين بينما يطلق الروس على الطريقة القادرية اسم «ذيكريستي» أي اصحاب الذكر (العلني) .

وقد ظهر أول مرشد قادري في القوقاس حوالي سنة ١٨٥٠ م

ويدعى كونتاجي الذي ذهب الى بغداد لأخذ الطريقة القادرية من شيوخها هناك . وانتشرت طريقة كونتاجي في الشاشان حيث لاقت نجاحاً كبيراً هناك . . «وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي قام القاديون بنشر الاسلام بين الأينغوش الذين كانوا لا يزالون وثنيين» . كما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي . وسرعان ما انضم مريدو الطريقة القادرية الى مريدي الطريقة النقشبندية في مواجهة الكفار الروس واشتركوا معهم في معاركهم الجهادية . وقامت السلطات الروسية باعتقال كونتاجي عام ١٨٦٤ وتوفي في السجن عام ١٨٦٧م وعاملت السلطات الروسية مريديه بكل شدة وعنف .

ويقول المؤلفان الفرنسيان لكتاب «المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي» ما يلي : «اشتركت الطريقتان النقشبندية والقادرية في الثورة الكبرى في الداغستان والشاشان خلال عامي ١٨٧٧ و ١٨٧٨م . . وواجه هؤلاء المريدون أشد أنواع البطش القيصري وسبي آلاف المريدن . . وشيوخ الطريقة الذين لم يقتلوا في ميادين القتال شقوا في الميادين العامة . والغريب في الأمر أن محنة ١٨٧٨م بدلاً من أن تشكل بداية انحطاط الطرق الصوفية في القوقاس شكلت نقطة انطلاق لبعثها ومدّ نفوذها» . حتى يقول كاتب تشتيني معاصر «لقد كان جميع أفراد الشعب البالغين تقريباً في الشاشان - اينغوشيا ينتمون الى احدى الطريقتين القادرية أو النقشبندية خلال الفترة الطويلة الممتدة من عام ١٨٧٧ الى عام ١٩١٧م» .

ولقد استقطبت الطريقة القادرية الطبقات الشعبية بينما استقطبت الطريقة النقشبندية أغلب علماء الدين والمثقفين وبينما كانت الطريقة النقشبندية أكثر استعداداً للصراع المكشوف ضد الروس كانت الطريقة القادرية أميل للصراع السري . . واشتركت كلا الطريقتين في الصراع

الدموي الرهيب ضد الروس الكفار في جميع العهود القيصرية والبلشفية على حد سواء الذي استمر حتى عام ١٩٤٧ م . وتشعبت الطريقة القادرية بعد موت كونتاجي الى أربعة فروع (ورد) وهي :

(١) الورد النظامي - الذي ظل يحمل اسم كونتاجي وانتشر هؤلاء في الشاشان اينغوشا والداغستان .

(٢) طريقة بطل حجي بلهوريف ومركزها في بلاد الاينغوش ثم انتشرت في الشاشان والداغستان . . وهي تطبق حرفياً أحكام الجهاد ومثله العليا ولذا قتل معظم قادتها في المعارك أو نفذت فيهم السلطات القيصرية ثم البلشفية أحكام الاعدام . . وهم شديدو التمسك بالشريعة وآدابها وبروح الجهاد ويتحاشون الاختلاط بغير المؤمنين .

(٣) طريقة بامات حجي ميتانيف ومركزها أيضاً بلاد الاينغوش .

(٤) طريقة تشيم ميرزا وتركز في مقاطعة شامي من بلاد

الشاشان .

إلى الذين لا يقرؤون التاريخ هكذا يتم :
خداع العرب والمسلمين
بيان من جورج الخامس إلى العرب
وبيان من لينين إلى المسلمين (*)

في أثناء الحرب العالمية الأولى اتفق الحلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) على اقتسام العالم الإسلامي والتهام تركيا مركز الخلافة الإسلامية . وبموجب الاتفاقات السرية التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا وروسيا في ١٠ إبريل ١٩١٥ والتي أكدتها اتفاقية سايكس بيكو في سنة ١٩١٦ م تم تقسيم العالم الإسلامي أو بالأصح ما بقي من العالم الإسلامي بين هذه الدول الثلاث التي كانت قد التهمت من قبل أجزاء واسعة منه . . فروسيا القيصرية قد احتلت من قبل جميع أراضي المسلمين على نهر الفولجا وفي القوقاس والقرم وفي حوض نهر الأورال وامتد سلطانها إلى سهوب كازاخستان وجميع بلاد ما وراء النهر (جيحون أو أموداريا) والمناطق الواقعة على نهر سيحون وأراضي التركمان الواقعة فيما كان يعرف بخراسان . . كما امتد سلطانها ليشمل الأراضي عبر القوقاس (أذربيجان) والأراضي عبر قزوين (طبرستان) . . كما شملت إمبراطوريتها الأراضي الواقعة على البحر الأسود حتى باطوم . . وامتلكت كثيراً من الأراضي التي كانت تابعة للخلافة العثمانية وبسطت عليها سلطانها مثل مولدافيه وفاليسيا . .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) وفي مجلة المجتمع (الكويت).

وأما بريطانيا فقد امتلكت الهند التي كانت محكومة من قبل بدولة المغول الإسلامية (أحفاد تيمورلنك) وبسطت نفوذها على مصر والسودان وإمارات الخليج وإيران وعدن والملايو وسنغافورة وبدأت تمد نفوذها إلى أفغانستان وإلى الجزيرة العربية ذاتها .

وأما فرنسا فقد امتلكت شمال إفريقيا المسلم وبسطت سيطرتها على تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا . . وبدأت توسع نفوذها بواسطة المارون في لبنان وسوريا . .

وتمّ الاتفاق بين الحلفاء على تقسيم ما بقي من تركة (رجل أوروبا المريض) وهو الاسم الذي أطلقه نيقولا الأول إمبراطور روسيا على تركيا . .

وفي هذه الاتفاقات السرية أعطيت روسيا تركيا بما فيها البوسفور والدرديل وأسطمبول (القسطنطينية) ذاتها لتعيدها عاصمة للمسيحية الأرثوذكسية . . وتعيد مسجد آيا صوفيا إلى وضعه السابق لما قبل فتح محمد الثاني لها الذي تمّ سنة ١٤٥٣ . .

وأما بريطانيا فقد أعطيت العراق وإيران وفلسطين والخليج العربي والجزيرة العربية وأكد نفوذها على الهند والملايو ومصر والسودان . . وأما فرنسا فقد أعطيت سوريا ولبنان بالإضافة إلى ممتلكاتها في المغرب العربي الكبير (تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) . .

والغريب أن بريطانيا العظمى صديقة العرب كما كانت تدعى . . قامت بإعطاء اليهود أرض فلسطين التي لا تملكها بوعد بلفور المشؤوم سنة ١٩١٧ م وهكذا أعطى من لا يملك من لا يستحق . . وفي نفس الوقت قامت بريطانيا بإعطاء الشريف حسين عهدها ومواثيقها لإقامة دولة عربية تشمل الجزيرة العربية بأكملها وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ما

عدا بعض الموانئ التي أصرت على إبقائها تحت نفوذها مثل عدن والبصرة والكويت . .

وقد أصدرت بريطانيا بياناتها المتكررة إلى العرب والمسلمين تحثهم على الانضمام تحت لوائها . . والوقوف . . ضد تركيا . . ومن ذلك البيان الذي أصدره جورج الخامس ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند في ١٣ شباط (فبراير) سنة ١٩١٥ م (١٣٣٤ هـ) .

إلى أصدقائنا سكان بلاد العرب

قد علمتم تماماً أننا معشر الإنجليز لم نخض غمار هذه الحرب الطاحنة ضد ألمانيا إلا لأنها اعتدت على الممالك الصغيرة المتاخمة . . لها وهاجمتها غير ما ذنب مع أن ألمانيا نفسها كفلت ضمان الاستقلال لتلك الممالك بالعهد والمواثيق الأكيدة . . ولا يغيب عن بالكم أن ألمانيا لما اكتفتها الأخطار . . وأحاطت بها الأزمات احتالت بدائها على الحكومة التركية . . لتأخذ بناصرها وتشد أزرها . . وقد استطاعت أن تصل إلى مأربها بفضل المبالغ الطائلة من المال والأمانى الكاذبة . . وكانت ترمي بذلك إلى الحصول على أمر بالجهاد من سلطان تركيا ضدنا وضد حلفائنا لأن رأيتنا تظل الملايين العديدة من المسلمين الذين انضموا إلى جيوشنا الآلاف المؤلفة منهم . . وأصبحوا يحاربون معنا الألمان جنباً إلى جنب . . وهي ترجو من وراء ذلك أن ينقلب المسلمون ويكونوا علينا لا لنا . .

ولا شك أن كل مسلم صميم ملأت العقيدة الإسلامية قلبه يربأ بنفسه من أن يستخف بعقيدته ويكون العوبة في يد دولة أجنبية تجعله قرباناً على مذابح مطامعها الأشعبية . .

وليس جميع المسلمين من رعايا بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا

وحليفاتها وحدهم قد أظهروا آيات الإخلاص والولاء بإرسال زهرة شبانهم لمساعدتنا في ميدان القتال ضد تركيا وغيرها . . بل إنَّ الطبقة الرشيدة من الأتراك سخطت على سوء سلوك تركيا إلى هذا الحد . . ولعلَّ بينكم من يتساءل عن نوايانا بعد أن تطفأ جذوة هذه الحرب فلدفع الالتباس نصرح بما يأتي :

إنَّ حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وإمبراطور الهند قررت أنه عند انتهاء الحرب ستجعل من شرائط الصلح ومواده الرئيسية أن تكون شبه جزيرة بلاد العرب ترفل في ثياب الحرية وتستعيد رقيها القديم ونصرتها الأولى . . بربكم أفلم يكفكم ذلك ؟

لقد صرَّح لنا بعض مشايخ العربان برغبتهم في التخلُّص من يد الأتراك وبعضهم يشد اليوم أزر جيوشنا بحد سيفه . . أمَّا الذين يرغبون فينا منكم ويخافون المجاهرة بما في نفوسهم فإليهم نسوق حديثنا هذا . .

لا يداخلكم ريب من جانبنا وترقبوا سنوح الفرصة المناسبة فهي آتية لا ريب فيها وعندها تخلعون عنكم رداء الظلم وتنفضون عنكم غبار الاستبداد . . وإنا لا نألو جهداً في مدِّ يد المساعدة إليكم كما إننا نعدكم وعداً صادقاً بأنكم ستصيرون بحول الله وقوته أمة متمتعة بكل معاني الاستقلال . .

أنتم على شوق إلى معرفة نوايانا من جهة دينكم الكريم ألا فاعلموا أنَّ الديانة الإسلامية قد احترمتها الإنكليز أجلَّ احترام وأكبروها كل الإكبار والتاريخ أكبر شاهد على صدق ما نقول .

ملك بريطانيا وإمبراطور الهند
(جورج الخامس)

وقام لورنس المشهور بلورنس العرب صاحب كتاب أعمدة
الحكمة السبعة بإقناع الشريف حسين وابنه فيصل بالثورة ضد تركيا
وكتبت الموائيق والعهود فقام الشريف بثورته ورغم وعود بريطانيا بإعطاء
السلاح إلا أنها أخلفت موائيقها وأمدته بالبنادق فقط . . ورغم هذا كان
الفيلق العربي السبب في دخول النبي القائد البريطاني منتصراً في دمشق . . .
ولم يكذب يدخل النبي دمشق وفلسطين حتى وضع قدمه النجسة
على قبر صلاح الدين وقال مصرحاً بحقده الدفين (الآن انتهت الحروب
الصليبية يا صلاح الدين) . .

ومن هذه العجالة نرى كيف وقعت بريطانيا موائيق ومعاهدات
متناقضة في وقت واحد ففي أحد هذه المعاهدات والموائيق جعلت
فلسطين للشريف حسين وفي اتفاقية سايكس بيكو جعلتها تحت
الانتداب البريطاني . . وفي وعد بلفور جعلتها وطناً قومياً لليهود . .
وأما لينين فقد أصدر أول بيان له إلى مسلمي روسيا والشرق بعد
أقل من شهرين من استيلائه على السلطة (٢٢ نوفمبر ١٩١٧) وحاول
فيه أن يتقرب إلى المسلمين ويصور لهم أن ثورته البلشفية ليست إلا في
صالحهم . . وأنه يقف معهم ضد الاستعمار الغربي . . ويعترف
بحريتهم واستقلالهم بل ويدافع عن إسلامهم وقرآنهم . . يقول لينين :
يا مسلمي روسيا . . يا مسلمي الشرق . . أيها الرفاق . . أيها الأخوة . .
إن أحداثاً عظيمة تحدث الآن في روسيا . . إن العهد الدموي
(الحرب العالمية الأولى) الذي بدأ بسبب أطماع الاستعماريين
والإمبرياليين في أرضكم قد قارب النهاية . . وتحت ضربات الثورة
الروسية فإن النظام الاستعبادي الاستبدادي يتقوض بناؤه الآن وإن حكم
الطغاة والمستبدين ومصاصي دماء الشعوب يقترب من أيامه الأخيرة وإن
عالمًا جديدًا يولد الآن . . عالم العمال والأحرار وعلى رأس ثورة

الفلاحين والعمال يقوم مجلس الشعب الممثل بالقوميسار الروسي . . .
إن عهد الرأسماليين والإمبرياليين يتداعى وإن الأرض تميد من
تحت أرجلهم وتشتعل الثورة من تحت أقدامهم . .
وفي خضم هذه الأحداث العظام نلتفت إليكم يا مسلمي روسيا
والشرق الذين استرقكم الاستعمار واستلب أموالكم وأراضيكم . . .
يا مسلمي روسيا ويا تزار الفولجا والقرم ويا أيها القرغيز وسكان
سيبيريا والتركستان . . يا سكان القوقاس الأبطال وقبائل الشاشان وسكان
الجبال الأشداء . . أنتم يا من هدمت مساجدكم وحطمت معابدكم . .
ومزق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم
ولغاتكم . .

ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحریاتكم في العبادة . . إننا هنا
نعلم احترامنا لدينكم ومساجدكم وإن عاداتكم وتقاليديكم حرة لا يمكن
المساس بها . . ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي
معوقات . . ولكم كل الحق في ذلك . . واعلموا أن جميع حقوقكم
الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة . . ورجالها والعمال والفلاحين
والجنود وممثليهم . .

لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها لأنها تقوم من أجلكم ومن
أجل حريتكم الدينية والمدنية . .

يا مسلمي الشرق . . يا مسلمي إيران وتركيا وبلاد العرب
والهند . . أنتم يا من تاجر مصاصو الدماء الأوروبيون المستعمرون
بحياتكم وأوطانكم وحریاتكم لعدة قرون من الزمان . . أنتم يا من يتآمر
عليكم هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشعلون نار الحرب
لتكونوا أتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم . .
أما نحن فنعلن بأعلى صوتنا أن الاتفاقيات السرية التي أبرمت بين

روسيا القيصرية وبين فرنسا وبريطانيا الاستعماريتين والتي بموجبها اقتسموا أراضيكم - أيها المسلمون - واستلبوا ثرواتكم ونهبوا خيراتكم .. نعلن أنها باطلة .. ونعلن أن خطط القيصر المخلوع وحكومة كيرنسكي التي أزاحها الشعب للاستيلاء على القسطنطينية (عاصمة الخلافة الإسلامية) باطلة ولاغية ...

إن حكومة جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون أنهم ضد احتلال أراضي الغير بالقوة .. ونعلن أن القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين .. كما نعلن أن الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينهما لاغية وباطلة .. ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية ..

ونضمن استقلال إيران الكامل وإننا نعلن أيضاً أننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينية منها وأن هذه الاتفاقيات السرية باطلة ولاغية . ليس من روسيا - أيها المسلمون - سيأتي استبعادكم بل من الدول الأوروبية الاستعمارية .. من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم .. وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لا يأتيكم منها إلا الدمار وفي مقابل ذلك كله يقتسمون ما بقي من أرضكم وثوراتكم وكأنكم وبلادكم غنائم الحرب المنتظرة ..

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة الذين سرقوا ثروات بلادكم واستعبدوا أوطانكم .. نعم ثوروا الآن في هذا الوقت الذي تشتعل فيه الثورة وينهدم فيه بنيان الطغيان والاستبداد ويتقوض فيه نظام الاستعمار ..

ثوروا فإن أي شرارة الآن ستكون حريقاً يلتهم بنيان الطغيان والاستبداد والاستعمار . إن الهنود المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى .. ويرفضون

أن يبقوا حول أعناقهم الأغلال التي غلّتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان . .

اليوم لا يمكن السكوت على هذا الظلم وعلى هذا الاستعباد . .
إنه وقت الثورة ضد المستعمرين الإنجليز الغاصبين لأوطانكم المحاربين
لدينكم المستبحين لمقدّساتكم الناهيين لثرواتكم . .

الآن يا أيها الرفاق والأخوة هو الوقت المناسب للثورة ولصنع
مستقبلكم الحرّ الباسم بأيديكم . .

تقدّموا أيها المسلمون لتحرير أوطانكم وارفعوا أعلام ثورتكم فإنّ
أعلامنا وبنودنا قد رفعت من أجل حرية المستعبدين والمظلومين . .

يا مسلمي روسيا ويا مسلمي الشرق هلمّوا إلينا . .
إلى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من جديد على أسس
الحق والخير والعدل . .

التوقيع

جوزيف ستالين فلادمير لينين

« القوميسار » للشؤون الخارجية

مفوض الشعب

رئيس مجلس الشعب

ومعروف موقف لينين وستالين بعد ذلك من مسلمي روسيا . .
كيف أقاموا لهم المجازر وأبادوا مئات الآلاف عن بكرة أبيهم وشردوا تار
القرم وأبادوا سكان خوفند بكاملهم عندما قاومت جيوشهم . . وكيف
دبروا المجاعات حتى أكل المسلمون الكلاب والحيوانات ثم أكلوا بعد
ذلك موتاهم . . وقد ذكرنا بعض هذه المجازر البشعة المرعبة في
مقالاتنا عن التركستان وعن مأساة القرم . . كما ذكرنا من قبل مجزرة

مارس ١٩١٨ في أذربيجان حيث أبادوا ١٨,٠٠٠ مسلم ..
لقد استعرضنا هذه البيانات التي تخطب ود المسلمين سواء كانت
من بريطانيا أو من روسيا وتدافع عن حريتهم ودينهم واستقلالهم .. بل
وتوقع معهم العهود والمواثيق على ذلك ولما يجف مدادها يتآمرون في
الخفاء علينا ويقتسمون أرضنا فيما بينهم ..
ولا يزال هؤلاء الأعداء سواء كانوا في الشرق أو في الغرب يتآمرون
علينا ويقتسمون بلادنا وثرواتنا فيما بينهم .. ويسخرون منا وهم
يصدرون لنا البيان تلو البيان لتطمينا ..
إنهم جميعاً ضدنا .. اليهود والشيوعيون والصليبيون
والمشركون .. فهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة .. يرضونكم
بأفواههم وأكثرهم فاسقون ..

هذا ما يطلبه المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية(*)

رغم حملات الإبادة والإذابة التي عانى منها المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي وخاصة منهم التركستانيون . . إلا أن كل التقارير الصحفية الخارجية تؤكد وجود صحوة إسلامية بين المسلمين في الاتحاد السوفيتي وفي الصين الشيوعية . . وفي كثير من المناطق الواقعة تحت براثن الاستعمار الشيوعي . .

ورغم أن أي تجمّع ديني يعتبر خروجا على النظام الشيوعي السائد إلا أن هناك تجمعات خفية يقوم بها المسلمون في الاتحاد السوفيتي ويتدارسون فيها القرآن الكريم والدين الإسلامي . . ووصل تغلغلهم إلى داخل صفوف المنتسبين إلى الحزب الشيوعي السوفيتي ذاته . . وتتهم وكالات الإعلام الغربية رجال الطرق الصوفية بأنهم المحرك الرئيسي لهذه الصحوة الإسلامية . . وتذكر على وجه الخصوص الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية . .

ولا يغيب عن بال القارئ أن العديد من الثورات الإسلامية التي قامت في مختلف نواحي الاتحاد السوفيتي إنما قام بها شيوخ الطرق

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

الصوفية . . ولعلّ القارئ الكريم يذكر ثورة الشيخ شامل شيخ الطريقة النقشبندية التي قامت في الداغستان في القوقاس واستمرت من عام ١٨٣٢ حتى عام ١٨٥٩ والتي كبد فيها القوات القيصرية خسائر فادحة . . وقد سبقه إلى ميدان الجهاد مفتي داغستان وشيخها الشيخ شامل القاضي ملا الذي تسمّى باسم الغازي محمد والذي استشهد في ميدان القتال .

وتتبع الطرق الصوفية الآن وسائل مختلفة لإذكاء روح المقاومة للشيوعية ونشر الوعي الإسلامي . . وتفرض على أتباعها الذكر القلبي وهو قول لا إله إلا الله سرّاً في القلب مئات المرات يومياً أثناء العمل . . وتطلب من العمال المحافظة على الصلوات في أوقاتها ما أمكن . . فإن تعذّر عليهم إقامة الصلوات أثناء العمل فتطلب منهم جمع صلاة الظهر والعصر عند عودتهم من مصانعهم .

ويقوم التركستانيون بجهود مباركة في نشر القرآن الكريم بعد أن قاموا بترجمة معانيه وطباعته في المملكة . . بجهودهم الخاصة . .

ويحاول هؤلاء الإخوة الكرام إرسال هذه النسخ إلى أقاربهم ومعارفهم الموجودين في تركستان الشرقية والغربية بواسطة البريد . . وقد قاموا فعلاً بطبع عشرة آلاف نسخة من القرآن الكريم مع ترجمة معانيه باللغة التركستانية وحاولوا إرسالها بالبريد .

وللاسف فإن تكاليف الإرسال بالبريد باهظة جداً إذ تبلغ تكاليف إرسال النسخة الواحدة ٤٥ ريالاً . . أي إن تكاليف العشرة آلاف نسخة هي ٤٥٠,٠٠٠ ريال .

ونحن نضم صوتنا إلى صوت هؤلاء الإخوة الكرام ونلتمس من المسؤولين في المملكة وعلى رأسهم جلالة الملك خالد وسمولي

العهد الأمير فهد أن يتكرموا بإصدار أمرهم السامي بإعفاء نسخ القرآن
الكريم المرسلة إلى التركستان من رسوم البريد .
وهذا هو أقل ما يمكن أن نفعله لإخوتنا في الله الذين يتحرقون
شوقاً لاستلام نسخة من كتاب الله الكريم .

القرم إحدى مآسي المسلمين في الاتحاد السوفيتي (*)

تقع شبه جزيرة القرم شمال البحر الأسود بين أزوف والبحر الأسود . . وتقترب من الجهة الشرقية من البرّ مكونة شبه جزيرة كرش التي تكوّن باقترابها من البرّ مضيق كرش الذي يصل بحر أزوف بالبحر الأسود . وتشكّل الجبال القسم الجنوبي من شبه جزيرة القرم بينما تقوم السهول الواسعة المنبسطة في الشمال . . والتي تضيق في نهاية الشمال بحيث لا تتصل بالبرّ الأوروبي إلا ببرزخ ضيق . تبلغ مساحة القرم ٢٦, ١٥٠ كم مربعاً وعاصمتها القديمة المدينة الجميلة باغجه سري ، أما العاصمة الحالية فهي أكمشك . ومن مدنها الشهيرة يالطا التي عقد فيها مؤتمر يالطا في نهاية الحرب العالمية الثانية بين الرئيس الأمريكي روزفلت ورجل روسيا القوي الطاغية ستالين حيث اقتسم العملاقان مناطق النفوذ في العالم وأهمها البلاد الإسلامية . . ومن مدنها الهامة سياستبول .

وصل الإسلام إلى جزيرة القرم بعد أن دخل أولاد جنكيز خان وأحفاده في الإسلام وذلك في أواخر العهد العباسي . . وقد أسس أباتو ابن جوجي بن جنكيز خان القبيلة الذهبية التي كانت تحكم وسط آسيا

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

وروسيا . . واعتنق بركة خان الإسلام منذ صغره وحفظ القرآن الكريم على يد أحد علماء مدينة خوقند . . ولما تولى أمر هذه القبيلة سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٦ م) جعل كل جنوده من المسلمين واجتهد في نشر الإسلام في كل أفراد قبيلته . .

وكان التنافس شديداً بين النصارى والمسلمين لاكتساب المغول القوة العالمية الجديدة ، إلى صفهم . وفي أول الأمر بدا أن بابا روما سيكسب الجولة إذ تزوج هولاكو من نصرانية بل إن جنكيز خان نفسه تزوج نصرانية . . وكذلك فعل أوجتاي بن جنكيز خان ثم ابنه كيوك ابن أوجتاي والذي تولى أمر المغول وهو الذي حرض هولاكو على غزو بغداد . . وكذلك فعل ابن هولاكو آباقا الذي دخل النصرانية . . أما تكودار ابن هولاكو الثاني فقد تحول من النصرانية إلى الإسلام ولذا قتله ابن أخيه أرغون بن آباقا الذي كان شديد العداء للإسلام .

وفي عهد بركة خان (٦٥٤ - ٦٦٥ هـ) (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) انتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في القبيلة الذهبية . . وتعاون هذا السلطان المغولي المسلم ضد ابن عمه هولاكو ووقف مع الظاهر بيبرس في حربه مع طاغية المغول هولاكو . وكانت حاضرة الأسرة الذهبية مدينة السرا على ضفاف نهر الفولجا وكان من هذه الأسرة السلطان أوزبك الذي آل إليه أمرها عام (٧١٣ - ٧٤١ هـ) (١٣١٣ - ١٣٤٠ م) وفي عهده كانت كثير من مناطق روسيا قد تحولت إلى الإسلام ومنها حوض نهر الفولجا وشبه جزيرة القرم .

وقد زار الرحالة الإسلامي المشهور ابن بطوطة السلطان محمد أوزبك وقال عنه : « وهذا السلطان عظيم المملكة شديد القوة كبير الشأن رفيع المكانة قاهر لأعداء الله أهل قسطنطينية العظمى مجتهد في جهادهم . . وبلادهم متسعة ومدنه عظيمة منها الكفا والقرم والماجر وأزاق

وسرادق وخوارزم وحاضرته السرا» .

«وهو أحد الملوك السبعة الذين هم كبراء الدنيا وعظماؤها وهم :
مولانا أمير المؤمنين ظل الله في أرضه إمام الطائفة المنصورة الذين لا
يزالون ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة أيد الله أمره وأعز نصره
وسلطان مصر والشام وسلطان العراق والسلطان أوزبك هذا وسلطان بلاد
تركستان وما وراء النهر وسلطان الهند وسلطان الصين» .

ووصف ابن بطوطة المدن الكبيرة التي في حوزة هذا السلطان
ومنها مدن شبه جزيرة القرم وهي كفا والقرم وسرادق التي سنتقل ما قاله
عنها وستترك المناطق الأخرى التي ذكرها إلى محله ، قال يصف مدينة
الكفا التي تقع في أضيق نقطة بين البحر الأسود وبحر أزوف . وهي
عظيمة مستطيلة على ضفة البحر يسكنها النصارى وأكثرهم الجنوبيون
ولهم أمير يعرف بالدمدير ونزلنا منها بمسجد المسلمين ، وطقنا المدينة
ورأيناها حسنة .

ويصف مدينة القرم التي تقع غرب مدينة كفا (وهي مدينة كبيرة
حسنة من بلاد السلطان المعظم محمد أوزبك خان وعليها أمير من قبله
اسمه تلكتمور) .

ووصف مدينة سرادق التي تقع جنوب مدينة القرم . . كما وصف
المدن الواقعة على بحر أزوف وهي مدينة الماجر التي تقع على نهر
الدون على البحر الأسود شرق أزوف كما وصف مدينة السرا على نهر
الفولجا . . واستراخان ومدينة البلغار . . وذكر مساجدها وسعتها
ومدارسها . .

وتوالى استقرار التار المسلمين في شبه جزيرة القرم منذ ذلك
الوقت المبكر الذي زارها فيه ابن بطوطة (أوائل القرن الثامن الهجري
حيث ابتداء ابن بطوطة رحلته عام ٧١٥ هـ) في عهد السلطان محمد

أوزبك (٧١٣ هـ إلى ٧٤١ هـ) أي (١٣١٣ م إلى ١٣٤٠ م) .
ولم يكتمل القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) إلا
وكانت جزيرة القرم إسلامية خالصة وأصبح للقرم سلطان خاص بها من
التار . .

وعندما ضعف أمر التار في روسيا وحوض نهر الفولجا استولى
إيفان الرهيب على عاصمتهم قازان القريبة من موسكو عام ١٥٥٢ م
(٩٦٠ هـ) وفي نفس العام استولى إيفان على أرض الشوفاش وبلاد
ماري وموردوف . . واستولى على مدينة أوبا عاصمة بلاد البشكير سنة
١٥٥٥ م (٩٦٣ هـ) واستراخان (الحاج طرخان) ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م)
وببلاد الأدمورت عام ٩٦٨ هـ (١٥٦٠ م) . وعندما ضعف أمر المسلمين
في روسيا ذاتها قام سلطان القرم الذي كان قوي الشوكة بالنسبة لبقية
سلاطين التار الذين مزقتهم الخلافات وجعلتهم لقمة سائغة لإيفان
الرهيب بحيث استطاع أن يحتل ٤٤٥,٠٠٠ كم مربع من أراضيهم في
غضون عشر سنوات . قام سلطان القرم هذا بالهجوم على روسيا ذاتها
كرد فعل على أعمال إيفان الرهيب الذي أباد المسلمين في المناطق
الشاسعة التي كانوا يحتلونها حول نهر الفولجا والذي شرد الملايين
منهم . . واستطاع تار القرم عام ٩٧٩ هـ (١٥٧١ م) أن يحتلوا منطقة
الدونتز . . وأن تصل جيوشهم الى موسكو ذاتها . . ولكن الخلافات مزقت
سلاطين التار فعاد الروس من جديد وانتزعوا الأراضي التي حررها تار
القرم من روسيا وذلك عام ١٠٩١ هـ (١٦٧٠ م) ليس ذلك فحسب بل
اقرب الروس من القرم ذاتها عندما احتلوا منطقة أزوف عام ١١٠٧ هـ
(١٦٨٦ م) .

وعندئذ استنجد تار القرم بالسلطان العثماني فنزلت القوات
العثمانية لحماية القرم واستلموا مضيق كرش الهام من تار القرم للدفاع

عنه . . وقامت القوات العثمانية باسترداد أزوف سنة ١١٢٣هـ (١٧١١ م) وبنوا مدينة باغجه سراي الجميلة ذات المساجد العظيمة وجعلوها عاصمة القرم .

إلا أن الروس عادوا إلى جزيرة القرم مرة أخرى بجحافل قوية سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣ م) واحتلوا أزوف بل واحتلوا القرم ذاتها وأقام الروس مذبحه لتتار القرم وشردوا في ذلك العام نصف مليون تتاري قرمي .

وظلّ التتار خاضعين للحكم القيصري الذي كان يشتد في التعصب ضدهم حيناً ويريخي قبضته حيناً آخر . . ولكن الجهود المبذولة لتنصير التتار لم تتوقف قط طوال تلك العهود . . وكانت الحرب الدينية بين روسيا ممثلة الأرثوذكسية بعد سقوط القسطنطينية بأيدي العثمانيين المسلمين مستمرة بين روسيا والمسلمين ولذا كان الاضطهاد بل والقتل والتشريد والتنصير بالقوة هو السمة المميزة للعهود القيصرية ما عدا فترات قليلة كان يسمح فيها بشيء يسير من الحرية الدينية كما حدث في عهد الإمبراطورة كاترين . . إلا أنه حتى في تلك الفترات كان ينظر لتتار القرم على أنهم خونة مستعدون للتعاون مع أعداء روسيا وهي الخلافة العثمانية . . وكما يقول كتاب المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي فإنّ وعود كاترين بالمساواة مع الروس كانت كالهباء المنثور . فمنذ السنوات الأولى للاحتلال صودرت أفضل الأراضي . . ويقدر عدد التتار الذين تركوا وطنهم في شبه جزيرة القرم فيما بين عامي ١٧٨٣ و ١٨٩٣ والفارين إلى تركيا بلغ أكثر من مليون مهاجر تتري .

ولذا عندما نشطت الحركة الإصلاحية في روسيا والمطالبة بالحرية الدينية والحرية المدنية وتكون الدوما (البرلمان الروسي سنة ١٩٠٥م - ١٣٢٢ هـ) نشط المسلمون نشاطاً قوياً في كل مناطق

روسيا وعلى الأخص في القرم ممّا جعل الحكام الروس يتخوفون من هذه الحرية ويصدرون أوامرههم إلى وزير الداخلية بالحد من نشاط المسلمين وتكسيم أفواههم . . ومنع فتح مساجد جديدة وتشديد الرقابة على زعمائهم .

ولهذا عندما قامت الثورة البلشفية بقيادة لينين في أكتوبر عام ١٩١٧ وجدت مساندة من جميع مسلمي روسيا وذلك لأنّ لينين كرّر وعوده في خطبة ومنشوراته بأنّ المسلمين سيحفظون بالحرية الدينية الكاملة بل وبالاستقلال الذاتي في شؤون دولتهم . . بل وأيد لينين عندئذٍ قيام دولة القرم الإسلامية التي أعلنت عام ١٩١٧ . . والتي أجريت فيها انتخابات عامة لأول مرة لاختيار حكومة وطنية . .

ولم يحاول لينين في ذلك الوقت إخضاعها مباشرة . . وإنما ابتدأ بمحاربة قوات روسيا البيضاء وطلب مساعدة المسلمين وخاصة مسلمي القوقاز فلما تمّ له القضاء على قوات دينكين وكولشاك الذي كانت تسانده قوات الحلفاء أصدر لينين في إبريل (نيسان) ١٩١٨ أمراً بالزحف على البلاد الإسلامية التي كانت واقعة تحت سيطرة القياصرة من قبل . . فبدأ بشمال القوقاز وجمهورية أوديل أورال وخانية خوقند . . وتمّ إخضاع هذه المناطق قبل انتهاء عام ١٩١٨ . وفي عام ١٩١٩ استولى لينين على جمهورية الآشي . . وفي إبريل ١٩٢٠ استولى على أذربيجان . وفي نفس العام توجهت جحافل قواته إلى القرم فواجه مقاومة شديدة واعتصم أهلها بالجبال وبدأت حرب عصابات مروعة، وعندئذٍ فرضت القوات البلشفية الروسية الحصار الشديد على أهل القرم حتى انتشرت المجاعة وقد نشرت جريدة أزفستيا في عددها الصادر ١٥ تموز ١٩٢٢ تقريراً للرفيق كالينين الذي تولى أمر القرم جاء فيه ما يلي :

(بلغ عدد الذين أصابتهم المجاعة في يناير ١٩٢٢ م ٣٠٢,٠٠٠

مات منهم جوعاً ١٤,٤١٣ وفي مارس أصيب ٣٧٩,٠٠٠ بالمجاعة
مات منهم بالمسغبة ١٩٩٠٢ شخص وفي إبريل بلغ عدد الذين أصابتهم
المجاعة ٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤ وفي يونيه بلغ عدد الذين
أصابتهم المجاعة ٣٩٢,٠٧٢).

ومن هذا التقرير يتضح أنّ من أصيبوا بالمجاعة الشديدة أكثر من
مليون تناري قروي في خلال الأشهر الستة الأولى من عام ١٩٢٢ مات
منهم بسبب الجوع أكثر من ستين ألفاً بينما يقول تقرير رفعة الفارون
من الاتحاد السوفيتي إلى عصبة الأمم أنّ الذين لقوا حتفهم في هذه
المجاعة كانوا أكثر من مائة ألف مسلم.

وجاء في تقرير كالينين الذي نشرته أزمستيا في ١٥ تموز ١٩٢٢
(أن أكل لحم الأطفال بل والموتى لم يكن من الحوادث المستغربة أثناء
تلك المجاعة) وكان سكان القرم عندما دخلت القوات الروسية البلشفية
خمسة ملايين نسمة من التتار المسلمين أيد أكثرهم حتى لم يبق عام
١٩٤٠ إلا أربعمائة ألف فقط . . وكان المفروض أن يزدادوا خلال
عشرين عاماً لا أن يقلوا ولكن نتيجة الحكم الإرهابي الدموي الأحمر
والبطش الشيوعي الذي هان بجانبه بطش القياصرة فإن سكان القرم كانوا
يموتون جوعاً وقتلاً وسحلاً ويفرّ من يستطيع منهم الفرار حتى أصبح
عددهم خلال عشرين عاماً من هذا الحكم الرهيب أربعمائة ألف
فقط . .

وكان في القرم عند دخول قوات لينين ١٥٥٨ مسجداً حطمت
جميعاً وحولت إلى نواد واصطبلات ومناحف ما عدا بضعة مساجد أقيمت
للعبادة . . حتى الجوامع الأثرية مثل جامع خان وجامع أصماقيو وجامع
طوزيازار هدمت وحطمت .

ورغم أنّ القرم بعد المجاعة أظهرت استسلامها للحكم البلشفي

الرهيب وأظهرت الخضوع . . ووافق لينين على أن يجعل لها حكومة لها
تصريف الشؤون المحلية وجعل رئيس هذه الجمهورية الشيوعي
الهنغاري (بالاكون) . . وعرفت هذه الجمهورية باسم جمهورية القرم
الاشتراكية السوفييتية . .

واستمرَّ بالاكون في سياسة تهجير أهل القرم من التتار وإحلال
روس وسلاف وأوكرانيين وبلغار محلهم، ورغم انخراط بعض سكان
أهل القرم في الحزب الشيوعي وتظاهرهم بالشيوعية حتى وصل بعضهم
إلى رئاسة جمهورية القرم بعد بالاكون مثل ولي إبراهيم إلا أن لينين قام
بقتل رئيس الجمهورية هذا وجميع وزرائه عام ١٩٢٨ . وفي عام ١٩٣٠
أعدموا رئيس الجمهورية محمد توباي مع وزرائه . وفي عام ١٩٣٧
تكررت نفس القصة والمشهد الأليم حيث قام قياصرة روسيا البلاشفة
بإعدام رئيس الجمهورية الياس طرخان مع جميع أعضاء حكومته . .

ونتيجة لما قاساه تار القرم من أهوال على يد البلاشفة الروس كان
موقفهم في مقاومة الألمان ضعيفاً ولذا استسلم الفيلق القومي البالغ عدده
ثمانية عشر ألفاً للألمان بعد مقاومة بسيطة على أمل أن ذلك ربما جعل
الألمان يعطفون عليهم . . ويعاملونهم معاملة طيبة . . ولكن ما أن علم
الألمان أن هذا الفيلق هو من المسلمين حتى منعوا عنهم الطعام
وحبسوهم في زنزانات قذرة صغيرة وجعلوا في كل زنزانة مئات الأسرى
دون طعام أو شراب فبدأوا يتساقطون واحداً إثر الآخر من المجاعة بعد أن
كانوا يحاولون أكل الجدران الخالية وكشط ما بها من بوية بأسنانهم .
ولما لاحظ مسؤولو هذه السجون أن عدد الموتى بدأ يقل بعد فترة بدلاً من
أن يزيد اكتشفوا أن هؤلاء الأسرى بدأوا يأكلون جثث رفاقهم . . حيث
أمرت الضابطة الألمانية التي كانت مسؤولة عنهم بمجازاتهم على أكل

لحوم الموتى من إخوانهم ورفاقهم بقتلهم جميعاً بالرصاصة ..
وبذلك تمّ لألمانيا قتل ثمانية عشر ألف تتاري قومي .. والغريب
حقاً أنّ ستالين استشاط غضبه لاستسلام هذا الفيلق ورغم استسلام
مناطق كثيرة من روسيا للألمان إلا أنه بعد نهاية الحرب صبّ جام غضبه
على تتار القرم المسلمين .. فأمر بقتل نصف مليون تتاري ثم أصدر أمره
بهدم ديارهم وإخراج جميع من بقي من السكان المسلمين من بلادهم
وتهجيرهم إلى سيبيريا .. وذلك سنة ١٩٤٤ ..

وفي هذه المحنة الأخيرة سقطت مئات الآلاف أثناء رحلة الموت
والعذاب .. وبقي الباقون يتيهون في مجاهل سيبيريا ..
وإلى هذه اللحظة فإنّ القوانين الروسية تمنع أي فرد من سكان تتار
القرم بالعودة إلى موطنه وإذا اكتشفت مثل ذلك الشخص فإنه يعاقب
بالسجن والضرب وإعادة تهجيريه ..

ولأول مرة في التاريخ يهجر شعب بكامله من موطنه بحيث لا يبقى
شخص واحد منه ليحل محله أمة مستعمرة قاسية جبارة عاتية ..

ورغم أنّ مجلس السوفييت الأعلى برأ التتار القرميين من تهمة
التعاون مع النازي وذلك في القرار الصادر بتاريخ ١٩٦٧/٩/٥ إلا أنّ
هؤلاء التتار لا يزالون يعانون من التشريد والاضطهاد .. ولا يزالون
يمنعون من العودة إلى وطنهم .. وقد أصدرت السلطات الروسية قانوناً
برقم ٧٠٠ في أغسطس ١٩٦٨ يعاقب كل من يأوي أو يؤجر أو يبيع
مسكناً لأبي تتاري قومي في وطنه القرم . وإذا اكتشف أنّ شخصاً تتارياً
قرمياً عاد إلى وطنه يهدم منزله ويرحل فوراً إلى مجاهل سيبيريا .. وحتى
في منقاهم فإنّ هؤلاء التتار القرميين يمنعون من دراسة لغتهم وتفرض
عليهم دراسة اللغة الروسية ..

وفي عهد جورباشوف قام القرميون المنفيون بمظاهرات سلمية يطالبون فيها بالعودة إلى وطنهم . . ولكن هذه المطالب أُهملت وأسدلت عليها أجهزة الاعلام الغربية ستار التعتيم . . ولا نعلم ما هو مصير أولئك الذين قاموا بالمظاهرات فقد سكنت عنهم أجهزة الإعلام الغربية في غمرة تمجيدها لجورباشوف اليهودي والمتزوج من اليهودية رئيسة .

الإعلام الغربي موقفه معروف .. القضية لا تعنيه .. والدعاة إلى الإنسان لم تتحرك لديهم شعرة لأخبار هذه المذابح والمآسي ولم مائرهم الميتة ، فالأمر لا يستحق الانزعاج ..

كلنا يذكر قصة الكلبة لايكا .. ولأولئك الذين يصابون بالنسيان ة الأخبار التافهة والمزعجة نعيد قصتها .. الكلبة لايكا كانت أول أرضي يطلق إلى الفضاء الخارجي .. قام الروس بإطلاقها في كبة سبوتنيك ..

حينئذ استفاقت ضمائر العالم الغربي بأكمله .. خرجت مئات ات يقودها رجال الكونجرس وأعضاء البرلمان .. وأصحاب النياقة من القساوسة والكرادلة ..

نميعهم كانوا يحتجون على تعريض الكلبة لايكا لأخطار الخروج ذبية الأرضية ..

ضماماً مع الكلبة لايكا خرج هارولد ويلسون رئيس الوزراء ني الأسبق ومجموعة كبيرة من رؤساء الوزارات وشيوخ اس وأعضاء البرلمانات .. وأنصار حقوق الكلاب .. ، عاشقي الذئب خرجوا جميعاً في صفوف طويلة ليعبروا عن م لإرسال الكلبة لايكا إلى الفضاء الخارجي !!

ه الضمائر لم تثر ولم تعترض على أي مجزرة من المجازر ني يلقاها المسلمون كل بضع سنوات وأحياناً كل بضعة

يس روزفلت أحد أشهر رؤساء الولايات المتحدة ورافع راية لسان أرسل لستالين ثمانية عشر ألف قومي مسلم (من شبه لرم المطلقة على البحر الأسود والواقعة تحت برائن الذب .. من أجل أن يذبهم .. وذلك بعد انتهاء الحرب

مذبحة أسام والكلبة لا يكا (*)

ح
ته

م
م
أود

المقال الأول:

الم
الغـ

من

البر
الك
وجم
احتـ

الرهـ
أشهر

حقوق
جزير
الروـ

تتوالى مذابح المسلمين وخاصة في العصر الحديث على هذه النعاج أي نوع من المقاومة . . مذابح دير بورتو، بورتو وتايلاند وفطاني وليس آخراً في أسام في الهند البقر المسلحون بآلاف النساء والأطفال من البنغال آخر الأنباء تقول إن عدد القتلى قد - وخمسمائة) شخص ما بين شيخ فان وطفل رضيع و عدد الذين اضطروا للفرار من شبح الموت بلغ ٥ والرجال والصبيان . . وإنهم جميعاً يعانون من سوء في العراء وإن كثيراً منهم قد لقي حتفه أثناء فراره ! الإعلام في البلاد العربية والإسلامية لم يـ لكأنما تـبلد حسه من كثرة الفواجع والنكبات . . بأخبار الكرة وأخبار الفن . . سيقى كذلك حتى صحفي مسلم . .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

العالمية .. وكان هؤلاء القرميون المسلمون قد فروا من وجه ستالين أثناء الحرب العالمية الثانية واتجهوا صوب ألمانيا فلمَّا دخلت قوات الحلفاء ألمانيا قام الرئيس روزفلت بشحنهم كما تشحن الخراف في قطارات البضائع هدية إلى الجزائر ستالين .. واستلم ستالين الهدية .. وقضى على ثمانية عشر ألف قومي مسلم ..

القصة مستمرة يا سادة .. دماء المسلمين لم تجف بعد .. دماء أهل التركستان والقوقاز والأينغوش لا تزال متجمدة تحت ثلوج سيبيريا .. دماء الشهداء وضحايا الغازات السامة لا تزال عالقة بصخور جبال الهندكوش في أفغانستان المجاهدة ..

دماء وأشلاء الشهداء في صبرا وشاتيلا لا تزال تصرخ مطالبة بالثأر ..

وأخيراً ..

أخيراً أشلاء ودماء آلاف المسلمين في أسام في الهند تصرخ فينا إلى متى هذا الوهن إلى متى حب الحياة ، وبأي ثمن ؟
﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ﴾ .. ولو كانت حياة الديدان أو حياة النعاج .

* * *

المقال الثاني :

نشرت وكالات الأنباء أنَّ المذابح التي يقوم بها الهندوك ورجال القبائل المسيحيون في إقليم أسام في الهند لا تزال مستمرة وآخر هذه المذابح يوم الأحد ٢٨ جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ١٣ مارس .. ١٩٨٣

وتقول وكالات الأنباء إنَّ عدد الضحايا من المسلمين البنغال قد

جاوز أربعة آلاف شخص معظمهم من النساء والأطفال . . وإن عدد القرويين الذين أحرقت قراهم منذ بداية الاضطرابات في يناير إلى اليوم قد بلغ قرابة نصف مليون يعيشون حياة تعسة تواجه الموت في كل لحظة إن لم يكن بحراب الهندوك وبنادق رجال القبائل المسيحيين من الهنود . . فبالجوع والبرد والميت في العراء . . وانتشار الأوبئة والأمراض خاصة مرض الكوليرا الذي قضى حتى الآن على أكثر من ١٢٩ حالة في خلال الأسبوعين الماضيين فقط . .

وقد قيل إن هؤلاء المسلمين هم من المهاجرين من بنجلاديش إلى إقليم أسام المجاور . . ولكن الإيكونومست قد أكدت في مقال لها قبل أسبوعين أنهم من سكان الهند منذ آلاف السنين . . وأن عدد البنغاليين المهاجرين محدود جداً وأن أكثرية السكان المسلمين في مقاطعة أسام والبالغ عددهم خمسة ملايين هم من الهنود المقيمين في تلك المنطقة منذ آلاف السنين . . وأن ذنبهم الوحيد هو أنهم اعتنقوا الإسلام ويبدو أن المذابح ليست عملاً غوغائياً فجائياً ولكنه عمل منظم ومدبر وتشرف عليه عقول مفكرة . فقد جاء على لسان بعض الصحفيين الهندوك البارزين كما نقلته عنهم مجلة المجتمع (العدد ٦١١) أن الهدف الأساسي من إقامة المذابح ضد المسلمين هو تأديبهم وتعليمهم ليعرفوا المشي خاضعي الأعناق مطاطئي الرؤوس ما داموا في أرض الهند . . كما نشرت مجلة المجتمع تصريحات لبعض الزعماء الهنداكية يقولون فيها إن المسلمين جاؤوا إلى أرض الهند غزاة مستعمرين وإن عليهم أن يرحلوا عنها . . أو يندمجوا في سكان الهند ويعتنقوا الهندوكية . . وإن من يريد أن يعيش مسلماً فليذهب إلى باكستان أو بنجلاديش أو إلى أي مكان آخر يريد . .

وتذكرنا هذه المذابح بمذابح الإرهابي المجرم بيجن في دير

ياسين التي كتب عنها . . «لولا مذابح دير ياسين والرعب الذي أثارته لما نزع الفلسطينيون من فلسطين . . .» وقد كرّر بيجن وشارون مذابح دير ياسين بصورة أفظع وأقذر في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا . . والمقصود منها إثارة الرعب لدى هؤلاء اللاجئين ليتركوا لبنان إلى أيّ مكان آخر . .

الصورة إذن واحدة . . وهي عملية الإبادة والقتل الجماعي المدبّر لإرهاب مسلمي الهند ومحاولة طردهم منها . . كما تقوم إسرائيل بعمليات الإبادة للفلسطينيين لطردهم من جنوب لبنان . . بعد أن تمّ طردهم من فلسطين . . .

وستكرّر القصة في الضفة الغربية لأنّ إسرائيل لا تخفي عزمها على تحويل الضفة الغربية إلى وطن يهودي تدعوه يهودا والسامرة وبعض زعماء الهندوك المتعصبين يعلنون نفس السياسة بالنسبة للمسلمين الهنود .

أمّا أن تتركوا الإسلام وتعتنقوا الهندوكية وأمّا أن ترحلوا عن بلادنا .

ويا لها من مأساة يعيشها المسلمون في كل مكان . . يواجه المسلمون حرب إبادة في الهند التي أقام المسلمون فيها دولاً عظيمة منذ أن ابتداء فتحها في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان ثم على يد الشاب العبقرى محمد بن القاسم في عهد عبد الملك بن مروان . . ثم الفتوحات العظيمة التي قام بها محمود بن سبكتكين الغزنوي الذي لقبه الخليفة العباسي بيمين الدولة وأمين الملة ، ثم بعد ذلك على يد أبناء وأحفاد تيمورلنك ابتداءً من بابر مؤسس الدولة الإسلامية المغولية إلى أبنائه وأحفاده من أمثال الملك التقي الصالح أورنك زيب الذي كان يشبهه عهده بعهد عمر بن عبد العزيز . .

وبقيت الهند تحت الدولة المغولية حتى احتلتها بريطانيا شيئاً فشيئاً
بالخداع حيناً وسياسة فرق تسد حيناً آخر حتى قضت على الدولة
المغولية التي تفككت أوصالها وبقيت كإمارات مفرقة هنا وهناك .

وحارب المسلمون بريطانيا في الهند للحصول على استقلال الهند
وقدموا آلاف الضحايا يقودهم المجاهدون الأبطال من أمثال الشهيد سيد
عرفان ثم المشتركون في حزب المؤتمر . . وما لبثوا أن رأوا كيف أتت
سياسة بريطانيا ثمارها بتقوية الهندوك وإضعاف المسلمين . . حتى أقام
الهندوك للمسلمين المجازر والمذابح . . فاضطراً أغلب المسلمين إلى
الفرار إلى شمال الهند حيث كونوا دولة باكستان . .

وها هي المآسي تتكرر حتى تضطر البقية الباقية من مسلمي الهند
للنزوح من ديارهم وأوطانهم التي عاشوا فيها منذ آلاف السنين . . إن
ذنبهم في نظر الهنادكة هو أنهم بدلوا دينهم الهندوكي بالإسلام . .

فإنما العودة إلى عبادة الأبقار أو الطرد من الأوطان أو انتظار المزيد
من المذابح على مرأى ومسمع من زعماء العالم الذين اجتمعوا في
نيودلهي تحت قيادة أنديرا غاندي ليتحدثوا عن عدم الانحياز وهم يرون
بأعينهم كيف تنحاز الدولة ضد طائفة من مواطنيها فتسمح أو تغض
الطرف عن المجازر التي تدبر لهم . .

وإننا لنستغرب موقف رؤساء الدول الإسلامية الذين ذهبوا إلى
نيودلهي دون أن يقدموا للهند احتجاجاً واحداً على ذبح إخوتهم في الدين
والعقيدة . .

ألا يحرك في قلوبهم الأسى منظر هؤلاء النساء والأطفال مبتورات
البطن محروقات الأجساد ؟

«قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر»(*)

نشرت جريدة المدينة في عددها الصادر ٢١/٧/١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١/٥/٢٥م بياناً شديداً للهجة لرابطة العالم الإسلامي تستنكر فيه وقاحة الذين أقاموا ملهى ليلياً ونادياً للقمار في بريطانيا في مدينة جلاسجو واسمونه « مكة » . . ولا شك أن هذا الأمر مثير للاستفزاز واستهزاء بمقدسات المسلمين ولكنني أحب أن أوضح للمسؤولين في رابطة العالم الإسلامي وللقارئ الكريم الحقائق التالية :

أولاً : إن تسمية نوادي القمار والملاهي باسم مكة أمر قد تعارف عليه أهل الغرب منذ زمن طويل . . وليست هذه أول مرة يسمى فيها ملهى ونادٍ للقمار باسم مكة . . فعاصمة إنجلترا لندن مليئة بهذه النوادي والملاهي الليلية المسماة مكة وهي موجودة منذ عشرات السنين .

ثانياً : إن هذه النوادي والملاهي المسماة مكة . . موجودة بكثرة في بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة ويبلغ عددها المئات وربما الآلاف وكلها تحمل اسم « مكة » ولما سألت لماذا اختير اسم مكة قيل إن مكة مهوى الأفئدة ، وإن هذه الأماكن كذلك . .

ثالثاً : لا تقتصر السخرية بالإسلام والهزاء بمقدساته في الغرب

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) ومجلة المجتمع (الكويت).

على إطلاق اسم مكة على نوادي القمار والملاهي بل إن الهجوم على الإسلام والمسلمين سياسة عامة نجدها في كل أجهزة الإعلام وعلى لسان الحكام والساسة ووسيلة للدعاية ولترويح البضائع . . .

فقد قامت شركة مارك أند سبنسر اليهودية في بريطانيا بصنع ألبسة داخلية وضعت فيها اسم الجلالة « الله » ومحمد في موضع الفرج والشرح . . . واقتصر الاحتجاج على بعض الهيئات مثل جمعية الإصلاح بالكويت واتحادات الطلاب المسلمين والشباب الإسلامي في أوروبا . . .

وإن من يطالع الصحف والمجلات الغربية أو يشاهد برامج التلفزيون في البلاد الغربية أو يقرأ ما يكتبه ساستهم وقادتهم عن الإسلام سيجد آلاف الأدلة الواضحة على السياسة العدائية للإسلام والمسلمين وعلى معتقداتهم ومقدساتهم . . . وعلى الهزء بصورة خاصة بالمملكة العربية السعودية لأنها تمثل في نظر هؤلاء الأعداء حجر الزاوية نظراً لأن بها أقدس مقدسات المسلمين مكة المكرمة والمدينة المنورة . . . ولأنها ترفع علم لا إله إلا الله محمد رسول الله . . . ولأنها تملك الثروة البترولية الهائلة التي يتوق هؤلاء الأعداء لاحتلالها . . .

وقد نشرت « المدينة » في عددها الصادر ١٠ رجب ١٤٠١ هـ نص المحاضرة القيمة التي ألقاها السفير الأمريكي السابق لدى المملكة في جامعة البترول بالظهران المستر ايكنز جاء فيها أن حملة إعلامية شرسة توجه إلى العرب وخاصة المملكة العربية السعودية فيقول السفير ما نصّه : « وتتحمل المملكة العربية السعودية وقادتها نصيب الأسد من هذا الهجوم . . . بالطبع ليس هناك سبب للهجوم على المملكة بل بالعكس نفذت كل ما طلبته منها الولايات المتحدة . . . » .

ثم ينتقل السفير الأمريكي أمثلة لما تقوله أجهزة الإعلام في

الولايات المتحدة ومن ذلك ما نشرته مجلة العرض الوطني التي جاء فيها :

« . . إن أكثر البلاد وقاحة هي المملكة العربية السعودية لأنها تحتفظ بعدة ملايين من براميل النفط بعيداً عن أسواق النفط في العالم . . » ثم تقول المجلة المذكورة كما ينقله عنها السفير إيكنز . . « إن الطريقة الوحيدة التي نستطيع أن نتعامل بها مع السعودية أن ندرك أولاً أن السعودية هي عدو للغرب وأن ندرك أيضاً أنه لا يوجد شيء اسمه سلاح النفط ، وأن السعودية لا تقدم إلينا أية خدمة . . وختاماً نقول إن المملكة العربية السعودية ينبغي أن تنفذ رغماً عن أنفها . . وكما تعلمون ليس في مقدور السعودية حماية نفسها » ثم يتحدث السفير السابق عن الشخصية التي تتزعم في الوقت الحاضر الهجوم على العرب وشن الحملات ضدهم فيقول : « أما الشخصية المناوئة للعرب في الوقت الراهن فهو البر وفسور كلي الذي عمل لسنوات عديدة مستشاراً للشيخ زايد . . ظل هذا الرجل يثير الكراهية ضد العرب وفي كتابه « الجزيرة العربية . . الخليج والغرب » يناقش كلي أن الغرب قد بالغ في تقدير دول شبه الجزيرة العربية . . ومفهومه الأساسي الذي عرضه في التلفزيون هو أننا بحاجة إلى نفط العرب والحل بسيط . . هو أن نحتل منابع النفط . . » وقد جرت العادة على تقديم كلي على أنه شخص يعرف التعامل الحقيقي مع العرب إلا أن كلي ليس الوحيد الذي تحدث عن غزو العرب . . مجموعة كبيرة من مستشاري رونالد ريجان للشرق الأوسط إبان الحملة الانتخابية باستثناء روبرت نيومان كانوا جميعاً يتحدثون عن غزو العرب . . وكثير من هؤلاء الآن في وضع المسؤولية في وزارة الدفاع والخارجية ومجلس الأمن القومي . . ويذكر السفير إيكنز في محاضرته القيمة أنه رغم تضحية المملكة وزيادة إنتاج البترول

إلى أكثر من عشرة ملايين برميل وخفضها لأسعار البترول للمحافظة على مصالح الغرب الاقتصادية إلا أن الصحافة بل والمسؤولين الأمريكيين لا يقدرون هذه التضحية بل ويزعمون أن المملكة تقوم بابتزاز الغرب . ومصدّقاً لقول السفير السابق نجد في عدد النيوزويك الأخير الصادر في ٢٥ مايو ١٩٨١ « الموافق ٢١ رجب ١٤٠١ » يتحدث عن اجتماع أوبيك القادم ويسخر من الذين يقولون بأن المملكة قد ضحت من أجل الغرب بل ترى المجلة أن المملكة هي في رأس قائمة الذين يبتزون الغرب . .

ويقول السفير الأمريكي السابق إن الدول الغربية المستهلكة للنفط تكسب ما بين عشرة إلى عشرين ضعف ما تكسبه الدول المصدرة للنفط . . من الضرائب التي تفرضها على النفط .
ويقول السفير إيكنز في مقابلة أجرتها معه المدينة ونشرت في ٢٠ رجب ١٤٠١ هـ وهو يوضح موقف كيسنجر من العرب الذين كانوا يستقبلونه بالأحضان :

إن لكيسنجر وجهة نظر محددة تجاه العرب . . وقد قال في جلسات خاصة بأنهم مثل الكلب كلما ضربتهم لحسوا أيديك . .
وليس كيسنجر هو الوحيد من الساسة الغربيين الذين وصفوا العرب بأنهم كلاب فقد سبقه السير ونستون تشرشل عندما اعترض أحد الوزراء على سياسة الدعم لخلق إسرائيل بأن ذلك سيثير العرب ومصالح بريطانيا معهم فقَالَ تشرشل : إن العربي مثل الكلب إذا رفسته لعق حذاءك . .

وأخيراً نشر السير هارولد ولسون زعيم حزب العمال ورئيس وزراء بريطانيا الأسبق كتاباً باسم «مركبة إسرائيل» وعلّقت عليه مجلة المجلة وعرب نيوز في عددها الصادر ١٩٨١/٥/٢٥ . . والكتاب كله

تحيّز كامل لإسرائيل ضد العرب . . وهزء وسخرية بالعرب وفيه يعلن بكل وقاحة أنه صهيوني معتز بصهيونيته . . وقد علّق على الكتاب كريستوفر ماهيو في عرب نيوز . . في ٢٥ مايو ١٩٨١ . . وذكر أن سبب تعلق الساسة الغربيين بإسرائيل يرجع إلى أسباب عديدة منها الوعود الموجودة في العهد القديم بإعطاء أرض فلسطين لليهود وإيمان المسيحيين بذلك . .

ومنها الارتباط الوثيق بين الساسة المشهورين واليهود . . ومنها سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام وعلى البنوك ورؤوس الأموال . . ومنها مقدرة اليهود على إسقاط وإزاحة أي سياسي غربي لا ينفذ سياستهم حول إسرائيل . .

وقد ذكر هذه الحقائق أيضاً السفير الأمريكي السابق إيكنز في لقائه مع « صحيفة المدينة » وذكره غيرهم من السياسيين والكتاب . .

وخلاصة القول إن الحملات المفرضة في أجهزة الإعلام الغربية . . لم تتوقف قط عن مهاجمة الإسلام والمسلمين ومقدساتهم . . وتحمل المملكة السعودية القسط الوافر من هذا الهجوم . .

ونحن نقرأ قول الله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . . ﴾ ونرى كيف يقوم هؤلاء الصليبيون واليهود بإبادة المسلمين في القلبين وفي الحبشة وفي لبنان . . وفي كل مكان . . ويتعاونون حتى مع الشيوعيين لإبادة المسلمين في أفغانستان . .

ونحن نمد أيدينا إليهم بالصدقة والمودة والله سبحانه وتعالى يقول . .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة .. ﴾ .

ويقول : ﴿ إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴾ ويقول تعالى : ﴿ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر .. ﴾ .

وأخيراً نقول : أما أن لهذا الليل أن ينجلي وما أن لهذا القيد أن ينكسر ..

الدول الغربية والاحتكارات العالمية تُصدِّر السموم إلى العالم الثالث (*)

● وفيات كثيرة في العالم الثالث بسبب المنتجات السامة التي تصدر من الغرب .

قبل خمسة أيام فقط من نهاية حكم كارتر تيقظ ضميره فجأة وأصدر أمره القاضي بعدم تصدير المواد السامة والأغذية الملوثة والمواد المتسببة في السرطان إلى دول العالم الثالث . .

وقد كانت الولايات المتحدة والدول الغربية ولا تزال إلى اليوم تصدر المنتجات السامة والممنوع تداولها في الولايات المتحدة والدول الغربية ، إلى دول العالم الثالث . . كما كانت هذه الدول تقوم بتصدير المواد الكيماوية والأدوية التي لم يسمح بتداولها في أوروبا وأمريكا إلى دول العالم الثالث حيث تستخدم كحقل تجارب . . كما أن المبيدات الحشرية السامة والممنوع استخدامها في أوروبا وأمريكا تصدر بكميات هائلة إلى دول العالم الثالث مما تسبب عنها وفيات كثيرة وحالات عديدة من التسمم .

وفي أبريل ١٩٧٧ تنبّهت السلطات الأمريكية إلى نوع من بيجامات الأطفال نزلت إلى الأسواق الأمريكية وثبت أن بها مواد مسيئة

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) وفي مجلة المجتمع (الكويت).

للسرطان تتسرب من الجلد . . . وفوراً منع تداول هذه البيجامات . .
وبعد هذا المنع قامت الشركة التي انتجت هذه البيجامات بتصديرها إلى
دول آسيا وأفريقيا وفي خلال تسعة أشهر بعد المنع استطاعت أن تصدر
٢,٤ مليون بيجامة إلى أطفال العالم .

وقد تنهت بعض دول العالم إلى هذه الكارثة ووصل الأمر إلى
الأمم المتحدة . وفي عام ١٩٧٧ وعام ١٩٧٨ قام المجلس الإداري
للأمم المتحدة لحماية البيئة بمطالبة الدول الصناعية المصدرة بأن لا
تسمح بتصدير أي سلع محظورة من أوطانها ما لم يتم إعلام الدولة
المستوردة بمخاطر هذه المواد مسبقاً . . وفي عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠
أجازت الأمم المتحدة قرارات مماثلة تطلب من أمريكا ودول أوروبا عدم
تصدير أي مواد سامة للعالم الثالث دون علمه .

ورغم أن حكومة كارتر لم يتيقظ ضميرها إلا قبل خمسة أيام من
انتهاء حكمه إلا أن أول شيء فعله الرئيس ريجان بعد وصوله إلى كرسي
الرياسة هو إلغاء قرار كارتر القاضي بأن لا تصدر مواد سامة إلى العالم
الثالث دون علمه .

وصدر قرار ريجان بعد بضعة أيام من وصوله إلى الحكم . .

ولا تزال القوانين الأمريكية والأوروبية حتى هذه اللحظة تبيح
تصدير جميع المواد السامة والأغذية الملوثة والمواد المسببة للسرطان
والمبيدات الحشرية الممنوعة في أوروبا وأمريكا إلى أي دولة من دول
العالم الثالث ودون أن تخطر تلك الدولة بالمواد السامة المرسله لها . .

ورغم وجود لجان حقوق الإنسان في الكونجرس الأمريكي وكثرة
الحديث عنها في أجهزة الإعلام الغربية إلا أنه يبدو أن تعريف الإنسان
يختلف من بلد إلى آخر . . فالإنسان الأوروبي أو الأمريكي هو فقط

الجدير بهذه الحقوق . . أما الإنسان المسلم أو الإنسان الموجود في آسيا أو أفريقيا فليس إنساناً ولا يمكن أن تكون له حقوق الكلاب التي تتمتع بها في المجتمعات الأوروبية والأمريكية . .

ولو أعطي كلب في أوروبا أو أمريكا مواد سامة لقامت المظاهرات والاحتجاجات على هذه الهمجية بينما يغط الضمير الأمريكي - الأوروبي في النوم العميق عندما تقوم الشركات الغربية الاحتكارية الضخمة ببيع المواد السامة للعالم الثالث . .

وكلنا يذكر المظاهرات الضخمة التي كان يتقدمها أعضاء الكونجرس وأعضاء البرلمانات الأوروبية ورجال الكنيسة التي قامت من أجل الكلبة لا يكا التي أرسلها الروس إلى الفضاء في أول رحلة فضائية وقبل إرسال أي إنسان . لقد سألت دموع رجال الكهنوت المسيحي ولجان المدافعة عن حقوق الكلاب والخنازير احتجاجاً على إرسال الكلبة لا يكا إلى الفضاء . . ولكن دموع التماسيح هذه لا تسيل على إرسال السموم إلى العالم الثالث دون علمه .

إن جميع البضائع والمنتجات التي تصدر للعالم الثالث لا تخضع للمقاييس والشروط الموجودة في أوروبا وأمريكا . . فلأوروبا وأمريكا شروط شديدة في السلامة بينما المواد المصدرة إلى العالم الثالث تخلو من هذه الشروط . .

وقد نشرت مجلة النيوزويك في عددها الصادر ١٧ أغسطس ١٩٨١ بحثاً طويلاً عن أخطار المبيدات الحشرية المرسلة إلى العالم الثالث والتي تستخدم خاصة في الزراعة وذكرت قائمة طويلة من المواد السامة التي ترسل إلى العالم الثالث دون أي تحذير من الشركات المنتجة والمصدرة . . وسننقل ها هنا بعضاً مما جاء فيها :

المبيد الحشري	الأخطار الصحية التي يسببها
١ - ألدرين	السرطان ، قتل الأجنة في بطون أمهاتها، أنواع من الشلل
٢ - ب . هـ . س	السرطان
٣ - كلوردان	السرطان
٤ - د . ب . س . ب	السرطان ، عقم الرجال
٥ - د . د . ت	السرطان ، أنواع من الشلل
٦ - باراثيون	قتل الأجنة ، أنواع من الشلل
٧ - توكاسفين	السرطان
٨ - باراكوات	تحطيم الرئتين والجهاز التنفسي ، قتل الأجنة
٩ - كيون	السرطان ، عيوب خلقية في الأجنة

إن هذه القائمة المختصرة تكفي للدلالة على ما ترسله الدول الصناعية من مواد سامة وخطيرة إلى دول العالم الثالث دون أن تعلم هذه الدول خطورة هذه السموم التي تستوردها . .

وفي كل مجال ترسل المواد السامة الخطرة والمواد الغذائية الملوثة وغير الصالحة والأدوية الممنوعة أو التي لا تزال خاضعة للتجارب ولم يصرح بعد باستخدامها ترسل هذه المواد إلى دول العالم الثالث . . وبأثمان باهظة ، تدفعها هذه الدول الفقيرة من قوتها .

أما الآلات والأدوات الكهربائية والأدوات المنزلية والسيارات والجرارات وغيرها من المواد ومواد البناء التي تصدر إلى العالم الثالث ، فإنها جميعاً لا تخضع لنفس المقاييس المفروضة في أوروبا وأمريكا . . حتى السجائر فإن السجائر المصدرة إلى دول العالم الثالث تحوي ثلاثة أضعاف ما تحويه مثيلاتها المصروح بها في أوروبا وأمريكا من النيكوتين والقطران .

إنها صورة بشعة لحضارة الإنسان الغربي الذي كثيراً ما يتحدث
عن حقوق الإنسان . . ولا نقصد هنا بالإنسان الغربي ، الشخص
العادي وإنما نقصد أصحاب الاحتكارات والصناعات الهائلة ورجال
الدولة وأصحاب البنوك والنفوذ الذين يسيطر عليهم اليهود .

صغيرة ولكنها أهم

كتب الأستاذ سمير شما مقالاً في جريدة المدينة الغراء في ٢٧ شعبان ١٤٠١هـ تحت عنوان « صغيرة ولكن هامة » ..

وطلب في مقاله مساعدة مالية بمبلغ خمسة ملايين جنيه استرليني لمستشفى اصدقاء القديس جون للعيون بالقدس .. وحث حكومة المملكة العربية السعودية والأغنياء على التبرع لهذا المشروع الخيري الحيوي .. والذي يخدم سكان مدينة القدس ..

ونحن لا نشك في مدى إخلاص ووطنية وإنسانية الأستاذ الكبير سمير شما، ولكن ما أثار انتباهنا هو اسم المستشفى وهو مستشفى القديس جون. وبما أنني قد شاهدت بل وعملت لفترة قصيرة في لندن في أحد المستشفيات التابعة للكنيسة وعرفت معرفة عن اطلاع أن الخدمات الطبية ليست إلا وسيلة للخدمات التبشيرية ..

وبما أن العالم الإسلامي يعاني معاناة مرّة من انتشار هذه المستشفيات التبشيرية في كافة أراضيه وخاصة في البلاد الفقيرة .. فإن مساعدة المستشفيات التي يقوم عليها أصحاب الصليب ليس فيما يبدو من الحكمة في شيء ..

ولعل الأستاذ الكريم قد اطلع على بيان رابطة العالم الإسلامي الذي نشر في نفس العدد من جريدة المدينة الذي نشر فيه مقاله ..

ويهب بيان الرابطة بجميع المسلمين للتنبه لأخطار موجة التبشير
« التكفير » العاتية التي ظهرت هذه الأيام ..

ولقد اطلعت بنفسى على نشاط بعض المستشفيات التبشيرية في
اليمن الشمالية والجنوبية .. ورأيت كيف يقدمون الدواء ومعهم
الإنجيل .. وكيف يستغلون حاجة المسلمين للعلاج فيقدمون لهم
العلاج مشروطاً بحضور قداس أو الاستماع إلى موعظة .. من أحد
المبشرين .. أو حفلة موسيقية مختلطة !! وقد رأيت بنفسى مدرسة
للتمريض .. ولم يكن يسمح للممرض أن ينتقل إلى الصف الثاني
ويتحول من فصل إلى آخر إلا بعد تعميده .. وقد عرفت الكثير من
الممرضين الذين قبلوا التعميد .. وتحول معظمهم إلى الشيوعية بعد
رحيل الانجليز وأعرف اثنين منهم بقيا على دين النصرانية!! كما أعرف
طبيين تحولوا إلى النصرانية (كانت دراستهما كلها في مدارس
تبشيرية) ..

وقد اطلعنا على نشاط المستشفيات التبشيرية في أندونيسيا وقد
استطاعت هذه المستشفيات مع الوسائل الأخرى إخراج أعداد من أهل
أندونيسيا من الإسلام إلى النصرانية ..

وفي أفريقيا يبلغ النشاط التبشيري أوجه ، وخاصة أيام المجاعات
والكوارث فيتقدم عندئذ الصليب الأحمر والهيئات التبشيرية لإنقاذ
المسلمين من الأمراض والكوارث وفي نفس الوقت يزعمون أنهم
ينقذونهم من الإسلام ويحولونهم إلى المسيحية ..

وفي أوغندا اليوم جهود تبشيرية هائلة لإخراج المسلمين من دينهم
وتحويلهم إلى النصرانية .. وذلك بعد أن قامت جيوش القس الحاقذ
على الإسلام نيريري (صاحب المذابح الرهبة للمسلمين في شرق
أفريقيا) بتصفية حكم عيدي أمين والقضاء على القبائل المسلمة

بالتعاون مع الولايات المتحدة وإسرائيل وبموافقة الاتحاد السوفيتي . .
إن المستشفيات والمبرآت الخيرية الإسلامية في أشد الحاجة إلى
الأموال لدعمها حتى تستطيع أن تقدم خدماتها الطبية للمسلمين دون أن
يتعرضوا للابتزاز والضغط ومحاولة إخراجهم من دين الله إلى دين
الصليب . .

ومن هذه المبرآت والمستشفيات المبرة الخيرية الإسلامية في
سورابايا باندونيسيا التي قامت ببناء مدارس ومستشفيات خيرية في
أندونيسيا (ص . ب ١٣٧ سورابايا أندونيسيا) ومنها المستشفى
الإسلامي المركزي التابع للجمعية الطبية الإسلامية بالقاهرة والتي
تواجه اليوم نشاطاً صليبياً تشهيرياً حاقداً . . وللجمعية الطبية الإسلامية
سته مجمعات صحية في أحياء القاهرة الفقيرة « السيدة زينب - منيل
الروضة - المطرية - الشرايية - الخ » ولها في الاسكندرية ووطنطا
وأسيوط والزقازيق عدة فروع . وقد أفتى كبار العلماء في مصر ومنهم
الشيخ : د . يوسف القرضاوي بأن التبرع لهذه الجمعية الطبية
الإسلامية هو من مصارف الزكاة أخذاً بقول جماعة من الفقهاء الذين
جعلوا ﴿ في سبيل الله ﴾ واسعة المدلول لتشمل كل أعمال الخير
للمسلمين وأن ذلك نوع من الجهاد . . وأنه من حق المساكين والفقراء
لأنها تقدم لهم العلاج مجاناً . . وتنقذهم أيضاً من الوقوع في براثن
وشراك المستشفيات والمجمعات الكنسية التابعة لأصحاب القداسة
والنيافة من البطارقة والكرادلة والبابوات !!

ولهذا فإن المسلمين مدعوون لدعم الهيئات الإسلامية
والمستشفيات والمدارس التي يقوم بها ويشرف عليها مسلمون لا تلك
التي يقوم بها ويمولها ويوجهها صليبيون حاقدون على الإسلام وأهله
والله الهادي إلى سواء السبيل . .

مقالات اسلامية اجتماعية

- وليس الذكر كالأنثى .
- الزواج المبكر ليس كارثة .
- التبتل والرهبنة أو إطلاق العنان للغريزة الجنسية .
- أمريكا التي رأيت (١)
- أمريكا التي رأيت (٢) زيارة مبنى الأمم المتحدة .
- أمريكا التي رأيت (٣) الرحلة الى فورت وورث وحضور مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي .
- القوانين الوضعية تبيح الزنا .
- لا تسمّوا أبناءكم بأسماء الطواغيت .
- معارك المولد ومعارك الكرة .
- الحضارة الغربية ولوغها في الوحل .

وليس الذكر كالأنثى (*)

إن ادعاء مماثلة المرأة للرجل دعوة سخيقة مبنية على الجهل المطبق حتى بأبسط مبادئ العلوم حديثها وقديمها . . لأن نظام الزوجية يقتضي التغاير وينفي التماثل . . ويؤدي إلى التكامل بدلاً من التنافر . . فالبروتون في الذرة ليس كالأليكترون . . وإنما هو شحنة موجبة تقابلها شحنات سالبة تختلف عنها في الصفات ولا بد من وجودهما معاً بنفس القدر من الشحنة المتضادة وإلا لاختل كيان الذرة وانفرد عقدها . . والشحنات المتماثلة متنافرة ، بينما نجد الشحنات المختلفة سالبة وموجبة تتألف لتكون أساس الموجودات جميعها . .

وفي النباتات : الزهرة المؤنثة غير المذكورة . . يختلف التركيب والصفات والوظيفة ولكن وجودهما معاً هو أساس الحياة للنبات وبدونهما تفقد وظائف الحياة . . ويؤدي ذلك إلى العدم . .

وفي الحيوان ابتداء من الديدان وارتفاعاً حتى الإنسان نجد الذكورة والأنوثة تختلف في الخصائص والوظائف . . وفي السمات والصفات . . وبدون هذا الاختلاف والتباين بين الذكورة والأنوثة لا يمكن أن تقوم الحياة . .

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع (الكويت).

والزوجية نظام يقتضي التكامل ولا يقتضي التماثل . . بل التماثل يلغي نظام الزوجية من أساسه . . إذ لا حاجة للزوجين إذا كانا متمثلين فلا بد من اختلافهما وحاجة كل منهما للآخر حتى يكتملا بالالتقاء .

وكيف يلتقيان؟؟ هكذا أهملأ وعبثأ أم أن هناك نظامأ خاصأ يلتقي فيه الذكر بالأنثى؟ الواقع أن كثيراً من الحشرات والحيوانات بل والنباتات ، فكيف بالإنسان ، لا تلتقي عبثأ ولا هملأ . . فالزهرة التي تحمل أعضاء الذكورة والأنوثة (الزهرة الخثى) لا تلقح نفسها ولا يلتقي طلوعها (ذكرها) بمتاعها (أنثاها) . . إنمأ تختلف الأوقات التي ننضج فيها أعضاء الذكورة عن الأنوثة فلا يكون اللقاء إلا بين زهرتين مختلفتين تجمع بينهما الرياح أو الحشرات أو الطيور . .

وكذلك الدودة الشريطية التي تجمع في كل حلقة من حلقاتها التي تبلغ الألف أو تزيد أعضاء الذكورة والأنوثة . . لا تلقح نفسها وإنما يقوم جهاز الذكورة في حلقة ما بتقليح جهاز الأنوثة في حلقة أخرى تبعد عنها . .

وقس على ذلك طحلب الاسبيروجيرا التي تحمل في طياتها جهازي الذكورة والأنوثة فإنها لا تلقح نفسها وإنما يلحق الأنثى طحلب آخر من طحالب الاسبيروجيرا .

وهكذا لا يشد الإنسان من هذه القاعدة فلا يلتقي الأخ بأخته ولا الولد بأمه ولا الأب بابنته . . لأن هناك دائرة خاصة مقفلة حتى على طحلب الاسبيروجيرا . . وحتى على الدودة الشريطية . . فكيف يهبط الإنسان فيكون أقل من طحلب الاسبيروجيرا أو أقل من الدودة الشريطية . . وقد قرأنا في الصحف والمجلات أن السويد على وشك أن تصدر قانوناً يبيح العلاقة الجنسية بين الأخ وأخته . . فانظر إلى أي

مستوى يستطيع الإنسان أن يوغل فيه هبوطاً وإسفافاً . . وصدق الله العظيم: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين﴾ . . وليس هناك من سفلية وهبوط مثل هذا !!!

والمرأة في الغرب مباحة لمن يشاء ولمن تشاء . . مضادة بذلك فطرتها التي فطرها الله عليها . . بل إننا نجد كثيراً من الحيوانات والطيور تحتفظ بعلاقة زوجية متينة فلا تكون الأنثى إلا للذكر واحد فقط تعيش له طوال حياتها . .

ونظرة في جسم الإنسان ذاته ترينا كيف أن البويضة تُعدُّ في المبيض وتخرج بويضة واحدة كل شهر كالمملكة يحيط بها التاج المشع (CORONA RADIATA) وهذا هو اسمها العلمي وليس تشبيهاً بليغاً . . تخرج من المبيض فتلتقفها أهداب البوق وتسير في قناة فالوب بتؤدة وأناة ، وأشعتها تدعو واحداً من ملايين الحيوانات المنوية (نعم الملايين فكل قذفة مني من الرجل تحتوي على أربعمئة مليون حيوان منوي) تدعوه لتلتقي به فإذا ما التقت به وتم اللقاح أوصدت بابها وأحاطت نفسها بجدار سميك لا يخترقه أي حيوان منوي مهما بلغ من قوته وعزيمته وشكيمته وسرعته . . ذلك أنها تعلم إنها لحيوان منوي واحد فقط . . عندئذ تخلع ذلك التاج المشع الذي يغري الملايين بملاحقتها ومطاردتها . . وتبدأ عملها المنتج فتقسم انقسامات متتالية . . فتصير الخلية الأمشاج (وهي المكونة من بويضة المرأة والحيوان المنوي من الرجل) بالانقسام المتتالي ملايين الخلايا . . تكون أولاً علقة تعلق بجدار الرحم وتكون محاطة بالدم المتخثر . فهي علقة عالقة بجدار الرحم وهي محاطة بالدم كما وصفها المفسرون القدماء وتصير العلقة مضغمة تتشكل وتصور خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث حتى يخرجها الله طفلاً مكتمل الأعضاء والبناء .

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في
قررا مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة
عظاماً فكسونا العظام لحماً، ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن
الخالقين﴾ .

وهكذا تكون المرأة وهي بويضة مصونة لا تبدل ولا تخون
زوجها بل تصد الراغبين صداً عنيفاً . . حتى إنها تتركهم يموتون كمدأ
وحسرة على جدارها وهي لا تجود لهم بوصل ولا تقر لهم بعاطفة ولا
تفتح لهم باباً . . وليس هذا تشبيهاً أدبياً وإنما هو الواقع الذي صورته
المجلات العلمية . . وهي ترينا ملايين الحيوانات المنوية ميتة على
جدار البويضة بعد أن تلقحت البويضة وأوصدت بابها . . وضاعفت
من سمك جدارها . .

أفلا تكون المرأة بعد أن خلقها الله من بويضة ملقحة لا ترى
بالعين حتى اكتمل نموها فصارت أنثى كاملة قد وهبها الله الجسم
البيدع والعقل الراجح والأمومة الحنونة . . أفلا تكون مثل البويضة في
عفتها فلا تبتذل للرجال وإنما هي لزوجها فقط لا تتبغى غيره ولا تروم
سواه .

تلك هي فطرة الله التي فطر الناس عليها . . تظهر في
البويضة . . وحكمة ربانية تتجلى في عالم الذرة : الالكترن يخالف
البروتون في شحنته ويكون تكميلاً له . . فلا تقوم الذرة إلا بهما
معاً . . وكذلك البويضة التي تتهادى كالملكة وعليها التاج المشع في
مشيتها وهي تلتقي بمن اختاره الله لها من ملايين الحيوانات المنوية
التي يشبه الواحد منها صاروخاً . . في شكله وسرعته . . كذلك
البويضة السالبة تلتقي بالحيوان المنوي الموجب فتتكون من الشحنتين
السالبة والموجبة النطفة الأمشاج التي تتخلق فتصبح إنساناً كاملاً . .

والبويضة في مراحلها تلك عفيفة مصونة . . فكيف لا تكون
المرأة مصونة عفيفة وقد بلغت ما بلغت من تكامل البناء الجسدي
الرائع والبناء النفسي المتكامل حتى أصبحت جديرة بلقب الأم . .
وهي التي وضعت الجنة تحت أقدامها . . أفليس من العار ومناقضة
الفطرة أن تتبدل بعد هذه العفة وتمتهن بعد هذه الكرامة وتكون لكل
لامس بعد أن صدت ملايين الطالبين والراغبين يوم أن كانت بويضة ؟
بلى إنه لكذلك . .

وواقع الأمر يقول لا بد أن تكون المرأة لرجل واحد فقط . .
وحكمة الله تتجلى فترينا البويضة وهي لا تقبل أن تكون لأكثر من
حيوان منوي واحد تختاره لها يد الحكمة الإلهية فترضى به وتقنع . .
ولا تبحث عن غيره ولا تنتظر سواه . . ولا تلتفت إلى إغراء ولا تتبته
إلى إثارة ولا يجذبها بهرج القول ولا معسول الكلام بل ولا تلتفت إلى
العشاق والراغبين ولوماتوا على بابها وجدارها كمداً وحسرة .
فالزواج إذن هو العلاقة الوحيدة المعقولة بين الرجال والنساء ولا
علاقة غير ذلك إلا من باب قلب الأشياء ومضادتها لفطرتها ومخالفتها
لسنة خالقها .

والزنى أي أن تكون المرأة لمن جاء أو لخليل أو عشيق هو علاقة
شاذة تصادم الفطرة بل وتصادم التكوين البيولوجي والنفسي والوظيفي
للمرأة . .

فجسم المرأة وكيانها النفسي والجسدي قد بني لإقامة العش
والمحضن الذي تنمو فيه تلك الزغب الصغيرة حتى يتقوى ريشها
وتقوى أجنحتها فتقدر على الطيران .

وقد تفرد الإنسان من بين الحيوانات كلها بفترة حضائنه طويلة
وطفولة تمتد إلى عشر سنوات فأكثر . . وكلما تعقدت المجتمعات

كلما ازدادت الحاجة إلى رعاية للأطفال أطول وأعقد . . بينما نرى الحيوانات جميعها لا تحتاج لمثل هذه الفترة الطويلة من الحضانة والرعاية . . ذلك لأن قدرات الإنسان الهائلة إنما تكمن في قدرته على التعلم بينما قدرات الحيوانات محكومة بالغرائز فقط . . و فرق شاسع بين عمل الغريزة وعمل العقل الواعي المتبصر . . فهذا لا يحتاج إلى تنمية وتربية وصقل وذلك يحتاج إلى فترة طويلة من التعلم والتعليم والصقل والتدريب .

وأول محضن للطفل هو الأم والأسرة . . وآخر تقرير للصحة العالمية يقول : بأن أقل فترة يحتاجها الطفل هي ثلاث سنوات متتالية من رعاية الأم . . وأن دور الحضانة لا يمكن أن تقوم بهذه المهمة . . ويرجع التقرير انتشار الجريمة بين الشباب في الغرب إلى حرمانهم من حنان الأم في تلك الفترة الهامة من حياتهم . . كما يدعو تقرير الصحة العالمية الأمهات إلى إرضاع أولادهن لأن لبن الأم هو أصلح غذاء للطفل الرضيع . . ولا يقوم مقامه تلك الألبان المجففة من الأبقار والجواميس . . وفوائد الرضاعة الطبيعية من الأم لا تعد ولا تحصى . . وليس أقل هذه الفوائد شأنًا النمو العاطفي السليم للطفل الذي يلتقم ثدي أمه . . بينما نجد ذلك الذي رضع من القارورة معرضاً لكثير من الاضطرابات النفسية كما هو معرض لكثير من النزلات المعوية . .

ولذا فقد أوصت منظمة الصحة العالمية جميع دول العالم وحكوماتها بتفريغ الأمهات لمدة ثلاث سنوات متتاليات لكل طفل جديد . . وعلى الدولة أن تتحمل نفقة الأم في تلك الفترة إذا لم يكن لها عائل . . أو إذا كان دخل الأسرة لا يفي بحاجتها ويضطر الأم للخروج إلى العمل . .

ومعظم الأمهات يلدن طفلاً على الأقل كل ثلاثة أو أربع سنوات

فكيف تستطيع الأم أن تعمل بعد ذلك وهي بين حمل وولادة ورضاعة و رعاية للأطفال وأبيهم . . وكيف تستطيع أن تعول هذه الأسرة وهي مشغولة بالحمل والولادة والرضاعة ؟ . ألا يكون ذلك إجحافاً في حقها وظلماً بيناً لها ؟

لقد היאها الله لوظيفة هامة . . أهم من أي وظيفة أخرى ولو كانت وزيرة . . إنها وظيفة الأمومة . . ووظيفة الزوجة وربة البيت . . وجعل الله بينها وبين زوجها مودة ورحمة وجعلها له سكناً . . ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فسبحان من جعلها سكناً . . وجعلها مودة وجعلها رحمة . . يسكن إليها الرجل بعد معركته خارج المنزل وبعد جهاده للحصول على لقمة العيش . . فيأتي ليجد البسمة الحنون والرعاية الدافقة والمودة الخالصة تزيل عنه ألمه وتعبه . . فكيف يكون بالله ذلك المنزل الذي يؤوب إليه صاحبه فإذا هو مهمل لأن ربة البيت مشغولة بوظيفة أخرى عند رجل آخر تعمل له سكرتيرة أو تعمل في مصنع أو تعرض نفسها في متجر . . فتعود بشيء من النقود التي تنفق معظمها على أدوات الزينة والبهرج حتى تستطيع الخروج في هيئة جذابة . . ثم تعود منهكة متعبة لا تستطيع حراكاً . . فما ذنب الزوج ، وما ذنب الأطفال؟ بل قل لي ما ذنب الزوجة المسكينة التي تعاني من ازدواج أي ازدواج في شخصيتها وهي ترى نفسها مقصرة في حق زوجها وأطفالها؟ . أفلا يكون بعد هذا كله من حق الزوجة أن تتفرغ لمنزلها وزوجها وقلذات أكبادها . . ويتفرغ هو للكدح خارجه ؟ . أفلا تعطى إذن حق التفرغ وهو ما تطالب به هيئة الصحة العالمية اليوم بعد أن أعطاهم الإسلام هذا الحق منذ ألف وأربعمائة عام . . وجعل نفقتها واجبة على زوجها . . بل إن الإسلام وصل إلى أبعد مما تحلم به أو ستحلم به

هيئة الصحة العالمية أو غيرها من الهيئات . . فقد فرغ الإسلام المرأة في جميع مراحل حياتها حتى تعد إعداداً كاملاً للأمومة . . فهي ابنة ونفقتها على والدها فإن كان والدها متوفياً فأخيها أو عمها أو قريب تتوجب نفقتها عليه . . فإن لم يستطع فالدولة المسلمة هي المسؤولة عن كل مسلم . . فإذا تزوجت انتقل ذلك الواجب إلى الزوج فإذا كان لها أبناء يستطيعون الإنفاق انتقل ذلك الواجب إليهم . .

وهي حرة مصونة لا تلقي بالأى إلى كيفية نفقتها إلا في ظروف محدودة ومع هذا فقد أباح لها الإسلام حرية البيع والشراء وحرية العمل في حدودها الشرعية المرعية . . ودون أن تمس كرامتها أو وظيفتها كربة بيت وزوجة وأم .

فأخبرني بالله كيف يرقى نظام بشري إلى مثل هذا النظام الرباني ؟ فالخالق أعلم لا شك بما يصلح مخلوقه وما ينفعه : فهو الذي خلق البويضة وجعل لها تلك الصفات الخاصة بها . . وجعل فيها السكينة والتؤدة . . وهو الذي خلق الحيوان المنوي وجعل شكله على هيئة صاروخ أو قذيفة وجعل له ذبلاً طويلاً . . وجعله سريع الحركة قوي الشكيمة شديد البأس . . وهو اختلاف في التركيب والهيئة واختلاف في الوظيفة والغاية منذ اللحظة الأولى فهذه للبيت وهذا لمعترك الحياة . .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وليس الذكر كالأنثى ﴾ . . والاختلاف بينهما كما قلنا هو أساس الحياة . . فلا بد من اختلاف البروتون عن الاليكترون ليقوم بناء الذرة . . ولا بد من اختلاف الرجل عن المرأة في الهيئة والبناء والوظيفة ليقوم كيان الأسرة . . هذا هو الحق وما عداه هو الباطل . . والله الهادي إلى سواء السبيل . .

الزواج المبكر ليس كارثة(*)

يزعم كثير من الكتاب أن الزواج المبكر كارثة صحية ونفسية واجتماعية . . . وفي ظننا أن هذا الزعم تنقصه الدقة العلمية .
وبما أن الزواج المبكر أمر قد حث عليه الإسلام وشجع عليه وقد فعله الرسول صلوات الله عليه وفعله الصحابة من بعده واستمر سلف هذه الأمة عليه إلى عهود قريبة بل قل إلى يومنا الحاضر حيث يواجه سيلاً من المزاعم التي تنشر ضد هذا الزواج في كافة وسائل الإعلام من تلفاز وإذاعة وصحافة . .

بما أن هذا الزواج أمر قد شجع عليه الإسلام فإننا سندرسه من وجهة نظر علمية ببحثة إذ أن كثيراً ممن يتحاملون على الزواج المبكر لا يهمهم ما يقول الإسلام ولا ما فعله الرسول صلوات الله عليه ولا ما فعله آل بيته وصحابته رضي الله عنهم أجمعين .

تقول الأبحاث الطبية التي تدرس في جميع كليات الطب في العالم أجمع إن تأخير سن الزواج بالنسبة للرجل أو للمرأة إلى سن الثلاثين يؤدي إلى ظهور كثير من الأمراض والعيوب الخلقية في نسل أولئك الذين يتزوجون في سن متأخر .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) وفي مجلة المجتمع (الكويت).

ومن ذلك مرض « داون » المعروف باسم (المونجولزم) الذي يسبب العته والقصور العقلي في المواليد نتيجة زيادة كروموسوم في المجموعة ٢١ بحيث أن عدد الكروموسومات في أي خلية لمثل هذا الشخص يصبح ٤٧ بدلاً من ٤٦ الموجودة في الأشخاص الأسوياء وقد وجد أن تأخير الزواج يسبب زيادة مرعبة في هذا المرض تبلغ أكثر من عشرة أضعاف ما هي عليه عند المتزوجين زواجاً مبكراً .

كذلك تكثر الأمراض الوراثية الناتجة عن اختلال الكروموسومات وسبب ذلك هو أن الخلايا الموجودة في الخصية (بالنسبة للرجل) أو في البويضة بالنسبة للمرأة تصاب بنوع من الشيخوخة المبكرة ونتيجة لعدم الزواج المبكر تكثر الأمراض الناتجة عن اختلال الكروموسومات في نسل أولئك الذي لا يتزوجون مبكراً .

ليس هذا فحسب وإنما تتضاعف مشاكل الحمل والولادة للمرأة التي تحمّل لأول مرة في سن الثلاثين فما بعدها . ومن ذلك تسمم الحمل الخطير المعروف باسم « توكسيما » الحمل . . . وهو مرض يؤدي إلى ارتفاع شديد في ضغط الدم مع اختلال في وظيفة الكلى ويبلغ ذروة خطورته إذا حصلت التشنجات الصرعية .

وما لم يوقف الحمل ويخرج الحميل من بطن أمه فإنها تتعرض لمضاعفات تؤدي إلى فقدان حياتها . . .

ويعتبر تسمم الحمل أحد أهم الأسباب الداعية إلى إنزال الجنين قبل مواعده إما بعملية قيصرية أو غير ذلك من الوسائل الطبية المعروفة لدى الأطباء .

كذلك تزداد مضاعفات الولادة زيادة كبيرة إذا كان الحمل لأول مرة في سن الثلاثين وما بعدها .

ولهذا فإن الأطباء جميعاً يقررون أن الزواج المبكر هو أفضل شيء

لتجنب هذه الأمراض التي تصيب النسل كما تصيب الأم .
وقد ظهر بحث جيد قام به أخصائي أمراض النساء والولادة في
المستشفى العسكري في منطقة أبها خميس مشيط الدكتور ديفيد هارتلي
ونشرته المجلة الطبية السعودية عدد ابريل ١٩٨٠ وقارن فيه حالات حمل
وولادة من سن ١٢ سنة إلى ١٧ وهو ما يعتبر زواجا مبكراً جداً وحالات
حمل وولادة في سن عشرين سنة إلى سن ٢٥ وهو ما يعتبر زواجا
مبكراً عادياً .

وقد كانت النتائج التي توصل إليها مذهلة حقاً . . .
فقد وجد أن حالات الحمل المبكر جداً كانت تعاني من مشاكل
أقل من حالات الحمل المبكر العادي .

أما المقارنة مع حالات الحمل والولادة من زواج متأخر أي سن
ثلاثين فما بعدها فإنها توضح بجملاء مدى الفرق الشاسع بين الزواج
المبكر والزواج المتأخر . . إذ إن الزواج المتأخر يؤدي إلى مجموعة
كبيرة جداً من الأمراض الخلقية في النسل كما تؤدي إلى زيادة في
مضاعفات الحمل والولادة .

وهذه الحقائق العلمية الطبية تؤكد فائدة الزواج المبكر من الناحية
الطبية .

أما من الناحية الاجتماعية والنفسية فإننا نعرف أن الزواج المبكر
يحمي الشباب والشابات من الوقوع في برائن الزنا . . أو الشذوذ
الجنسي . . . وما يتصل بهما من أمراض وبيلة انتشرت انتشاراً ذريعاً في
هذه الأيام لدرجة أزعجت هيئة الصحة العالمية واعتبرت الأمراض
الجنسية الناتجة عن الزنا واللواط أهم سبب للأمراض البوائية في العالم
أجمع أهمها وأخطرها مرض فقدان المناعة (الإيدز) .

ولم يعد السيلان من الأمراض اليسيرة التي يمكن القضاء عليها

بسهولة بالمضادات الحيوية فقد تخلقت أنواع من البكتريا التي لديها مناعة لمجموعة كبيرة من هذه المضادات .

كذلك عاود الزهري ظهوره مرة أخرى بشكل مربع بعد أن كاد يقضى عليه بعد ظهور البنسيلين عام ١٩٤٥ .

ليس هذا فحسب ولكن أمراضاً جنسية جديدة أخذت تأخذ بعداً مربعاً في الولايات المتحدة وأوروبا وهي « هريس التناسل » أو سبط التناسل وهو مرض فيروسي منتشر انتشاراً ذريعاً في الولايات المتحدة وأوروبا ولا يوجد له أي علاج حتى هذا اليوم .

كذلك انتشر مرض التهاب الكبد الفيروس الخطير من فصيلة B وخاصة بين المصابين بالشذوذ الجنسي ومرض ناتج عن ميكروب يسمى الكلاميديا يصيب الجهاز البولي التناسلي لكل من الرجل والمرأة .

ليس ذلك فحسب وإنما هناك زيادة في سرطان عنق الرحم لدى الزناة من النساء كما أن هناك زيادة مرعبة في سرطان المستقيم وقناة الشرج لدى المختئين المصابين بالشذوذ الجنسي بالإضافة إلى الورم الجيني المدعو ساركوما كابوس .

هذه بعض مزار الزواج المتأخر من الناحية الطبية فقط أما النواحي الاجتماعية والنفسية فنكتفي هنا بإيراد ما كان يدعو إليه الفيلسوف البريطاني برتران رسل من الزواج المبكر لأنه كما يقول يقضي على المشاكل النفسية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الغربية .

وإذا علمنا أن عدد سكان المملكة العربية السعودية يقدرون بشمانية ملايين بما فيهم غير السعوديين الذين يشكلون نسبة عالية منهم ، وإذا علمنا أن كثافة السكان (في أرجاء المملكة الواسعة التي تزيد مساحتها

عن مليوني كيلومتر مربع) لا تزيد عن شخصين سعوديين فقط لكل كيلومتر مربع فإن سياسة تأخير سن الزواج وإقامة العوائق المختلفة أمام الزواج ستؤدي إلى كارثة سكانية ، إذ أن المملكة تعاني من نقص رهيب في عدد السكان ، وينبغي تشجيع الزواج بكافة الوسائل بحيث نستطيع أن نضاعف سكان المملكة في فترة وجيزة من الزمان .

وإذا وضعنا العوائق أمام الزواج ثم أخرجنا المرأة للعمل خارج المنزل فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى نقص سكان المملكة لا إلى زيادته وإلى تفاقم مشكلات العمالة التي من أجلها يدعو أنصار عمل المرأة إلى إخراجها حتى تحل مشكلة العمالة الأجنبية .

وهكذا نجد أن المعوقات أمام الزواج المبكر سواء كانت بسبب المهور الغالية وتكاليف الزواج أو بسبب عمل المرأة أو حتى تعليمها ، نجد أن هذه المعوقات ستؤدي في النهاية إلى زيادة المشكلة التي نعاني منها وهي ندرة السكان .

التبتل والرهينة أو إطلاق العنان للغريزة الجنسية(*)

إن كلا طرفي قصد الأمور ذميم . . فكما أن إطلاق العنان للغريزة الجنسية خارج نطاق الزواج مذموم ، فكذلك كبتها ووأدها لمن يعتزل النساء بغير سبب من عجز أو عنة ، وهم غالب الخلق .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل . وقال (سعد بن أبي وقاص) رضي الله عنه : (لولا أن رسول الله رد على « عثمان بن مظعون » التبتل لاختصينا) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الرهبانية لم تكتب علينا وإن الله أبدلنا بالرهبانية « الحنيفية السمحة » » أخرجه أحمد والترمذي والطبراني . .

وقد قال تعالى : ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ الحديد (٢٧) .

وصدق الله العظيم فإن كثيراً من هؤلاء الرهبان فاسقون . . ورغم ما يدعونه من التبتل والزهد فإن الزنا بل واللواط منتشر بينهم . . وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية طبعة (١٥) لعام ١٩٨٢ المجلد

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة) .

١٦/٦٠٤ . « ولكن نظام الرهينة بمنعه الزواج أدى إلى انتشار اللواط بين رجال الكنيسة وإلى المساحقة بين راهباتها » .

وقد اعترفت الكنيسة رسمياً بأن المخالطة والمخادنة أمر لا تعترض عليه الكنيسة ، وإنما تعترض الكنيسة على (تجارة الأفضاع في العهر والبغاء) وقد نشرت مجلة التايم الأمريكية في ٢٨ أكتوبر ١٩٦٦ (ص ٣٨) تقرير لجنة (مجلس الكنائس البريطاني عن الجنس والفضيلة) جاء فيه : إن اللجنة ضد الاستغلال الجنسي ، وتبارك الصلة الجنسية في الزواج ، ولكنها ترفض الرأي الداعي إلى العفة قبل الزواج أو الالتزام به بعده !! وترفض اللجنة رأي الانجيل ضد الزنا الذي تراه مسموحاً به في بعض الأحوال ، متى شكل الزنا امتزاجاً شاملاً بين بالغين بدون إكراه !! وتدعو اللجنة إلى تهيئة وسائل منع الحمل للفتيات غير المتزوجات ، وإلى مزيد من التراخي في تشريعات الإجهاض وإلى مساواة المرأة مع الرجل في حرية الجنس » .

وبالفعل قامت بريطانيا بإباحة الإجهاض حسب الطلب عام ١٩٦٧م وليس موقف الكنيسة هذا غريباً ، فالله يقول : ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ .

وقد مات (الكاردينال روتشيلو) أشهر كاردينالات فرنسا بمرض الزهري .

ونشرت مجلة النيوزويك في عددها الصادر ١٩٧٤/٧/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس !! وعندما نشرت مذكرات إحدى العاهرات جاء فيها من عشاقها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كاردينالاً . . . !!

○ وقد ذكرت جريدة الديلي ميل والديلي ميرور (عام ١٩٧٠) أن (٨٠ بالمائة) من الرهبان والراهبات زناة ، وأن ٤٠ بالمائة منهم

أيضاً يمارسون الشذوذ الجنسي !! وقد نشرت جريدة المدينة في ١٤٠٣/١٢/٢١ هـ مقالاً للأستاذ (سيد أحمد خليفة) جاء فيه : « إن ثورة المهدي في السودان بدأت عندما قامت الكنيسة بتزويج رجل وثني . من رجل آخر في غرب السودان ، وقامت بإهدائهما هدايا لتؤكد لهما مباركتها لهذا الزواج غير الميمون » .

والإسلام يرفض نظام الرهينة لأنه مناقض للفقرة مصادم لها .
فإنه سبحانه وتعالى لم يخلق غريزة الجنس عبثاً . . وإنما خلقها ليتناسل بها الإنسان ويتكاثر على ظهر هذه البسيطة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ (النساء ١) وقال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ (الروم ٢١) .
وقال تعالى : ﴿ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ﴾ (البقرة ١٨٧) .

وحيث سبحانه وتعالى على الزواج ورغب فيه . قال عز من قائل :
﴿ وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم ﴾ (النور ٣٢) .
والأيامى هم غير المتزوجين من الرجال والنساء سواء سبق لهم الزواج أم لم يسبق .

وقال تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ﴾ (النساء ٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم مرغباً في النكاح : « النكاح ستي . ومن رغب عن ستي فليس مني » أخرجه البخاري ومسلم . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته ، فزوجوه إلا تفعلوا

تكن فتنة في الأرض وفساد كبير « أخرجه أبو داود والترمذي .
ولما دخل (عكاف بن بشر التميمي) على رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله المصطفى هل له من زوجة أو جارية ؟ فلما نفى عكاف ذلك « وهو موسر بخير » قال له المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله : « أنت إذاً من إخوان الشياطين . لو كنت من النصارى كنت من رهبانهم . إن ستتنا النكاح . شراركم عزابكم . أبالشيطان تمرسون ؟ ما للشيطان سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون . . أولئك المبرؤون من الخنا » . أخرجه أحمد .

○ وكما أن للزنا والشذوذ الجنسي آثاره الضارة على الفرد والمجتمع . . وعلى الجسم والنفس فإن كبت الغريزة الجنسية وعدم الزواج مع القدرة عليه يؤدي أيضاً إلى كثير من الأمراض النفسية والجسدية . .

وهو لا شك يؤدي إلى التوتر والقلق والسوداوية بل وإلى الانتحار والجنون . وقد وجد الباحثون أن معظم مدمني الخمر والمخدرات هم بدون زوجات !! وكذلك المدمنات كن بدون أزواج . . وكذلك فإن الأمراض الجسدية التي تعتور المدمنين هي أقل لدى المتزوجين بالمقارنة مع غير المتزوجين !!

وقد وجد أن (سرطان الثدي) هو أعلى ما يكون حدوثاً لدى النساء اللاتي لم يتزوجن . . يأتي بعدهن أولئك النسوة اللاتي تزوجن ولم ينجبن ، يأتي بعدهن أولئك النسوة اللاتي تزوجن وأنجبن ولكنهن لم يرضعن أولادهن !! .

وأقل النساء إصابة بسرطان الثدي (وهو أوسع السرطانات انتشاراً بين النساء) هن النساء اللاتي تزوجن وأنجبن وأرضعن .

○ أما سرطان عنق الرحم : فهو على النقيض من ذلك ، فهو

منتشر أشد ما يكون لدى البغايا . . وهو مرتبط بالزنا أوثق ارتباط . وبعدد الرجال الذين يزنون بتلك المرأة، فكلما زاد عدد من يتصل بالمرأة من الرجال كلما زاد احتمال الإصابة بسرطان عنق الرحم . .

وسرطان عنق الرحم مرتبط أيضاً بمجموعة من الأمراض الجنسية وأهمها وأشهرها الهربس التناسلي (يسمى بالعربية العقبولة أو النملة) . . وهو مرض خطير انتشر انتشار النار في الهشيم في الآونة الأخيرة ، ففي عام ١٩٨٢م بلغ عدد المصابين بالهربس التناسلي عشرين مليوناً في الولايات المتحدة الأمريكية . . وفي بريطانيا كان عدد المصابين في ذلك العام مائة ألف . وتبلغ الإصابة السنوية في الولايات المتحدة نصف مليون حالة جديدة . . (مجلة بوست جراذويت دكتور عدد مايو ١٩٨٣ وتقدير إدارة الصحة الأمريكية) والهربس منتشر أيضاً في أفريقيا . . ولذا فإن الأفريقيات يعانين من إصابة عالية بسرطان عنق الرحم (الدكتور آريا كتاب الأمراض التناسلية في المناطق الاستوائية) . . وقد وجد أن سرطان عنق الرحم أيضاً مرتبط بختان الرجل . . فالرجل المختون يقلل من نسبة الإصابة بالمرأة التي يتصل بها ، أما الأقلف (غير المختون) فإنه يسبب زيادة احتمال الإصابة بسرطان عنق الرحم للمرأة التي يتصل بها .

وكذلك إتيان المرأة في المحيض يؤدي إلى زيادة احتمال الإصابة بسرطان عنق الرحم . . (بحث للدكتور عبد الله باسلامة ألقاه في المؤتمر الطبي السعودي السادس) .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ (البقرة ٢٢٢) .

● وهكذا تجد أن الانحراف عن هدي الإسلام القويم وتعاليمه الحنيفة المستقيمة تؤدي إلى الزلل والزيغ . . وإلى كثير من الأمراض في النفس والبدن للفرد وللجماعة على السواء .

وأقل النساء إصابة بسرطان عنق الرحم هن المسلمات . وذلك لأن المسلمات هن أقل النساء إصابة بالأمراض الجنسية كما يذكر ذلك كتاب « الأمراض الزهرية في المناطق الاستوائية » تأليف الدكاترة آريا وييسنت وأوسابا طبعة ١٩٨٠ .

ويذكر الكتاب المذكور أن ختان الذكور لا يقلل فقط من الإصابة بسرطان عنق الرحم لدى الزوجة ، ولكنه أيضاً يقلل من الإصابة ببعض الأمراض الجنسية مثل هربس التناسل ، والقرحة الرخوة . . وثآليل التناسل والورم الجنسي المغبني . . والالتهاب الزهري الحبيبي المغبني وحقب البول .

ويقول البرفسور (وليم بيكرز) الذي عمل في البلاد العربية لأكثر من عشرين عاماً (إن أظهر الفروج التي فحصها كانت في الجزيرة العربية . وبعد أن فحص أكثر من ثلاثين ألف امرأة هناك فحوصات متكاملة مع أخذ عينات من المهبل وعنق الرحم . . وجميعها تقريباً كانت سلبية بالنسبة للسيلان والهريس وسرطان عنق الرحم) . ويقول البروفسور بيكرز (إن ذلك يرجع إلى سببين هامين هما ندرة الزنا ، وختان الرجال) (مجلة ميديسن دايجست عدد ابريل ١٩٧٧) .

وهي نتيجة ينبغي أن نحافظ عليها بالمحافظة على الطهارة والعفة والبعد عن الزنا والخنا . . والحث على الزواج وتيسير سبيله . فإن من لا يتزوج (وهو غير مصاب بالعنة) يلاقي عنتاً شديداً في العفاف . . والرسول صلوات الله عليه يحث الشباب على الزواج فيقول : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن

للفرج . . ومن لم يستطع فعله بالصوم فإنه له وجاء » . و (الوجاء) :
هورض الفحل حتى تذهب فحولته .

● وخلاصة القول : إن الطريق المستقيم هو طريق الإسلام الذي
شجع على الزواج ، وأفسح المجال للغريزة الجنسية كي تنطلق لتعمر
هذا الكون (لا طريق الرهينة مع ما فيه من كذب وخداع أو كبت للغريزة
الجنسية وما يؤدي إليه من كآبة وسوداوية وقلق وأمراض جسدية
ونفسية) ، ولا طريق العهر والزنا والخنا مع ما فيه من احتقار لكيان المرأة
والرجل على السواء ، وما فيهما من أمراض وبيلة تحيق بالفرد
والمجتمع . . وبصحة الجسم والنفس ، مع ذهاب الإيمان ، حيث ورد
قوله صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » رواه
البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ، وزاد النسائي « فإذا فعل ذلك خلع
ربقة الإيمان من عنقه . فإن تاب تاب الله عليه » . وفي رواية للبخاري
« ينزع منه نور الإيمان في الزنا » وفي لفظ له أيضاً : « من زنى نزع الله
نور الإيمان من قلبه فإن شاء أن يرده إليه رده » .

مع التهديد بعذاب الله . . قال تعالى في صفات عباد الرحمن :
« ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة
ويخلد فيه مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله
سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه
يتوب إلى الله متاباً » . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا تزال أمتي
بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنا . فإذا فشا فيهم ولد الزنا فأوشك الله أن
يعمهم بعذاب » رواه أحمد بإسناد حسن . وقال صلى الله عليه وسلم :
« إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله » رواه
الحاكم .

أميركا التي رأيت - ١ -

انحطاط خلقي وقمة في التكنولوجيا (*)

أقلعت الطائرة البريطانية من مطار هيثرو بلندن متجهة إلى نيويورك . وكان في الطائرة بضعة يهود بزنانيرهم فحظوا باهتمام المضيفين والمضيفات البالغ . . وقدم لهم طعامهم الخاص الكوشر (وبالمناسبة فإن طعام الكوشر لا يحتوي مطلقاً على لحم الخنزير أو دهنه . . وجميع اللحوم فيه مذبوحة ويأتي طبق الطعام مختوماً بختم أحد أحبارهم) . . وقد رفض المضيف البريطاني أن يجعل لي طعاماً خاصاً . وأكد لي أن وجبة الغداء ليس فيها لحم خنزير . . وهكذا جاء طبق الغداء ظاهره دجاج وباطنه خنزير . . نعم لقد كانت الفرخة محشوة بالخنزير ولم اكتشف ذلك إلا بعد أخذ لقيمات منها حيث رأيت لحم (الهام) يطل منها . . وأحسست بالغثيان .

ولم تكن لي هذه أول تجربة مع الانجليز وطعامهم الخنزيري فتارة تأتلك الشوربة مصنوعة بدهن الخنزير وأخرى يؤكد لك فيها الجرسون أن لا (بورك) في طعامه فتكتشف (الهام) بدلاً منه . . وحتى البسكويت أو الآيس كريم تجده مصنوعاً من دهن خنزير . . وقد أثبتت الأيام أن الانجليز بصورة خاصة يعاملون العرب والمسلمين معاملة فيها كثير من

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

الاستخفاف بل والامتهان مقرونة مع الابتزاز . . فالمغالطات والسرقات ملموسة حتى في بنوك شارع أوكسفورد التي ترحب بالعرب . . وفي الفنادق يضاعفون الأجرة عندما يعلمون أنك عربي من السعودية أو من دول الخليج . . أما أطباء هارلي ستريت فلهم أسعار خاصة تليق بثراء أهل الخليج .

علي أية حال لن نكون أحسن حالاً من وفد الجامعة العربية الذي كان متجهاً إلى لندن برئاسة الملك حسين حيث رفضت المسز تاتشر ووزير خارجيتها فرانسيس بيم في اللحظات الأخيرة استقبال مندوب منظمة التحرير الفلسطينية وبطريقة فجأة خالية من أبسط التقاليد الدبلوماسية . . رغم أن دول الخليج تتيح للشركات البريطانية أن تكسب في العام قرابة أربعة بلايين جنيه استرليني . . كما أن جزءاً كبيراً من مدخرات دول الخليج وأثريائه لا تزال تقبع في بنوك لندن !!

بعد ثماني ساعات من الطيران المنهك وصلنا إلى مطار كيندي في نيويورك التي أذهب إليها لأول مرة في طريقي إلى حضور المؤتمر الخامس لرابطة الشباب العربي المسلم في أمريكا الشمالية والذي قرر أن يعقد في مدينة فورت ورث بولاية تكساس .

وكان في استقبالني بمطار كيندي أخوان كريمان من رابطة الشباب العربي المسلم وهما أيضاً عضوان نشطان في مركز جرسبي الإسلامي بولاية نيوجرسبي القريبة من نيويورك . وهما المهندس منذر هينين والاستاذ جمال معطي .

وأخبرتهما أنني لم أصل الظهر والعصر بعد فتوقفنا في مركز جرسبي الإسلامي لأداء الصلاة . . ومقابلة الأخوة المسؤولين في المركز .

وقد أثلج صدورنا ما رأيناه في مركز جرسبي حيث وجدناه مكوناً من

ثلاثة طوابق . . الأول للإدارة والأرشيف وآلة الاستنسل لطبع منشورات المركز والثاني لمكتبة وغرف للدراسة والثالث مسجد كبير يتسع لعدة مئات من المصلين .

وقابلنا رئيس المركز فضيلة الشيخ محمد الحانوتي وهو عالم فاضل وخطيب مفوه وله نشاط إسلامي واسع ليس في جرسى وحدها بل في الولايات المتحدة بأسرها وخاصة بين الأخوة الفلسطينيين . . كما قابلنا أمين عام المركز الأستاذ أحمد حطاب وهو أيضاً أحد دعائم رابطة الشباب العربي المسلم في أمريكا الشمالية كما قابلنا مجموعة من الشباب المثقف ثقافة عالية مع خلق متين وتمسك كامل بأهداف الدين . . وقد اطلعنا على نشاط المركز وحلقات الدراسة مستمرة في المسجد فيما بين المغرب والعشاء . . كما أن هناك فصلاً دراسية للأطفال وهي أساساً في أيام الأحد . . وفصلاً أخرى للنساء . . وللمركز مكتبة إسلامية جيدة مع مجموعة كبيرة من أشربة القرآن الكريم ومحاضرات مشاهير الدعاة والعلماء في العالم الإسلامي .

ويعتمد المركز في نشاطه على اشتراكات الأعضاء وتبرعاتهم . . وليس له أي صلة بأي حكومة حتى تبقى له حرية العمل وحتى يتعد عن جو المشاحنات والخلافات المستمرة بين الحكومات العربية .

وذهبنا بعد ذلك إلى الفندق لنستريح من عناء السفر فوجدنا الشيخ عمر بادحدح والشيخ سعيد العمودي والدكتور محمد عمر بادحدح قد سبقوني إليه فسررت بهم وسروا بنا . .

وفي اليوم التالي جاءنا أحد الأخوة الكرام من المركز الإسلامي في جرسى وهو الأستاذ مجدي صبحي فأخذنا جميعاً في جولة لنرى نيويورك ومعالمها . . وانتقلنا من جرسى المدينة الهادئة إلى نيويورك عبر نفق يبلغ طوله خمسة أميال . .

والغريب أن السيارات لا بد أن تقف أمام كوبري أو نفق لتدفع رسوماً في كل مرة تعبر فيه النفق أو الكوبري ؛ فقد أخبرت أن هذه الأنفاق والكوبري تقوم بها شركات تجارية وتتقاضى على ذلك أجراً من كل سيارة تمر عبر ذلك النفق أو الكوبري !!

ورأينا في جولتنا حي مانهاتن وناطحات السحاب (وأماير ستيت التي لم تعد أطول عمارة في نيويورك) وشارع المال وول ستريت وعبرنا شارع برودواي حيث تعرض أشهر المسرحيات ورأينا أضخم وأطول كوبري في العالم يربط بين أجزاء نيويورك وتمر السفن الضخام تحته ويقال إن ثاني كوبري في العالم هو كوبري سان فرانسيسكو . . ثم انتقلنا إلى متحف التاريخ الطبيعي في نيويورك ، ويعتبر من أضخم المتاحف في العالم إن لم يكن أضخمها . .

وهو يضارع متحف لندن للتاريخ الطبيعي إن لم يفقه ضخامة وروعة . . قاعات الديناصورات الهائلة . . قاعات لأنواع النبات . . قاعات لأنواع الحيوان والطيور . . قاعات لمختلف أنواع المعادن والصخور . . قاعات للأجناس البشرية والحضارات الانسانية . . القبة السماوية ، تاريخ الطيران يعرضه فيلم في صالة فريدة حيث ترى نفسك وكأنك في المتطاد تطير في الهواء وتعبر الغابات والبحار ثم إذا بك تنتقل في مختلف أنواع الطائرات حديثها وقديمها . . مدينها وحربها مبهور الأنفاس . . من ذلك العرض الفني الرائع .

بعد هذه الجولة الطويلة عدنا إلى المركز الإسلامي لإلقاء محاضرة طلبها الشباب عن الخمر . . وقد كانت لديهم أسئلة عديدة يثيرها لهم أصدقاؤهم من الشباب غير الملتزم ومن الأمريكان وغيرهم . وكان جل هذه الأسئلة يدور حول الأوهام المتعلقة بالخمر مثل أنها تدفيء الجسم في الجو القارص الذي تعيشه معظم أرجاء الولايات المتحدة ودول

الشمال هذه الأيام . . ومثل أن قليلاً من الخمر يصلح المعدة وأن الخمر تقوي الباءة إلى غير ذلك من الأوهام المتعلقة بها التي سبق أن أجبنا عليها في كتابنا «الخمر بين الطب والفقہ» .

ثم عدنا إلى الفندق لننام نوماً عميقاً بعد هذه الجولة الطويلة . . وفي اليوم التالي جاء رفيقنا الأستاذ مجدي صبحي ليأخذنا في جولة ثانية حول نيويورك وذهبنا إلى الميناء هذه المرة حيث ترقد حاملة طائرات اشتركت في الحرب العالمية الثانية وتحولت إلى متحف حربي بحري دائم .

هناك سمعنا قصة تلك الحاملة من قبطانها بشرط صوتي مع مجموعة من صور الشرائح المتحركة التي التقطت أثناء المعارك التي خاضتها في المحيط الهادي بعد معركة بيرل هاربر الشهيرة مع البحرية اليابانية . . ولبثنا في جو المعركة الحقيقية لمدة تقارب الساعة . ثم انتقلنا إلى قاعات أخرى توضح أنواع الطائرات الحربية التي تحملها حاملات الطائرات منذ نشوئها إلى اليوم . ثم انتقلنا إلى قاعة أخرى توضح بفيلم وثائقي تطور حاملات الطائرات إلى يومنا هذا .

وانتهت الجولة إلى مركز نيويورك حيث صلينا المغرب والعشاء ووجدناه يسد ثغرة كبيرة وإن كان نشاطه أقل من نشاط مركز جرسى الإسلامي .

وفي المساء فتحت التليفزيون لأرى نشرة الأخبار فرأيت ويا هول ما رأيت !! طفلة لم تتجاوز الثانية من عمرها ملطخة بدمائها البريئة نتيجة اعتداء جنسي عليها . . وأمها تصرخ أي بلد هذه ؟ كيف نعيش إذا كانوا يعتدون جنسياً على أطفالنا !! والمرعب حقاً أنها لم تكن الحادثة الوحيدة تلك الليلة بل كانت إحدى ثماني حالات مماثلة في يوم واحد !! يا لها من حضارة بائسة حقيرة . . ناطحات السحاب والصواريخ

عابرة القارات ورحلات الفضاء والوصول إلى القمر والمريخ وأحدث وسائل التكنولوجيا والقلب الصناعي . . وفي نفس الوقت جريمة مروعة كل ساعة . . وحالات اغتصاب للأطفال الرضع !! والذي لم أستطع أن أفهمه مطلقاً هو حالات الاعتداء الجنسي المرووع على الأطفال الرضع . . مع وفرة النساء ويسر الاتصال بهن . . تجدهن في أي مكان وبدون مقابل تقريباً . . مجرد العشاء أو مجرد لقاء في مقهى أو حتى في الطريق أو في العمل يؤدي إلى لقاء جنسي متى أراد الشخص ذلك . . ومع هذا تجد هذه الجرائم المروعة وتجد نوادي الشذوذ الجنسي . . وترى صحفهم ولافتاتهم تنادي بقذارتهم وحقارتهم . . إنه ارتكاس إلى ما دون مستوى الحيوانات بمراحل متعددة . . وحدث ولا حرج عن انتشار الزنا واللواط والسحاق . . وانتشار المورفين والهرويين والماريوانا . . وقد عبرنا في أحد الشوارع بالسيارة فأخبرونا أنهم يبيعون الحشيش (الماريوانا) فيه بصورة شبه علنية دون رقيب ولا عتيد . انحطاط خلقي مرووع ولهات وراء المادة مع قمة التكنولوجيا . . ونتيجة كل ذلك انفصام نكد وحوادث انتحار وحالات القلق والكآبة والقرف والضييق . . وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾ ولن تجد حياة أشد ضنكاً من حياة أهل الغرب رغم ما أوتوا من وسائل التقدم العلمي (الظاهر) . . يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴿ .

« حدود إسرائيل » في الأمم المتحدة (*)

أخذنا رفيقنا الكريم الأستاذ مجدي صبحي إلى مبنى الأمم المتحدة الضخم في نيويورك . . وتجولنا في مكتبته العامرة، بالأبحاث الصادرة عن مختلف هيئات الأمم المتحدة مثل اليونسكو واليونسيف ومنظمة الصحة العالمية وغيرها من المنظمات . . وأخبرنا الأستاذ صبحي أن جلسة منعقدة للجمعية العامة لا تزال جارية في تلك اللحظة وأنه يمكننا حضورها ، فسررنا بذلك . . ودخلنا من باب يشرف على القاعة ، وأخذنا مقاعدنا وأنصتنا بواسطة الميكروفونات الصغيرة الملصقة بالقاعة لما يدور من مناقشات .

وقد كانت الجلسة تتعلق بمناقشة مشروع قدمته دول العالم الثالث والدول العربية وخلاصته أن على إسرائيل أن توضح للمجتمع الدولي حدودها التي تعتبرها آمنة . . ويبدو أن مندوب العراق قد تحدث قبل دخولنا واستمعنا إلى المندوب الإسرائيلي وهو يهاجم هذا المشروع ويخص العراق بهجوم عنيف . . ثم استمعنا إلى مندوبة الولايات المتحدة اليهودية كيرك باتريك وهي تقف ضد المشروع وتأتي بمنطق غريب معكوس وهو أن إسرائيل ينبغي أن يعترف بها العرب بدون أن

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

تحدد هي حدودها . واستمعنا إلى مندوبين من دول العالم الثالث وهم يؤيدون المشروع الذي يطالب إسرائيل بتوضيح حدودها لأن ذلك هو أقل ما يطلب منها في مقابل اعتراف العرب بها إذ لا يعقل أن تقوم دولة بدون حدود .

وعند التصويت على المشروع قامت إسرائيل والولايات المتحدة بمعارضته والوقوف ضده ولاذت دول أوروبا الغربية بالصمت بينما صوتت بقية الدول في صالح القرار .

ومما لاحظناه أن بعض المندوبين كان يتشاءب أثناء مباريات الخطابة وكان بعضهم يرفع رجله على المنضدة أمامه بكل وقاحة !! ولعل هذه الظاهرة تعطينا دليلاً حياً على المدى الذي وصلت إليه قضية فلسطين وإسرائيل في هيئة الأمم المتحدة !!

وهي توضح مدى المهانة التي وصل إليها العرب والمسلمون في تعاملهم مع إسرائيل والولايات المتحدة على وجه الخصوص والدول الغربية على وجه العموم ويبدو أن صداقتنا مع الولايات المتحدة والدول الغربية من جانب واحد فقط . . في كل موقف تقف الولايات المتحدة بصورة فجأة ووقحة مع إسرائيل وضد أبسط المبادئ الإنسانية . . حتى في هذا المشروع الذي يطالب إسرائيل بتوضيح حدود لها تقف الولايات المتحدة بكل صلف مع إسرائيل لتبقى حدودها مفتوحة لتبتلع المزيد من الأراضي العربية التي ليس لها اليوم من مدافع .

وإذا نظرنا إلى الولايات المتحدة والدول الغربية بل وكثير من الدول الشيوعية نجد أن اليهود يسيطرون سيطرة قوية على مراكز النفوذ . ففي الولايات المتحدة نجد السيطرة اليهودية تامة أو شبه تامة على مراكز المال والبورصة والبنوك التجارية العالمية . . كما نجد أن الأخطبوط اليهودي يسيطر سيطرة شبه تامة على وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة

وتليفزيون .. كما يسيطر اليهود على الكونجرس الأمريكي ..
ويبدو أن السيطرة اليهودية على الولايات المتحدة تزداد يوماً بعد
يوم ولقد بلغ من سيطرة اليهود على الكونجرس الأمريكي أن صوت
الكونجرس لصالح زيادة المعونة المقدمة لإسرائيل هذا العام إلى ٣٠٠٠
مليون دولار رغم معارضة الرئيس ريجان لهذه الزيادة الرهيبة .. ورغم
ما تعانيه الولايات المتحدة من أزمة اقتصادية .. وعجز هائل في ميزان
المدفوعات الأمريكية .. والجدير بالذكر أن المعونة الاقتصادية
الأمريكية لإسرائيل كانت قبل ١٥ عاماً ١٨ مليون دولار فقط ثم زادت
بقفزات متوالية حتى وصلت هذا العام إلى ٣٠٠٠ مليون دولار ..
(أغلبها هبة والباقي قروض ميسرة) ..

وقد نشرت وسائل الإعلام أن ٧٥٪ من هذه المساعدات الضخمة
الهائلة تذهب مباشرة إلى الجيش الإسرائيلي ليواصل عدوانه الإجرامي
على البلاد العربية .

والغريب حقاً أن المهانة والذلة قد وصلت بالعرب إلى مستوى لم
يكن يتخيله أي إنسان .. ففي السنوات القليلة الماضية كانت أكبر تهمة
يمكن أن توجه إلى أي سياسي عربي هي التقاؤه سراً ببعض
الإسرائيليين .. أما الآن فقد تغير الوضع .. فقد نشرت الصحف هجوم
شامير وتحالف الليكود وحزب العمل الإسرائيلي على اليهود الثلاثة
الذين اتصلوا بياسر عرفات في تونس سراً في نهاية الأسبوع الماضي ..
ويدرس البرلمان الإسرائيلي قانوناً قدمه وزير الطاقة إسحاق موداي ووزير
العلوم يوفال نيومان لفرض عقوبات على أي إسرائيلي يتصل بمنظمة
التحرير الفلسطينية !!

وهكذا تتدحرج الكرامة العربية إلى قاع الهاوية .. وكل يوم نسمع
مزيداً من التنازلات .. والمهانات بحثاً عن السلام مع يهود ..

ولا يزال الإعلام العربي يصر على التفریق بين اليهودي والصهيانية . فالإعلام العربي يحترم اليهود ويوقرهم رغم أن القرآن الكريم قد وصفهم بأشنع الصفات ووسمهم بأرذل السمات ودعاهم بالقردة والخنازير وعبد الطاغوت . . ورغم أن بيجن قد صرح مراراً وتكراراً بأنه لا يوجد أي فرق بين اليهودي والصهيوني . . فكل يهودي صهيوني وكل صهيوني يهودي . (إلا ما ندر والندر لا حكم له) . .

ورغم أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر الصهيانية مطلقاً ولا ذكرهم الرسول صلوات الله عليه ولم يعرفهم التاريخ إلا باسم يهود إلا أننا نجد الإعلام العربي بل والمسؤولين العرب يصرون على إبداء مزيد احترامهم لليهود الذين لعنهم الله في محكم كتابه منذ الأزل . . حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ ! (المائدة ٧٨).

﴿ فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً ﴾ (المائدة ١٣) ﴿ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ (المائدة ٦٠).

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً ﴾ (المائدة ٦٤) .

﴿ قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين * من كان عدواً لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين ﴾ (البقرة ٩٧) .

﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً

كذبتم وفريقاً تقتلون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ﴿ (البقرة ٨٧ ، ٨٨) .

وقد وصفهم الله تعالى بأن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة قال تعالى مخاطباً لهم : ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة . وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منها الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون !! ﴿ .

ووصفهم بأنهم قد أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قال تعالى : ﴿ واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴿ .

ووصفهم بأنهم كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم قال تعالى : ﴿ أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ﴿ ؟

ووصفهم بأنهم قتلوا الأنبياء فقال تعالى : ﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ﴿ ؟

وقال عنهم : ﴿ بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴿ ، وقال عنهم : ﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين * أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴿ وقال عنهم : ﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴿ وقال عنهم عز من قائل : ﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿ .

هؤلاء هم يهود الذين يحرص الإغلام العربي والمسؤولون العرب على التغاضي عن جرائمهم عبر التاريخ إلى مذبحه صبرا وشاتيلا ونسبتها إلى الصهاينة . . . والحق أنهم يهود الذين وصفهم رب العزة بأنهم قتلة الأنبياء وعبد الطاغوت والذين أشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم والذين تناولوا حتى على الملائكة فقالوا جبريل عدونا ثم تناولوا لعنهم الله على الذات الإلهية العلية فقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وقالوا عليهم لعائن الله وملائكته والناس أجمعين ﴿ يد الله مغلولة ﴾ غلت أيديهم بما قالوا .

لا أمل إذن في هؤلاء الذين يوادون يهود ويحترمون يهود . . . ويتولون يهود ﴿ ومن يتولهم فإنه منهم ﴾ وإنما الأمل معقود بالجيل الرباني الذي سيأتي والذي بشر به المصطفى صلوات الله عليه حيث قال : « تقاتلكم يهود فتقتلونهم حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله تعال هذا يهودي ورائي فاقتله » . وإن هذا اليوم قريب مهما تراءى لليهود وأعوانهم . . . فإنه آت لا ريب فيه . . . وقد وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الساعة لا تقوم حتى نقاتل الكفار ونحن على الضفة الشرقية من نهر الأردن وهم على الضفة الغربية منه وها هي الضفة الغربية تصبح كما يسميها يهود يهودا والسامرة . . . وها هي البشارات والعلامات التي وصفها لنا المصطفى صلوات الله عليه تتضح شيئاً فشيئاً . . . وما هي إلا أيام ويظهر فيها الجيل الرباني الفريد الذي يقول له الشجر والحجر يا مسلم يا عبد الله تعال هذا يهودي ورائي فاقتله . . . ولن نحتاج يومذاك إلى أمريكا ولا إلى هيئة الأمم ولا إلى روسيا أو غيرها لأن كلمة الله هي العليا . . . وكلمة الذين كفروا السفلى . . . وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ويفرح المؤمنون بنصر الله . وإن نصر الله لات وإن نصر الله لقريب .

اميركا التي رأيت (٣) الأخيرة :
الرحلة إلى فورت ورث
وحضور مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي (*)

بدأ تجمع المحاضرين في نيويورك . تشرفنا بالتعرف على الدكتور نوفل والدكتور أبو فارس من كلية الشريعة بالجامعة الأردنية ثم التقينا بالشيخ عبد المتعال الجبري والشيخ مصطفى مشهور وهما من مشاهير الدعوة إلى الله في مصر . . وسافرنا مع الإخوة المرافقين من رابطة الشباب المسلم العربي بالطائرة متوجهين إلى دالاس عبر توقف قصير في شيكاغو . . ورغم أن مطارات نيويورك (كينيدي) وشيكاغو ودالاس من أكبر مطارات العالم . . ويقال إن مطار دالاس هو أكبرها جميعاً فإننا لم نشاهد أثراً لأي زحام بل على العكس يبدو وكأنه لا يوجد في المطار سوى أفراد رحلتك . . وذلك لتخصيص مكان لهبوط كل طائرة وسرعة إجراءات الدخول والخروج بحيث لا تحس بما يجري في الأماكن المجاورة لك .

والجدير بالذكر أن المراكز الإسلامية مثل مركز نيوجرسي قد اتفقت مع شركات الطيران على إعطاء المسلمين وجبات (إسلامية) خالية من لحوم الخنازير وشحومها . . كما أخبرنا الإخوة هناك أن معظم الولايات توجب ذبح الماشية لأنهم وجدوا أن الميتة التي لم ينهر دمها

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

سرعان ما يفسد لحمها وتغزوه أنواع البكتريا . فالحمد لله الذي جعلنا على خير دين . . الذي أحل الطيبات وحرم الخبائث . .

وقد اكتشف العلماء ، بالإضافة إلى ما هو معروف عن لحم الخنزير من أنه يحمل الدودة الشريطية والدودة الشعرية الحلزونية ، أمراضاً أخرى كثيرة منها ارتباط دهون الخنزير بجلطات القلب وتصلب الشرايين ، وارتباط الخنزير بمرض النقرس لأن به كمية هائلة من حامض البوليك الذي سرعان ما يترسب في المفاصل والكلى . . وارتباط لحوم الخنزير بأنواع مختلفة من السرطان .

وصلنا إلى دالاس ووجدنا الإخوة من رابطة الشباب المسلم العربي في استقبالنا وعلى رأسهم رئيس لجنة الضيوف الأخ خليل دهلوي . . فأخذوني إلى فورت ورث حيث يعقد المؤتمر .

ونزلنا في فندق حياة ريجنسي ولاحظنا أن الفندق الضخم الفخم يكاد يخلو تماماً إلا من الشباب المسلم العربي الذي ملأ ردهات الفندق وغرفة . . وقد أخبرنا الإخوة القائمون على المؤتمر أنهم استأجروا ثلاثة فنادق لإيواء قرابة خمسة آلاف شخص اشتركوا في هذا المؤتمر وجاءوا من مختلف أرجاء الولايات المتحدة وكندا . . والفنادق الثلاثة هي حياة ريجنسي وهيلتون للرجال وفندق أميركان للنساء والأطفال . . وقد اندهشنا عندما عرفنا أن إيجار الغرفة التي تتسع لأربعة أشخاص كان ثلاثين دولاراً فقط . . كما استأجروا للاجتماعات القاعات الضخمة التي تعود ملكيتها إلى بلدية فورت ورث بمبلغ زهيد أيضاً وهو أحد عشر ألف دولار لمدة خمسة أيام .

وبما أن الرابطة تقدم نشاطاتها الرائعة بناء على ما يدفعه المشتركون فقد تقرر أن يدفع كل مشترك مبلغاً يتراوح بين تسعين ومائتين وخمسين دولاراً حسب دخل المشترك وصورة اشتراكه كفراد أو كعائلة . .

وقد أحسن القائمون على المؤتمر في اختيار الزمان والمكان حيث اختاروا له عطلة عيد الميلاد بحيث يتمكن أكبر عدد ممن يدرسون أو يعملون في الولايات المتحدة وكندا من الحضور كما اختاروا له مدينة فورت ورث الهادئة الدافئة في تكساس . . إذ بينما كانت الثلوج تنهمر في مناطق مختلفة من الولايات المتحدة كان الجو دافئاً في فورت ورث حيث . . . لم تهبط درجة الحرارة حتى في الفجر أقل من خمسة درجات مئوية فوق الصفر .

■ ■ يبدأ المؤتمر أول أعماله يوم الخميس ٧ ربيع الأول ١٤٠٣ الموافق ٢٣ ديسمبر ١٩٨٢ . . وقد حوى البرنامج العام للرجال ثماني محاضرات وثلاث ندوات ومجموعة كبيرة من الحلقات الدراسية المتنوعة وكان موضوع المؤتمر « الهدي القرآني » فتعرضت تلك المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية لجوانب إعجاز القرآن الكريم المختلفة وكان نصيبي منها خلق الإنسان بين الطب والقرآن . . الذي سبق وأن تعرضت له في كتابي بنفس هذا العنوان .

وشملت المحاضرات والندوات والحلقات الدراسية إلى جانب دراسة الإعجاز القرآني دراسات عن أوضاع المسلمين الحالية وخاصة في أفغانستان ولبنان . . والبلاد العربية وتلمس الحلول من خلال النظرة الإسلامية مستهدين بالهدي القرآني والنور النبوي .

وكان مما يثلج الصدر خروج الآلاف إلى صلاة الفجر في قاعة بلدية فورت ورث الكبرى وارتفاع صوت المؤذن الشجي في هدأة آخر الليل وأول النهار: الله أكبر الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله . . أشهد أن محمداً رسول الله .

مؤذنة بيزوغ فجر قريب ترى فيه هذه البلاد نور الإسلام . . وفي كل يوم يدخل إلى هذا النور أفراد من المجتمع الأمريكي يسرون على

هديه ويستضيئون بألق نوره ويفيئون إلى وارف ظله . .

مئات بل آلاف من السود والبيض في هذه القارة تبهرهم أنوار الإسلام بعد أن عاشوا في ظلام القلق والكآبة والمخدرات دهرًا . مئات بل آلاف ممن وصفهم لنا الكاتب الأمريكي الأسود جيمس بالدوين في كتابه « الجحيم في المرة القادمة » يعودون إلى الإسلام كل عام بل كل شهر : والآن - وفجأة - سمع أولئك الناس الذين لم يتح لهم من قبل أن يتعرفوا على هذا الدين العظيم . . سمعوا به وتعرفوا عليه وأقبلوا بنفوس ظامئة وشربوا من حياضه فتغيروا . . نعم تغيروا تغيراً كاملاً مذهلاً . .

لقد استطاع الإسلام أن يفعل ما لم تستطع أن تفعله أجيال موظفي الضمان الاجتماعي ومئات القرارات والدراسات واللجان التي كلفت بإصلاح أحوال السود .

نعم لقد استطاع الإسلام وفي وقت قصير جداً أن يحول هؤلاء البائسين مدمني الخمر والأفيون والهرويين ممن فشل في علاجهم الأطباء والمصلحون الاجتماعيون . . إلى الطهارة والنقاء وتوقفوا فجأة عن الإجرام وشرب الخمر وإدمان المخدرات . . وقذف في قلوبهم نور الإيمان ودخلوا في دين الله أفواجاً فتحولوا . . تحولوا من الدمار والعار إلى واحة الإيمان الوارفة الظلال الملتفة الأغصان . . انداح ذلك الظلام الكثيف الذي أحاط بأولئك الرجال الذين وقعوا في مستنقع الرذيلة والإجرام والإدمان . . وتلك النسوة اللاتي احترفن البغاء وتكسبن بالفجور ومشاركة الرجال في إدمان الخمر . . ولم يبق بعد دخولهم في دين الله إلا النور الألق يكسو وجوههم ويهدي أعمالهم ويحولهم إلى رجال أبرار ونساء أطهار . .

آلاف بل ملايين البشر في هذه القارة وفي غيرها من القارات يتلهفون لمعرفة هذا الدين ولكن ويا للأسف . . يحال بينهم وبين رؤية

النور الألق . . وتترك الجهود لأفراد معدودين يواجهون ظلمات الجهل والجاهلية لينشروا دين الله في آفاق المعمورة . .

أين جهود المسلمين ؟ أين أموالهم التي يكتنزها اليهود في بنوكهم ويستخدمونها لمحاربتهم ؟ أين علماءهم ؟ أين رابطتهم ؟

إن دعم الدعاة وتنظيمهم . . وإيصال الدعوة إلى الله إلى كل البشر واجب على كل مسلم قادر وخاصة علماء الأمة وأصحاب الأموال فيها أفراداً وحكومات ، منظمات وهيئات . .

لقد التقينا في المؤتمر ببعض الدعاة الأفراد في المجتمع الأمريكي الكندي نذكر منهم على وجه الخصوص الدكتور جمال بدوي أستاذ الإدارة في جامعة سانت ماري في هاليفاكس - نوفاسكوتيا وإمام الجماعة الإسلامية في مقاطعة ماري تايم ورئيس المؤسسة الإعلامية الإسلامية التي استطاعت أن تقدم مسلسلاً تليفزيونياً عن « الإسلام » في كندا وفي بعض المحطات التليفزيونية في الولايات المتحدة .

وقد شمل البرنامج مائة حلقة كل حلقة نصف ساعة . . كما قام الدكتور جمال بدوي بوضعه على هيئة أشرطة كاسيت مرتبة على ٤٨ شريطاً مدة كل واحد منها ساعة كاملة . وقد تم توزيع عدد طيب منها بسعر التكلفة فقط إذ أن القائمين على المشروع اضطروا للاستدانة حتى يسجلوه على هذه الأشرطة . ولم يستطيعوا إلى الآن تحويله إلى أشرطة فيديو لعدم وجود المال !! وبينما الأموال العربية مكدسة في بنوك اليهود في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وسويسرا .

ولقد أستطاع الدكتور جمال بدوي بجهوده وجهود بعض الشباب المسلم المتفاني في نشر دعوة الإسلام أن يضع مئة حلقة تليفزيونية عن الإسلام عرضت خلال عامين . . ولا تزال هذه الحلقات تذاع والتحصير جارٍ لإعداد مئة حلقة أخرى توضح الإسلام وأركانه والإسلام وقوانينه

والإسلام وأخلاقياته . . وترد على الشبهات واحدة واحدة . .
والبرنامج معدّ بصورة ذكية لبقّة تخاطب المجتمع الغربي وهو
على هيئة أسئلة وأجوبة . كل حلقة تتناول موضوعاً معيناً . . وتناقشه
مناقشة هادفة . . وتعرض بعض الحلقات إلى عقيدة النصارى والتثليث
والصلب وتناقشها بهدوء وعلمية وتوضح خطأها . . كما تتحدث بعض
الحلقات عن البشارات التي جاءت عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
في التوراة والإنجيل . . كل ذلك بلغة علمية هادفة رفيعة مدعمة
بالحقائق موثقة بالبراهين . .

لقد كان من ثمرات هذه الاجتماعات السنوية هذه اللقاءات بين
المسلمين في القارة الأمريكية والتعرف على المشاكل التي تعترض
طريق الدعوة . . والمساندة المعنوية والمادية قدر جهد أفراد
محدودين . . لقد استطاع مؤتمر رابطة الشباب المسلم العربي أن يجمع
في العام الماضي ١٤٠,٠٠٠ دولار للمجاهدين الأفغان خلال بضعة
ساعات جمعها من طلبة وشباب يدرسون في أمريكا الشمالية وموظفين
بسطاء اقتطعوها من قوتهم . . وقدموها بنفوس راضية لإخوتهم
المجاهدين . وهم يعلمون أنها جهد المقل ويأملون في إخوانهم الذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله . . أن يبادروا
لاستفاد أنفسهم من أن تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .

ولقد كان من أهداف رابطة الشباب المسلم العربي أن تجمع أكبر
قدر ممكن من الشباب العربي الذي يقيم في الولايات المتحدة وكندا
وأغلبهم مبتعث من حكومته للدراسة هناك . . وتستنقذهم من براثن
الضياع والفساد التي استشرت في المجتمع الأمريكي . . والتي ينغمس
فيها للأسف كثير من شبابنا بمجرد وصوله إلى تلك الديار .
ومن عجب أن نسمع قصص عشرات الأشخاص من الشباب

العربي الذي كان في بلده غير مهتم بشؤون المسلمين ولا حتى بشؤون الدين نراهم وهم يتحولون بفضل الله أولاً ثم بفضل التجمع الإسلامي الذي تقوم به رابطة الشباب المسلم العربي إلى شباب ملتزم بآداب الإسلام متمسك بتعاليمه .

وكم من قصص لشباب غض سمعتها من أصحابها . . وهم يواجهون مواقف مماثلة لتلك المواقف التي وقفها نبي الله يوسف عليه السلام . . تدعوه امرأة ذات مال وجمال . . فيقول إني أخاف الله رب العالمين . . فيدخل في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله . . ويكون أحد أولئك السبعة الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .
لولم يكن لرابطة الشباب المسلم العربي إلا هذا الجهد المبارك في إنقاذ الشباب من برائن الغي والضلال لكفاها فخراً ، كيف وهي لم تكتف بذلك بل نص دستورها على ما يلي :

- ١ - تجميع الشباب على الإسلام عقيدة وخلقاً ونظام حياة .
- ٢ - مساعدة الطلبة المسلمين في أمريكا الشمالية فيما يعينهم على التحصيل العلمي الرفيع مقروناً بالإيمان والخلق الإسلامي . .
- ٣ - تكوين وتنمية الشخصية الإسلامية لدى الشباب .
- ٤ - التعاون مع الجمعيات الإسلامية الأخرى لما فيه مصلحة المسلمين .

ولتحقيق هذه الأهداف قامت الرابطة بنشاط واسع تمثل في اهتمامها بالطلبة المبتعثين للدراسة في الولايات المتحدة منذ لحظة قدومهم حيث يقوم مندوب الرابطة باستقبال القادم وتقديم المساعدات له بالتعرف على المنطقه التي وصل إليها والتعرف على إخوته من الشباب المسلم وتهيئة الجو الصالح له وإبعاده عن رفاق السوء وتذليل أي مشاكل تطرأ في حياته ودراسته . . ثم تقوم الرابطة بعد ذلك

بنشاطاتها المختلفة في أفرعها المنتشرة في أرجاء الولايات المتحدة وكندا . . حتى توفر للشباب المسلم جواً إسلامياً يجد فيه ملجأً وملاذاً في خضم الحياة الأمريكية الصاخبة .

وتقوم الرابطة بالتعاون مع المراكز الإسلامية واتحاد الطلبة المسلمين بالعديد من المحاضرات واللقاءات الأسبوعية ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية . . كما تقيم العديد من المخيمات الدورية . . وتصدر مجلة شهرية تسمى « الأمل » ذات مستوى جيد . . كما تقوم الرابطة أيضاً بتوفير الأشرطة المسجلة للقرآن الكريم ومحاضرات الدعاة والمشهورين والكتب الإسلامية بثمن التكلفة . . ولا تكتفي بذلك بل تقوم بإصدار نشرات ثقافية مختلفة في شكل سلاسل شهرية لمعالجة قضايا الشباب المسلم في أمريكا وتزويدهم بمفاهيم إسلامية .

ولعل القارئ يسأل من أين للرابطة الأموال حتى تنفق على هذا النشاط الهائل الضخم . وسيعجب القارئ إن قلت له أن ليس للرابطة من دخل سوى اشتراكات أعضائها وتبرعاتهم وتبرعات أصدقائهم ومعارفهم . . وبما أن جهود العاملين في الرابطة كلها لوجه الله بدون أجر فإن تكاليف هذه النشاطات الواسعة قليلة جداً بالنسبة لما تقوم به ، ويجعل الله البركة في القليل . . ومع هذا فإننا نهيب بالقادرين والمسؤولين على مد يد العون للرابطة حتى تستطيع أن تمد نشاطها إلى جميع الولايات المتحدة . . وحتى تستنقذ الآلاف المؤلفة من أبنائنا الذين ذهبوا ويذهبون للدراسة والتدريب في الولايات المتحدة الأمريكية .

والله لا يضيع أجر المحسنين .

الحضارة الغربية .. وولوجها في الوحل ..!! (*)

في السويد التي تعتبر قمة في الحضارة .. حيث أعلى مستوى للمعيشة ، تدرس الدولة هناك قانوناً يبيح العلاقة الجنسية بين الأخ وأخته !! نعم لقد انتهوا من إباحة الزنا ثم إباحة اللواط .. ثم إباحة الإجهاض .. وتوصلوا إلى احترام (الأمهات العذارى) كما يسمونهن !! وبإلها من تسمية تناقض الواقع مناقضة تامة !! وأخيراً بعد كل هذا وصلوا إلى إباحة الزنا بالأخت .. وقريباً سيصدر تشريع بإباحتها مع البنت والأم !!

ولذلك فإن السويد تتمتع بأعلى معدلات الانتحار في العالم !! كما تتمتع بأعلى معدلات الطلاق ، وهكذا السويد دائماً سباقة في كل ميدان من ميادين التقدم !!

وقد نشرت صحيفة الهيرالد تريبيون في عددها الصادر في ١٩٧٩/٦/٢٩ ملخصاً لأبحاث قام بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين حول ظاهرة غريبة ابتدأت في الانتشار في المجتمع الأمريكي وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة .. وهي ظاهرة (نكاح المحرمات) ويقول الباحثون إن هذا الأمر لم يعد نادر

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع (الكويت) وفي صحيفة المدينة (جدة).

الحدوث ، وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها ، فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ ، وأعجب من هذا : أن الغالبية العظمى (٨٥٪) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو الإبن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع !!! والناجحة في أعمالها ، والتي لا تعاني من أي مرض نفسي ، وليسوا من المجرمين ولا من العتاة ، وإنما هم في الغالب من رجال الأعمال أو الفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم . . !!

ويذكر التقرير أن حالة واحدة من بين عشرين حالة هي التي تصل إلى القضاء أو إلى الدوائر الطبية . . ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء من الأب على ابنته ، ولا يقتصر الاعتداء على الابنة البالغة . . وإنما قد حصلت حالات كثيرة من اعتداء الأب على طفله الصغيرة ، وسجلت حالات من الاعتداء ابتداء من سن ثلاثة أشهر إلى سن البلوغ . .

وينتج عن ذلك الاعتداء : أمراض تناسلية ، وتهتكات في الجهاز التناسلي للطفلة ، بالإضافة إلى الإصابات النفسية البالغة للطفلة .
كما أن عدة حالات حمل قد سجلت نتيجة اعتداء الأب على ابنته . . وفي كثير من هذه الحالات كانت العلاقة بين الأب وابنته تمتد إلى سنوات عديدة .

● أما العلاقة بين الأخ وأخته فيعتبرها الباحثون علاقة شاذة ، ولكنها في رأيهم ليست بذات ضرر ، وينبغي أن لا يهتم بها الوالدان إذا لاحظوها ، بل يتركوها للزمن فهو كفيل بمعالجتها !! ولا يعتبرون أن في ذلك أي إساءة . . ويستحسن أن تترك بدون علاج .
● وأما العلاج الوقائي فيقترحون : أن لا ينام الأطفال مع والديهم

في نفس السرير وكذلك ينبغي عزل الأولاد عن البنات^(١) . كما أن على الوالدين أن يتجنبنا العلاقات الجنسية أمام أطفالهم (هذا شبه شائع في أوروبا وأمريكا الآن) كما أن عليهما أن يمنعا عن الأطفال المناظر الجنسية المثيرة (سواء كانت على هيئة أفلام أو مجلات أو قصص) .

ويحتر الباحثون في علاج الحالات الموجودة . فوصولها إلى القضاء يعني سجن الوالد وتحطيم الأسرة ولكنهم يقترحون إبعاد الطفل المعتدى عليه إلى مصحة نفسية . . وإذا كانت الفتاة بالغة تغير بيتها وتخرج إلى ميدان العمل وتتعد عن جو الأسرة وهذا ما يحصل في الواقع في كثير من الحالات تلقائياً . .

ولا تقتصر حوادث العدوان على الآباء . . وإنما هناك حالات من اتصال الأم بابنها جنسياً ، ويعتبر التقرير هذه الحالات أشدها خطراً على حياة الأسرة . . كما أن هناك حالات من اتصال الجد أو العم أو الخال بحفيده أو ابنة أخيه أو ابنة أخته ، ويقف الباحثون أمام هذه الظاهرة قلقين لكن دون أن يدركوا العلاج الحقيقي !!

وقد نشرت التايم الأمريكية في عددها الصادر ١٤ أبريل سنة ١٩٨٠ تحت عنوان « مهاجمة التابو (المحرم المقدس) الأخير » *Attacking The Last Taboo* وتحته مباشرة بعنوان فرعي : الباحثون يعملون لإباحة نكاح المحرمات . . إليك نص الترجمة :

يحب علماء الجنس أن يصدمو الجمهور من حين لآخر . . ولكن يبدو أنه أصبح من العسير عليهم أن يفعلوا ذلك فقد تعودت الجماهير في

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ مادة *Incet* .

(٢) أخرج الحاكم وأبو داود قوله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » . هذا من التدابير الوقائية التي أرشد إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

الغرب أن تنظر إلى العلاقات الجنسية حتى الشاذة منها نظرة باردة . .
ولكن الباحثين يعملون الآن بجد ، يساندهم في ذلك بعض الأكاديميين
لإزاحة آخر صنم في المجال الجنسي ، وهو منع نكاح المحرمات من
الأمهات والأخوات والبنات .

ويقول الباحث جون موني من جامعة جون هوبكنز ، وأحد أشهر
الباحثين في الأمة الأمريكية : « إن تجارب الطفل الجنسية مع أحد أقاربه
الكبار أو غيرهم من البالغين لا يشكل بالضرورة ضرراً على حياة
الطفل » .

ويشكو الباحث الكبير وزميله جيرترود وليامز في كتابهما « الأفعال
الجنسية الضارة وإهمال الأطفال » . . يشكو المؤلف من أن الجمهور لا
يزال يعتبر أن أي اتصال جنسي بالطفل مهما كان حميداً فإنه اتصال ضار
ومحطم للطفل .

ويواصل الباحثان فيقولان : (إن المجتمع يعتبر من يمارس
الجنس مع المحرمات مثل الأمهات والأخوات والبنات وكأنه مارق على
الدين في مجتمع متدين) . ويقولان : بينما قد استطاع المجتمع
الأمريكي التغلب على مشكلة الدين !! فلا ينظر إلى الإنسان على أنه
مارق إذا خالف دين المجتمع ، فإنه للأسف حتى الآن لم ينظر المجتمع
بنفس التسامح لمن يقوم بنكاح أخته أو أمه أو ابنته !!

ويقول الباحث واردل بومري بصراحة أكثر : بل بوقاحة أكثر :
(لقد آن الأوان لكي نعترف بأن نكاح المحرمات ليس شذوذاً ولا
دليلاً على الاضطراب العقلي . . نعم في الواقع قد يكون نكاح
المحرمات وخاصة بين الأطفال وذويهم أمراً مفيداً لكليهما !!) .

ليس هذا فحسب ولكن الكتابات الكثيرة المؤيدة لنكاح
المحرمات تهاجم بقوة هذا التحريم وتعتبره عقبة كآداء في بذر المحبة

والمودة بين أفراد الأسرة .

ويقول العالم الأنثروبولوجي (سيمور باركر) من جامعة يوتاه

يحذر . .

« إنه من المشكوك فيه أن يكون الثمن الذي يدفعه من يقوم بنكاح المحرمات من الشعور بالذنب والجفوة بين أفراد الأسرة الواحدة أمراً ضرورياً ، أو حتى مرغوباً فيه ، وعليه فينبغي إزاحة هذا الشعور بالذنب عندما يقوم شخص بنكاح ابنته أو أخته أو أمه !! وما هي الجدوى التي ستعود من ربط نكاح المحرمات بهذا الشعور من عدم الارتياح بدلاً من المحبة والدفء الذي يشعه نكاح المحرمات !! »

ولقد نشر تقرير سيكسي (وهو النشرة الرسمية لمجلس المعلومات والتثقيف الجنسي في الولايات المتحدة) هجوماً حاداً على منع نكاح المحرمات ، وطالب بإباحته ، واعتبره « تابو » مقيتاً يجب إزاحته !! وقال المؤلف جيمس رامزي : « إننا نقف اليوم نفس الموقف المتأخر الذي كنا نقفه منذ مائة عام من العادة السرية .

ومعلوم أن الاستمناء باليد (العادة السرية) يعتبر أمراً لا غبار عليه ولا يؤثر صحياً على من يقوم به باعتدال الآن ، أما في الماضي فقد كان يعتبر جريمة تسبب الشعور بالذنب والقلق لمرتكبها !! »

ويواصل الباحث المشهور جيمس رامزي حديثه فيقول : « إن مزيداً من الاتصال الجسدي بين أفراد الأسرة سيحقق الدفء وسيخفف من هذا السعار الجنسي المحموم في سن المراهقة !! » .

ويقول الأنثروبولوجي يهودي كوهين (دائماً ترى كوهين خلف هذه المصائب) : « إن منع نكاح المحرمات ليس من مخلفات الإنسان البدائي !! الذي احتاج لإجراء معاهدات واتفاقات تجارية خارج نطاق الأسرة ، فقام عند ذلك بمنع نكاح المحارم ، وبما أن ذلك لم يعد له أي

أهمية فإن هذا المنع يصبح أمراً قد عفا عليه الزمن » .

وقد قامت الباحثة جوان نيلسون وهي تحمل درجة الماجستير في علم النفس بإنشاء معهد لدراسة السلوك الجنسي وقد قامت ببحث ميداني للتفريق بين نكاح المحرمات المفيد ونكاح المحرمات الضار . . . ويبدو أن الجمهور قد بدأ يهتم بموضوع نكاح المحرمات ، ومما يدل على ذلك أن هوليوود قد أنتجت ٦ أفلام فقط عن نكاح المحرمات عام ١٩٢٠م بينما هي قد انتجت عام ١٩٧٩ ستين فيلماً . . . والمزيد في الطريق . . .

وقد تكونت جماعة تطالب بحقوق الأطفال الجنسية ، وأن من حق الطفل أن يكون له نشاط جنسي مع أي فرد من أفراد العائلة أو حتى خارج نطاقها !!

ويقول لاري قسطنطين الأستاذ المساعد في قسم الأمراض النفسية في جامعة تفتس : « إن للأطفال الحق في أن يعبروا عن أنفسهم جنسياً مع أي فرد حتى ولو كان أحد أفراد عائلته » . . . ويقول الباحثون الجنسيون : « إن جميع أنواع الاتصالات الجنسية مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته أو ابنه . . . وبين الأم وابنها . . . وبين الأخ وأخته . . . نعم كلها مفيدة ولكن الضار هو الشعور بالذنب . . . والإحساس بالخوف . . . وأخطر شيء هو الكبت !! نعم هو الكبت الجنسي !!

إن مثل هذا الاتجاه سيقود معتنقيه حتماً إلى إقامة حملات صليبية ضد جميع أنواع المنع الجنسي شاملاً بذلك نكاح المحرمات » .
انتهى مقال التايمز بدون تعليق . . .

الخيانة الزوجية والخليلات :

وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط التي تصدر في لندن في عددها

الصادر ١٥/٧/١٤٠٠ هـ الموافق ٢٩/٥/١٩٨٠ م أن ٧٥٪ من الأزواج يخونون زوجاتهم في أوروبا وأن نسبة أقل من المتزوجات يفعلن الشيء ذاته . . وفي كثير من هذه الحالات يعلم الزوج بخيانة زوجته وتعلم الزوجة بخيانة زوجها ومع هذا قد تستمر العلاقات الزوجية الشكلية دون أن يطرأ عليها أي انفصام . . أما العلاقات قبل الزواج فإن ٨٠ إلى ٨٥٪ من الرجال البالغين لهم خليلات . . وأن لكل واحد منهم خليلة واحدة فقط وأن خيانة المخاللين للخليلات أقل من خيانتهم للزوجات واكتشفت الدراسة أن خيانة الخليلات لأخلائهن هي أكثر من خيانة الزوجات لأزواجهن . . وتقول الدراسة إن ما بقي من أفراد المجتمع غير المتزوجين والذين ليس لهم خليلات هم من الزناة الذين يتنقلون من امرأة إلى أخرى وليست لهم علاقة دائمة .

وتشيد الدراسة بالأخلاق العالية !! للمجتمع الأوروبي الذي ارتفعت فيه نسبة العشاق والمتخذي الأخدان ، بحيث أنها وصلت إلى ٨٥٪ من مجموع غير المتزوجين ، وأن الخيانة بين المتخاللين والمتخذي الأخدان هي أقل منها بين المتزوجين . .

وتذكر الدراسة أن الرجل الفرنسي يأتي في المرتبة الأولى من حيث اتخاذ الخليلات وعدم خيانتهم ، يليه الألماني ثم يليه البريطاني ، ثم يأتي في آخر القائمة الإيطالي والاسباني . .

وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط في عددها الصادر ١٢/٧/١٩٨٠ الموافق ٢٦/٥/١٤٠٠ تحت عنوان (بريطانيا الجديدة) : أزمت زوجية وعائلية وارتفاع حالات الخيانات على أنواعها : « بريطانيا مقبلة على أزمة اجتماعية كبيرة . . وتحدث أرقام رسمية نشرت أمس في لندن عن تزايد المخاوف من زيادة نسبة الطلاق وانخفاض نسبة الزواج ، وارتفاع نسبة الخيانة الزوجية بين الطرفين

وتقول الأرقام ما يلي :

- ١ - ٣٠ بالمائة من الأزواج الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٢٤ عاماً عليهم أن يتوقعوا سلسلة عمليات طلاق خلال ١٥ عاماً الآتية .
- ٢ - ارتفع عدد الأمهات المطلقات إلى مليون وربع المليون أم ، والرقم مرشح للزيادة .
- ٣ - ٥٠ بالمائة من الأزواج الجدد يرفضون الإنجاب خلال السنوات الثلاث الأولى من زواجهم .
- ٤ - ٩٠ بالمئة من المراهقين بين سنة ١٣ و ١٦ يقبلون على شرب الخمر بصورة مزعجة . وقد أدخل كثير منهم إلى المستشفيات بسبب انغماسهم في الشراب .
- ٥ - ارتفاع نسبة الذين يتعاطون المخدرات من الشباب والمراهقين .

القوانين الوضعية تبيح الزنا(*)

يستغرب كثير من الناس (ولهم الحق في هذا الاستغراب) عندما يسمع أن القوانين الوضعية في معظم البلاد العربية والإسلامية تبيح الزنا والربا وشرب الخمر . . إذ كيف تدعي هذه الدول في دساتيرها أن دين الدول الرسمي الإسلام في الوقت الذي تبيح فيه قوانينها الربا والزنا وشرب الخمر .

ولا شك أن هذا انفصام نكد أدى بالأمة إلى الوبال . . إذ كيف يكون مسلماً من يبيح الزنا والربا وشرب الخمر . ومن يعارض تنفيذ شريعة الله بل ويسخر منها وفي نفس الوقت يدعي أنه مسلم ﴿ أفتمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ؟ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب . . .

والآيات بعد ذلك كثيرة تتحدث عن أولئك الذين يرفضون حكم الله ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع (الكويت).

﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾ .
﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ .

وقبل أن نبدأ في توضيح المواد القانونية لقانون العقوبات المصري التي تبيح الزنا بكل وقاحة ، نقول ليست مصر وحدها هي التي تبيح الزنا (بتعريفه الشرعي في الإسلام وهو كل وطء محرم سواء حدث من متزوج أو غير متزوج) بل إن معظم الدول العربية والإسلامية تبيح قوانينها الزنا إذا كان بالتراضي بين البالغين وبشرط أن لا يكون أحدهما متزوجاً ، إذ تعتبر هذه القوانين أن تعريف الزنا لا ينطبق إلا إذا حدث من شخص ما في حالة وجود عقد الزوجية فقط كما سنوضحه .

وبما أن الإسلام قد حدد الزنا بالوطء المحرم شرعاً سواء كان من متزوج أو غير متزوج ووضع له عقوبات تختلف حسب حالة الزاني محصن هو أم غير محصن . فغير المحصن عقوبته الجلد مائة واختلف في التغريب عاماً ، ودليله الآية : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾ (النور ٢) . أما الزاني المحصن وهو من تزوج ووطأ في نكاح صحيح ولو أصبح عزباً بعد ذلك كان تأييم (ماتت زوجته أو مات عنها زوجها أو انفك قيد الزواج بالطلاق) فإن هذا المحصن يعاقب إذا زنى وثبتت عليه التهمة بالرجم ودليله ما ثبت في السنة من رجم ماعز والغامدية . ولا ينكر أحد من المسلمين حكم الرجم إلا فرقة من الخوارج .

أما القوانين الوضعية فلا تعتبر الوطء المحرم شرعاً زناً إذا وقع من شخص غير متزوج ، ولو سبق له الإحصان بالزواج . إذ أن القيد في منع الزنا في القوانين الوضعية هو قيد الزواج فقط فإذا انحلت رابطة الزواج بطلاق أو موت فإن حرية الشخص في الزنا تعود له ولا عقاب عليه .

ولا يعني ذكرنا لهذه الحقائق المرة الأليمة أن ننفي عن مصر وغيرها من الدول العربية والإسلامية غيرة شعوبها على الإسلام وبروز مئات العلماء الشوامخ منها . . ولكن الواقع الأليم هو أن هذه الشعوب لا تعلم شيئاً عن هذه القوانين بل أن كثيراً من المثقفين الذين لم يطلعوا على هذه القوانين يجهل ذلك جهلاً تاماً .

وقد قدمت مصر بالذات عشرات الشهداء ومئات الأبطال الذين دخلوا السجون وعذبوا فيها أشنع تعذيب يمكن أن يتصوره إنسان وذلك بسبب مطالبتهم المستمرة لحكومات مصر المتعاقبة بتنفيذ الشريعة الإسلامية وإلغاء القوانين الوضعية التي تبيح الزنا من أمثال الشهيد المستشار عبد القادر عودة والشهيد سيد قطب والمستشار حسن الهضيبي وهؤلاء قد لقوا ربهم وذهبوا إلى بارئهم يشكون إليه ما لاقوه من أهوال بسبب مطالبتهم بتنفيذ الشريعة الإسلامية الغراء وإلغاء القوانين الوضعية .

ومن الأحياء عذب مئات العلماء نذكر منهم المستشار علي جريشة الذي عذب تعذيباً رهيباً في سجون عبد الناصر حتى أن المحكمة العليا بمصر قامت في عهد السادات بإدانة حكم عبد الناصر واتهمته بتعذيب الأبرياء وفرضت للمستشار تعويضاً كبيراً تدفعه الدولة .

وقصص تعذيب المطالبين بتنفيذ الشريعة الإسلامية ملأت الصحف والكتب وشهد عليها المستشار محمد عبد السلام النائب العام في مصر من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٦٩ في كتابه سنوات عصيبة (ذكريات نائب عام) الذي نشرته دار الشروق . وشهد على هذه الحوادث الرهيبية الكاتب الصحفي المعروف الأستاذ مصطفى أمين في كتابه سنة أولى سجن وسنة ثانية سجن وسنة ثالثة سجن . وشهدت عليه الدكتوراة نعمات أحمد فؤاد في كتابها « أعيدوا كتابة التاريخ » إصدار دار

الشروق كما سجله وشهد عليه أيضاً المطالبون بتنفيذ الشريعة الإسلامية بدلاً من القانون الوضعي نذكر منهم الأستاذ جابر زرق في كتابه « مذابح الإخوان في سجون ناصر » إصدار دار الاعتصام والأستاذ عبد المتعال الجبري في كتابه « لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا » أيضاً إصدار دار الاعتصام والأستاذ أحمد رائف في كتابه البوابة السوداء (التاريخ السري للمعتقل) إصدار دار اللواء وهناك عشرات الكتب العربية والأجنبية التي تحدثت عن مذابح المطالبين بتنفيذ الشريعة الإسلامية في مصر ولسنا هنا بصدد استيفائها وإنما ذكرنا نبذة منها ليعلم الذين لا يعرفون هذه الحقائق أن شعب مصر قدم مئات الشهداء والأبطال وأن هؤلاء جميعاً بذلوا أرواحهم ودماءهم رخيصة في سبيل الله . . ولا يزال شعب مصر يقدم المزيد من هؤلاء الأبطال كل يوم .

ونبدأ بالاستشهاد في موضوعنا وهو إباحة القوانين الوضعية للزنا إذا كان بين بالغين بدون إكراه مع عدم كون أحدهما متزوجاً في نكاح صحيح معترف به من الدولة (فالزواج غير المسجل عند المأذون الشرعي غير معترف به) ويدخل في تعريف غير المتزوج كل شخص محصن تأيم أي مات عنه زوجه أو انحلت رابطة الزوجية بالطلاق .

يقول الشهيد عبد القادر عودة في كتابه الإسلام وأوضاعنا القانونية : « ومصر الإسلامية التي تجعل دين الدولة الرسمي الإسلام تحل الزنا وترخص للنساء بالبغاء وللرجال بالقوادة » وتنحصر المواد المتعلقة في الزنا في قانون العقوبات المصري في المواد ٢٧٣ إلى ٢٧٧ فالمادة ٢٧٣ خولت للزوج وحده (أو الزوجة وحدها) حق الشكوى والتبليغ عن زنا زوجته ولا يجوز لأي شخص آخر أن يبلغ عن حادثة زنا الزوجة غيره ولا ينتقل هذا الحق إلى ورثته . كما أنه لا يجوز للنيابة العمومية أن تباشر التحقيق في أي قضية زنا ما لم يتقدم الزوج أولاً ببلاغ

ضد زوجته . فإذا فعلت ذلك النيابة قبل تقدم الزوج فإن ما فعلته يصبح لاغياً وباطلاً حتى ولو تقدم الزوج بعد ذلك ببلاغ ضد زوجته الزانية .
وتحدد المادة ٢٧٤ عقوبة الزوجة الزانية التي ثبت زناها بشكوى مقدمة من زوجها فقط بالسجن مدة لا تزيد عن سنتين وتنص الفقرة الثانية من نفس المادة المذكورة أن لزوجها الحق في إيقاف تنفيذ هذا الحكم برضاه ومعاشرته لها .

ونصت المادة ٢٧٣ على أنه إذا زنى الزوج في المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في المادة ٢٧٧ لا تسمع دعواه عليها .
كما تنص المادة (٢٧٣) على أن الزوج متى حكم عليه بالعقوبة لارتكابه الزنا يفقد حقه في التبليغ عن زنا زوجته .
ولا عقوبة على الزنا إذا كان الشخص الذي قام بجريمة الزنا عازباً أو انحل عقد الزوجية بموت أو طلاق .

وقد سمح القانون للزوج والزوجة بمباشرة الزنا بعد انحلال عقد الزوجية ولذا فليس من حق المطلقة طلاقاً رجعياً أن تزني ما دامت في العدة . . أما المطلقة طلاقاً بائناً فإن لها الحق في الزنا ولا تسمع دعوى الزوج عليها بعد وقوع الطلاق البائن . . كذلك لا تسمع دعواه عليها بعد انقضاء عدة الطلاق الرجعي .

كما يحق للمعتدة من وفاة زوجها أن تزني بعد وفاته مباشرة إذ لا يوجد عقاب قانوني على المرأة في هذه الحالة . . كما أنه لا يحق لأحد أن يشكوها إلى القضاء لأن حق الشكوى منوط بالزوج وحده ولا ينتقل هذا الحق إلى ورثته (انظر الموسوعة الجنائية المجلد الرابع باب الزنا تأليف المستشار جندي عبد الملك اصدار دار المؤلفات القانونية بيروت) .

وكذلك نصت المادة ٢٧٣ من قانون العقوبات المصري على أنه

« لا تجوز محاكمة الزوج على الزنا الذي يرتكبه في منزل الزوجية إلا بناء على شكوى زوجته » (انظر المصدر السابق) .

وقد نص القانون المصري على وجوب الشكوى من الزوج أو الزوجة للسير في التحقيق ورفع الدعوى وبناء عليه لا يجوز للنيابة العامة أن تسير في تحقيق جرائم الزنا قبل تقديم شكوى من الزوج وقد أصدر النائب العمومي في هذا العدد منشوراً هذا نصه « لوحظ من التفتيش القضائي على النيابة أن بعض حضرات الأعضاء سار في تحقيق جرائم الزنا التي تقع من الزوجات قبل تقديم بلاغ من الزوج . وقد خالفوا في ذلك المبدأ المقرر قانوناً في المادة ٢٣٥ عقوبات (المادة الجديدة ٢٧٣) التي تنص على عدم جواز محاكمة الزانية إلا بناء على دعوى زوجها (المصدر السابق) .

وقد استفاد من المادة (٢٧٣) القوادون والبغايا أي فائدة بعد أن قامت مصر بإلغاء البغاء العلني عندما ألغته بريطانيا ، وما كان من هؤلاء البغايا إلا أن تزوجن قوادين . فإذا ما اتفق وألقي القبض على إحداهن جاء القواد إلى مركز الشرطة وأخرج زوجته منها . إذ أن القانون المصري حسب المادة (٢٧٣) جعل حق الشكوى من زنا الزوجة منوط به وحده ولا يحق للنيابة أن تباشر التحقيق في ذلك ما لم يتقدم الزوج بهذه الشكوى .

وقد كانت مصر سابقاً تبيح تجارة البغاء وتفرض على البغايا ضريبة للدولة ومركزهن معروف في شارع كلوت بك وشارع محمد علي كما كانت الدولة تُعين أطباء لفحص هؤلاء البغايا حتى تجدد رخصهن بالبغاء سنوياً . ولا يزال هذا الإجراء سارياً في كثير من البلاد العربية والإسلامية حتى اليوم وقد قامت إيران بعد الثورة بإلغائه كما قامت باكستان كذلك بعد مجيء الرئيس ضياء الحق بإلغائه أيضاً . ولكن هذا القانون المبيح للبغاء العلني بموافقة الدولة لا يزال سارياً في الدول التي كانت تستعمرها

فرنسا إذ أن فرنسا لم تلغ قانون البغاء حتى الآن بينما قامت الدول الانجلوسكسونية بإلغائه . ولذا نرى الدول التي كانت مستعمرة لبريطانيا تقوم هي الأخرى بإلغاء البغاء العلني بينما نجد الدول العربية والإسلامية التي كانت تحكمها فرنسا لا تزال حتى اليوم تبيح البغاء العلني وتصدر له تصاريح سنوية وتفرض على البغايا ضريبة تدخل الدولة كما أنها تقوم بتعيين أطباء لفحص هؤلاء البغايا دورياً . . . ومن الدول الإسلامية المبيحة للبغاء الرسمي تركيا منذ أن حكمها كمال أتاتورك وإلى يومنا هذا . . .

على أية حال فإن القانون المصري حسب المادة (٢٧٣) أباح للقوادين والبغايا أن يمارسوا مهنتهم بطريقة أخرى وهي أن يذهب القواد زوج البغي إلى النيابة العامة ويأخذ زوجته ويحتج على أخذها دون إذنه ، ويعلن هناك أنه راض بسلوك زوجته .

وهذا ما دفع بالمستشار الشهيد عبد القادر عودة أن يقول بأسى :
« ومصر الإسلامية التي تجعل دين الدولة الرسمي الإسلام تحل الزنا وترخص للنساء بالبغاء وللرجال بالقوادة » ، وإلا فإن القانون المصري قد ألغى البغاء الرسمي منذ أمد ليس بالقصير .

وتختلف لهجة الشهيد عبد القادر عودة عندما يتحدث عن نفس الموضوع في كتابه المرجع التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (الجزء الثاني باب الزنا) فيقول ما نصه : « تختلف جريمة الزنا في الشريعة الإسلامية عنها في القوانين الوضعية فالشريعة الإسلامية تعتبر كل وطء محرم زنا وتعاقب عليه سواء حدث من متزوج أو غير متزوج ، أما القوانين الوضعية فلا تعتبر كل وطء محرم زنا ، وأغلبها يعاقب بصفة خاصة على الزنا الحاصل من الزوجين فقط كالقانون المصري والقانون الفرنسي ولا تعتبر ما عدا ذلك زنا وإنما تعتبره وقاعاً أو

هتك عرض ولا يعاقب القانون المصري على الوقاع إلا في حالة الاغتصاب فإن كان بالتراضي فلا عقاب عليه ما لم يكن الرضا معيباً . ويعتبر الرضا معيباً إذا لم يبلغ المفعول به ثمانية عشر عاماً كاملة - ولو وقعت الجريمة بناء على طلبه - فإن بلغها اعتبر رضاه صحيحاً . والعقوبة به في حالة الرضا المعيب بسيطة لأن الفعل يعتبر جنحة (لا جريمة) . انتهى كلام عبد القادر عودة .

ويقول المستشار جندي عبد الملك في كتابه المرجع « الموسوعة الجنائية المجلد الرابع » : « واقتبس الشارع المصري أحكام الزنا من قانون العقوبات الفرنسي الصادر في سنة ١٨٠١ م . . . ولا يعاقب القانون المصري الزوج إلا إذا زنى في منزل الزوجية حيث تنص المادة (٢٧٧) من قانون العقوبات المصري بما يلي : كل زوج زنى في منزل الزوجية وثبت علم هذا الأمر بدعوى الزوجة يجازى بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور » . وذكر المصدر السابق أن القانون المصري حسب المادة ٢٣٩ لا يعاقب الزوج إلا إذا زنى غير مرة في منزل الزوجية بامرأة يكون قد أعدها لذلك فعدل هذا النص في قانون سنة ١٩٣٧ بحيث أصبحت المادة (٢٧٧) التي احتلت محل المادة (٢٣٩) تنص على عقاب كل زوج زنى في منزل الزوجية » .

وقد فرق القانون المصري (أسوة بالقانون الفرنسي) بين زنا الزوج وزنا الزوجة من أربعة وجوه :

أولها : أن الجريمة لا تقوم بالنسبة إلى الزوج إلا إذا زنا في منزل الزوجية أما الزوجة فيثبت زناها في أي مكان (مادتي ٢٧٤ و ٢٧٧ ع) .
وثانيها : أن الزوجة إذا زنت تعاقب بالحبس مدة أقصاها ستان .
أما الزوج فيعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ستة شهور (مادتي ٢٧٤ و ٢٧٧) .

وثالثها : أن للزوج أن يعفو عن زوجته بعد الحكم عليها (مادة ٢٧٤) . أما الزوجة فلم ينص على أن لها حق العفو عن زوجها بعد الحكم عليه نهائياً . . ولكلاهما حق العفو وإيقاف الدعوى قبل صدور الحكم النهائي .

ورابعها : أن الزوج يعذر إذا قتل زوجته حال تلبسها بالزنا ويخفف عقابه (المادة ٢٣٧) أما الزوجة فلا عذر لها في مثل هذه الحالة . ويتحدث المصدر السابق عن أركان الجريمة في زنا الزوجة فيقول أنها ثلاثة : (١) وقوع وطء غير مشروع .

(٢) قيام الزوجية .

(٣) القصد الجنائي .

ثم يشرح المصدر السابق هذه الأركان الثلاثة ويهمننا هنا أن نقف عند شرط قيام الزوجية لأن القانون المصري يشترط لتكوين جريمة الزنا أن تكون المرأة مرتبطة بقيد الزواج فإن هذا القيد هو الذي يلزم المرأة بالأمانة والإخلاص لزوجها . فالزنا قبل الزواج لا عقاب عليه ولو حملت منه المرأة ولم تضع إلا بعد زواجها ولا عقاب حتى ولو كانت المرأة مخطوبة .

ويقول المصدر السابق : « لا عقاب على الزنا الذي يقع بعد انحلال رابطة الزواج بوفاة الزوج أو بالطلاق » ثم يفصل في موضوع الطلاق كما أسلفنا فإن كان طلاقاً بائناً فإن الزوجة تستطيع أن تزني في العدة وإن كان طلاقاً رجعيّاً فليس لها الحق في الزنا إلا بعد انتهاء العدة . . وقد قررت محكمة النقض والإبرام أن جريمة الزنا لا يمكن التبليغ عنها وبالتالي لا عقاب على الزوجة بعد انتهاء عدة الطلاق الرجعي وبمجرد وقوع الطلاق البائن .

وإذا كان الزواج فاسداً أو باطلاً (كأن لم يسجل عند المأذون

الشرعي) فإن للزوجة وشريكها أن يدفعا ببطلان دعوى الزوج لأن عقد النكاح باطل . .

ويسقط حق الزوج في رفع دعوى الزنى على زوجته في الحالات التالية (ملحوظة : الزوج هو الوحيد الذي له الحق في رفع دعوى الزنى):

١ - زنا الزوج في منزل الزوجة : فقد نصت المادة (٢٧٣) (ع)

على انه « إذا زنى الزوج في المسكن المقيم فيه مع زوجته كالمبين في المادة (٢٧٧) لا تسمع دعواه عليها » . وبناء على هذا النص فإن للزوجة أن تدفع لدى محاكمتها بعدم قبول الدعوى الموجهة ضدها بأن تتهم زوجها بالزنا في منزل الزوجية . ويقول المصدر السابق وهذا ما يحصل في العمل في أغلب الأحيان حيث لا تقدم الزوجة على التبليغ في حق زوجها إلا إذا بلغ هو في حقها . ويقبل منها هذا الدفع في أي حالة كانت عليها الدعوى قبل صدور الحكم النهائي ويعتبر بلاغها في هذه الحالة مسألة فرعية يجب البت فيها أولاً قبل الحكم في زنا الزوجة .

ويرى كثير من الشراح استناداً إلى عموم نص المادة (٢٧٣) أن الزوج متى حكم عليه بالعقوبة لارتكاب الزنا في منزل الزوجية يفقد إلى الأبد حقه في التبليغ عن زنا زوجته مهما طال الزمن على هذا الحكم ، ويجوز للزوجة أن تتمسك به في طلب استبعاد بلاغه ضدها بالزنا .

وهكذا يعطيها القانون الحق في الزنا إذا زنى الزوج في منزل الزوجية .

٢ - لا عقاب على الزوجة إذا زنت الزوجة بعلم زوجها ورضاه . وهذا ما يفعله عادة القوادون مع البغايا حيث يقومون بالزواج منهن ويتمسكون بالقانون للإفلات من العقاب .

٣ - يحق للزوج أن يعفو عن زوجته قبل رفع الدعوى وبعدها وقبل صدور الحكم وبعده . ويستطيع أن يوقف تنفيذ الحكم برضاه

بمعاشرتها . أما قبل صدور الحكم فللزواج إيقاف الدعوى في أي مرحلة من مراحلها ولو لم يصطلح مع زوجته بل ولو صرح بعزمه على طلاقها .
المادة (٢٧٤) .

ولا يشترط أن يكون تنازل الزوج صريحاً حتى تسقط دعوى الزنا عليها بل يكفي أن يكون التنازل ضمناً . . ويستفاد التنازل الضمني من كل ما يظهر منه قصد الزوج مسامحة زوجته وتجاوزه عن تنازلها كحصول الصلح بينهما . . ويكفي تكرار لقاء الزوجين حتى ولو كانا يعيشان منفصلين لاعتبار ذلك دليلاً على صفح الزوج عن زنا زوجته وإن كان ذلك بقي في طي الكتمان !! (انظر الموسوعة الجنائية المجلد الرابع يبحث زنا الزوجة) ويترتب على تنازل الزوج سواء كان صريحاً أو ضمناً سابقاً على البلاغ أو لاحقاً له سقوط دعوى الزنى . ولا يقبل من النيابة بعد صدور هذا التنازل الصريح أو الضمني من الزوج أن ترفع الدعوى العمومية على الزوجة أو تستمر فيها ويعتبره القانون عفواً عن الجريمة .

وسقوط الدعوى العمومية بناء على التنازل هو من النظام العام فيجوز التمسك به في أية حالة كانت عليها الدعوى حتى في الاستئناف كما يجب على المحكمة أن تحكم به من تلقاء نفسها ولو لم يدفع به المتهم !!

ولما كان التنازل دليلاً على عدم وقوع الجريمة فيترتب عليه أيضاً سقوط الدعوى المدنية فليس للزوج بعد تنازله أن يطالب زوجته أو شريكها بالتعويض المالي !!

والتنازل متى صدر يترتب عليه سقوط الدعوى العمومية بصفة قطعية فلا يجوز للزوج أن يرجع في تنازله .

وقد نصت المادة (٢٧٤) الفقرة الثانية على أن للزوج أن يوقف

تنفيذ الحكم الصادر على زوجته الزانية برضاه معاشرتها كما كانت .
ومتى ما أخرج الزوج زوجته من السجن فلا يمكن إعادتها إليه ، بحجة
أن الزوجين لم يستأنفا المعيشة المشتركة . ويكون للزوجة الحق في أن
تطالب زوجها بأخذها إلى منزله وترتيب مسكن شرعي لها .

وللزوجة كذلك أن تنازل عن دعواها قبل صدور الحكم النهائي
فإذا تنازلت ترتب على ذلك سقوط الدعوى العمومية .

وعلى هذا يكون القانون قد خول كلا الزوجين حق العفو عن
جريمة زنا الزوج الآخر أي حق إسقاط الدعوى العمومية والحكم طالما
أنه لم يصبح نهائياً وخول الزوج فقط حق إيقاف تنفيذ الحكم بعد أن
أصبح نهائياً .

وليس للزوج أن يدفع التهمة عن نفسه بأن زوجته ارتكبت جريمة
الزنا فإن هذا الدفع الذي منحه القانون للزوجة بسبب زنا زوجها لم
يمنحه للزوج .

أما أركان جريمة زنا الزوج فهي أربعة وليست ثلاثة كما هي
للزوجة .

والأركان الثلاثة المشتركة بينهما هي : الوطاء غير الشرعي وقيام
الزوجية والقصد الجنائي .

أما الركن الرابع الإضافي فهو الزنا في منزل الزوجية . .
وقد أوضح القانون أن زنا الزوج خارج منزل الزوجية كمنزل
الخليلة أو أي منزل مؤقت يلتقي فيه الزوج بعشيقتة مهما تكرر تردده عليها
أو منزلاً أعده الزوج لعشيقتة دون علم زوجته ، أوضح القانون أن واقعة
الزنا في هذه الأركان لا تعتبر زناً بل وقاعاً ولا عقاباً على الزوج في ذلك
حتى لو قامت زوجته (وهي الوحيدة التي لها حق رفع دعوى الزنا ضده)
بشكواه إلى القضاء .

أما إذا زنى الزوج في منزل الزوجية وقامت زوجته بالدعوى ضده ولم تتنازل عن هذه الدعوى حتى صدور الحكم النهائي وثبتت بالأدلة جريمة زناه في منزل الزوجية فإن القانون يعاقبه بالحبس مدة لا تزيد على ستة أشهر حسب المادة ٢٧٧ (ع).

ولا نحب أن نطيل على القارئ أكثر من هذا ولعل من يجهلون ما يفعله الحكام قد اقتنعوا أخيراً بما أوردناه من أدلة على أن القوانين الوضعية تبيح الزنا ليس في مصر فحسب بل في أغلب البلاد العربية والإسلامية.

ولا تبيح القوانين الوضعية الزنا فقط وإنما تبيح أيضاً الربا وشرب الخمر بل وتقوم كثير من هذه الدول بصنعها في مصانع الدولة وبأموال الأمة ..

ولهذا فإننا نكرر مطالبتنا لهؤلاء الحكام أن يعودوا إلى حظيرة الإسلام وأن ينهوا هذا الفصام النكد بين شعوبهم المؤمنة وقوانينهم المصادمة للشريعة الإسلامية .

مراجع البحث:

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الموسوعة الجنائية المجلد الرابع . المستشار جندي عبد الملك .
- (٣) التشريع الجنائي الاسلامي المجلد الثاني . المستشار عبد القادر عوده .
- (٤) الاسلام وأوضاعنا القانونية . المستشار عبد القادر عوده .
- (٥) سنوات عصيبة . المستشار محمد عبد السلام .
- (٦) سنة أولى سجن . سنة ثانية سجن . سنة ثالثة سجن . مصطفى أمين .
- (٧) أعيدوا كتابة التاريخ . الدكتورة نعمات احمد فؤاد .
- (٨) مذابيح الإخوان في سجون ناصر . جابر رزق .
- (٩) البوابة السوداء . احمد رائف .
- (١٠) لماذا اغتيل الشهيد حسن البنا . عبد المتعال الجبري .

لا تسمّوا أبناءكم بأسماء الطواغيت (*)

نشرت الصحف ووكالات الأنباء العالمية صورة ذلك المصري الغبي وهو يتسمم في بلاهة وسعادة غامرة مع مناحم بيجن الذي دعاه إلى إسرائيل مع ولده الصغير الذي سماه بيجن . . وكان الطفل المصري بيجن يقف مشدوهاً أمام عدسات التصوير وكاميرات التلفزيون وهي تلتقط له الصور العديدة مع الإرهابي مناحم بيجن المملوطة يده بمئات الجرائم وأشهرها مذبحه دير ياسين .

وتألّمت أشد الألم لما وصل إليه حال المسلمين حيث أصبحوا يسمون أولادهم باسم الإرهابي اليهودي القذر . . أي مستنقع للهوان وصلنا إليه !! وأي تضليل إعلامي تغشى بصر وبصيرة هذا المصري الساذج (وأمثاله . . ليسوا بالقليل) حتى وصل الأمر إلى أن يفتخر بأن يسمي ابنه بيجن . . ويتسمم في بلاهة وبلادة أمام عدسات مصوري الصحف والتلفزيون وهو يقف بابنه الضحية بين يدي بيجن المجرم العتيد . .

من المسؤول عن هذا التضليل الإعلامي في مصر وغيرها حتى وصل الأمر بأن يقوم مسلم بتسمية ابنه بيجن !!! أليست أجهزة الإعلام

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

في عهد السادات وفي عهد خلفه هي المسؤولة الأولى عن هذه الجريمة
النكراء .

وفي عهد سلفهم عبد الناصر وجدت آباء كانوا يسمون أبناءهم
تيتو ونهرو بعد انعقاد مؤتمر باندونج - ونتيجة للتضليل الإعلامي وعمى
البصر والبصيرة والحجب التي رانت على الصدور والقلوب فإن بعض
الآباء من الجهلة وأنصاف المتعلمين أصبحوا يسمون أولادهم بأسماء
لينين ونهرو وتيتو . . وأخيراً بيجن .

ليس من يسمي ابنه باسم ألد أعداء الإسلام بيجن قد تولى الكفار
تولياً كاملاً . . والله يقول : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ .

ليس بعض حكام المسلمين قد تولوا الكافرين وأعطوهم ولاءهم
الكامل . . ومما نتج عنه أن نرى من يسمي ابنه لينين وتيتو ونهرو وأخيراً نرى
من يسمي ابنه بيجن وابنته جولدا ماير !!

وهل يا ترى من يسمي ابنه أو ابنته بهذه الأسماء الكافرة يدرك مدى
خطورة هذه التسمية على دينه إن كان له بقية من دين ؟ أم أن عمى البصر
والبصيرة حجب عنهم الرؤية لهذه المخاطر والمهالك .

أفلا يدركون أنهم سيحشرون غداً في زمرة بيجن ولينين ونهرو
وتيتو . . وإلى جهنم سيساقون . . حيث ارتبطوا بهم في الدنيا بالمحبة
والمودة وبهم سيكون ارتباطهم يوم يحشرون . .

فهلا كانت مودتهم ومحبتهم لنبيهم وآل بيته وصحبه الكرام . .
وهلا سمّوا أولادهم بخير الأسماء وهي أسماء نبيهم وآله وصحبه . .
« خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن » و« خير الأسماء ما حمد وعبد » .

ليس من واجبات الوالدين أن يقوموا باختيار الأسماء الحسنة
لأولادهم؟ وقد أمرنا رسول الله بذلك . . وكان صلى الله عليه وسلم

يقوم بتبديل أسماء صحابته من أسمائهم القديمة الجاهلية إلى أسماء إسلامية .

ألم يرفض صلى الله عليه وسلم اسم حرب للحسن ثم للحسين عندما جاءه الإمام علي رضي الله عنه وأخبره أنه سمي ولده حرباً فقال : لا بل حسن ثم في المرة التالية قال بل الحسين .

فأين هؤلاء الآباء الذين لا يختارون إلا الأسماء البغيضة أو الأسماء الكفرية الملعونة في الدنيا والآخرة . . أين هؤلاء الآباء من تعاليم الإسلام وتعاليم نبيه . .

﴿ إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ﴾ .

وويل لأمة شربت من الذل حتى استمراته وأصبح أبناؤها يتسمون بأسماء جلاديهم وقتليهم !!

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام
وأي هوان أشد من الهوان الذي وصلنا إليه .

معارك المولد ومعارك الكرة (*)

الكثير من شباب هذه الأمة أو الأكثر مشغول بمباريات كرة القدم ومتابعيها والتحمس لهذا النادي أو ذاك .

ونبدأ فنقول إننا لسنا ضد الرياضة بل نحن من الداعين لها ومن القائلين بأن العقل السليم في الجسم السليم وإن ارتفاع نسبة مرض السكر في منطقة الخليج بصورة خاصة إلى درجة وبائية هو نتيجة عدم الحركة وعدم الرياضة . . وإن أمراض القلب وانسداد الشرايين التاجية والذبحات الصدرية وجلطات القلب ناتجة عن عدة عوامل أهمها التدخين وعدم الرياضة .

ولكن الاهتمام بالرياضة وممارستها شيء . . وهذه الحالة المرضية من الجنون بالكرة شيء آخر وأغلب المصابين بلوثة الكرة ليسوا من الرياضة في شيء . . فهم لا يتحركون ولا يترضون إلا قليلاً .

وتساهم انفجالاتهم الباثولوجية في حدوث ارتفاع في ضغط الدم وزيادة الأدرينالين والكورتيزول في دمائهم مما يشجع مع جلوسهم الساعات الطويلة وهم يشاهدون المباريات ويدخنون في أصابتهم بضيق الشرايين التاجية وتصلب الشرايين في القلب والدماغ . . كما تزداد

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع (بالكويت).

لديهم نسبة الإصابة بمرض البول السكري نتيجة عدم الرياضة .
إنها من المتناقضات العجيبة التي يزخر بها مجتمعنا أن نجد أكثر من
يزعمون الاهتمام بالرياضة والمصابين بهوس الكرة بعيدون كل البعد عن
ممارسة الرياضة .

هذا من الجانب البدني وهو أقل الجوانب أهمية ومع هذا
فخطورته لا تحد . . أما الجانب النفسي والروحي والأخلاقي والفكري
فهو الإسفاف الفكري والفراغ النفسي والخواء الروحي والتدني
الأخلاقي الذي أصيب به كثير من الشباب . . ما أدى إلى انتشار
المخدرات بين صفوف كثير منهم .

وفي الوقت الذي تضع فيه فلسطين والضفة الغربية يراد لشباب
الأمة الإسلامية في مختلف الأصقاع أن ينشغل حتى العظم بمباريات كرة
القدم وبمتابعة مسلسلات التليفزيون الغرامية . . وبالتسابق في
السيارات في وسط البلد وشوارعها مما جعل منطقة الخليج تحظى بأكبر
نسبة حوادث للسيارات في العالم ؛ وما أدى إليه من وفيات وإصابات
جعلت حوادث السيارات القاتل الأول في هذه المنطقة . وقد وجد
بالدراسة المتأنية أن من أسباب هذه الحوادث المروعة الاحتفال بانتصار
هذا النادي أو ذلك ، وفوز هذه الدولة أو تلك في إحدى المباريات .

كما وجد أن ما لا يقل عن خمسين بالمئة من جميع حوادث
السيارات ناتج عن تناول الخمر والمخدرات .

هذا جانب أمل الأمة ومعقد الرجاء فيها وقلبها النابض .
بقي جانب آخر هو جانب عقل الأمة الراشد وفكرها الناضج . .
وهداتها ودعاتها إلى الخير . .

هؤلاء هم علماء الأمة الذين قال الله فيهم : ﴿ إنما يخشى الله
من عباده العلماء ﴾ وقال فيهم : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

أوتوا العلم درجات ﴿ وقال عزّ من قائل : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ العلماء الذين قرنهم المولى سبحانه وتعالى بنفسه وملائكته حيث يقول : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط ﴾ .

العلماء الذين وصفهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله بأنهم ورثة الأنبياء وبأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم . . وأن « فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي » .

هؤلاء العلماء الذين كانوا نبراس هذه الأمة وهداتها إلى الخير وحماتها من الشر والذين وقفوا ضد الطغاة والبغاة . . وضد الكفرة والمنافقين . . وضد الضالين والمضلين . . والذين جاهدوا بألسنتهم وأقوالهم وأفعالهم . . ولم يكتفوا بذلك بل قادوا عمليات الجهاد العسكري منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم حتى عهدنا القريب حيث قاد الشيخ عبد القادر الجزائري المعارك الجهادية ضد فرنسا . . والشيخ محمد شامل الكمراوي في القوقاس المعارك ضد روسيا والشيخ عمر المختار في طرابلس الغرب في ليبيا . . بل إن ثورة أفغانستان الجهادية يقودها اليوم العلماء وعلى رأسهم عبد رب الرسول سياف الذي ينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

ولكن كثيراً من علمائنا الأجلاء يشغلون أنفسهم اليوم بمعارك صغيرة صغيرة . . هل يجوز الاحتفال بالمولد النبوي أم لا يجوز؟ هل يقنت المصلي في صلاة الفجر أم لا يقنت؟ هل يضع المصلي يديه على صدره أم على بطنه؟ إلى آخر تلك الأمور الجانبية التي لا تقدم في أمر الدين ولا تؤخر . .

ويذكرنا التاريخ بما حدث في القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية آنذاك عندما اشغل أهلها بالجدل العقيم : هل الملائكة ذكور أم

إناث .. وهل للسيد المسيح طبيعة أم طبيعتان . . . بينما كانت جحافل المسلمين تدك أسوار المدينة . . . ويدخلها القائد العظيم محمد الفاتح ليخلصها من الجدل البيزنطي إلى الأبد . . . لتصبح القسطنطينية . . . إسلامبول (إسطنبول) عاصمة للدولة العثمانية .

وذلك يذكرني أيضاً بقصة دون كيشوت التي كتبها الأديب الاسباني سرفانتس والتي كانت مقرررة علينا في الثانوية باللغة الانجليزية . . . فبعد أن انتهى عهد الفروسية والاقطاع في أوروبا وظهرت الثورة الصناعية الكبرى وتكونت المجتمعات الحديثة قام دون كيشوت بملابس فرسان العصور الوسطى على صهوة جواده يحارب طواحين الهواء . . . ينطلق من بلدة إلى أخرى وهو يصيح صيحات الحرب . . . وينادي الفرسان إلى المبارزة . . . وكلما اقترب من إحدى الطواحين ظنها فارساً يناديه إلى الطعان فيهوي عليها بسيفه ويهجم عليها برمحه وإذا به مجندلاً في التراب بين ضحكات الشامتين وقهقهات الساخرين . . .

أفي الوقت الذي تواجه فيه أفغانستان جحافل الروس الذين وصفهم لنا ابن بطلان وابن رسته وابن بطوطة والمسعودي بأنهم قباح الوجوه ، زرق العيون ، شقر الشعور ، أهل غدر وأقذر الأمم قاطبة ، أفي هذا الوقت ينشغل علماؤنا الأجلاء عن إذكاء روح الجهاد في الأمة بمعارك صغيرة صغيرة ؟

أفي الوقت الذي تقوم فيه إسرائيل باحتلال الأراضي التي بارك الله فيها وتدنس مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقعة المطهرة التي صلى فيها الأنبياء جميعاً يؤمهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ينشغل العلماء الأجلاء بمعارك المولد والقنوت ووضع اليد على الصدر أو أسفله ؟

أفي الوقت الذي تستباح فيه الحرمات وتنتهك المقدسات وتصبح

دماء المسلمين أرخص الدماء فيذبحون ذبح النعاج ابتداء من الفيليين . . وانتهاء بالحبشة وأوجادين مروراً بكمبوديا وفطاني ولاوس والهند . . وما مذبحه آسام والبنغال منا ببعيد . .

أترانا نسينا أو تناسينا مذابح دير ياسين . . ومذابح صبرا وشاتيلا ولما تجف دماء الأطفال والشيوخ والنساء . . ولا يزال مدبرها المجرم شارون يصول ويجول في جنوب لبنان . .

أي موقف وقفه علماؤنا الأجلة من هذه المعارك الحقيقية التي يذبح فيها أبناء الإسلام . . ؟ أين هم من عبد الله بن المبارك . . أين هم من العز بن عبد السلام . . أين هم من إبراهيم بن أدهم . . أين هم من شقيق البلخي الذين لم يجاهدوا بألسنتهم وأقلامهم وخطبهم بل حملوا سيوفهم ورماحهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في وقت كان الإسلام فيه عزيزاً . . ولم تكن أرض الإسلام مهددة ولا محتلة . . بل كان الإسلام ينداح فيه فيشرق على الأرض بنوره . . ولم يكن الجهاد آنذاك فرض عين بل فرض كفاية قام به العديد من شباب الإسلام .

بل أين علماؤنا الأجلة من الشيخ محمد شامل الكمراري والقاضي محمد الغازي الكمراري اللذين قاما بالثورة الجهادية الكبرى في الداغستان والقوقاز . . أين هم من نجم الدين غوتسو الذي قاد الثورة الإسلامية ضد لينين يشاركه في ذلك رفيقه أوزون حجي العالم الرباني الذي قام يجاهد وهو في التسعين من عمره فقاتل حتى نال الشهادة التي كان يطلبها طوال عمره المديد .

أين هم من ثورة عبد القادر الجزائري العالم الرباني الذي قاد ثورة الجزائر ضد فرنسا حتى اضطر أعداؤه إلى الاعتراف بفضله وبطولته رغم هزيمته .

أين هم من عمر المختار والسيد محمد السنوسي اللذين قاما

بمجالدة الفاشيين الايطاليين حتى نالا الشهادة التي يبغيانها .
 أين علماؤنا من قائد ثورة الريف العالم المجاهد عبد الكريم الخطابي ؟
 بل أين هم من علماء أفغانستان اليوم وعلى رأسهم عبد رب الرسول
 سياف وهو أحد العلماء وهم يجاهدون أكثر دول الأرض طغياناً وبعياً .
 أين علماؤنا من الفساد الذي استشرى ودخل كل بيت في صورة
 جهاز الفيديو والتلفزيون ؟
 أين علماؤنا من الربا الذي دخل كل جيب ومن لم يأكل منه أصابه
 غباره ؟
 أين علماؤنا من سوق المخدرات والخمور التي انتشرت وأصابت
 قلب هذه الأمة النابض فأصبح على وشك الإصابة بذبذبات أذينية
 وبطينية تكاد تنهي حياته ؟
 أين علماؤنا من الخنا والفجور الذي لم يعد مستوراً خافياً بل بلغت
 به الوقاحة حد الإعلان عنه في الصحف والمجلات ؟
 أين علماؤنا من القوانين الوضعية التي تبيح الخمر والزنا والربا ؟
 أفي هذا الوقت العصيب والليل المدلهم الذي أحاط بالمسلمين إحاطة
 السوار بالمعصم ينشغل بعض العلماء الأجلاء وورثة الأنبياء بمعارك
 طاحنة فيما بينهم بلغت حد السباب والقذف والاتهام بالشرك والكفر من
 أجل إقامة مولد أو عدم إقامته ؟
 أيجوز في هذا الوقت الذي تتالى فيه النكبات وتتوالى الضربات
 واللطمات على أمة الإسلام أن ينشغل الهداة القادة بمعارك دون كيشوتية
 فتمتلىء الساحة من البحرين والكويت شرقاً حتى المغرب في أقصى
 الغرب بكتب ومقالات تهاجم المولد أو تدافع عنه .
 إنها لمأساة . . . مأساة مروعة . . . أن ينشغل أمل الأمة وقلبها النابض
 بمعارك الكرة . . . وأن ينشغل فكرها الناضج وعقلها الراشد بمعارك المولد .

منع السفارات بالكويت من استيراد الخمر خطوة في الطريق الصحيح (*)

نشرت الصحف نبأ منع الكويت للسفارات الأجنبية من استيراد الخمر . . بعد أن وافق مجلس الأمة الكويتي في جلسته المنعقدة ٢ جمادى الأولى ١٤٠٣هـ على منع استيراد الخمر بأي صفة ولو كان ذلك من أجل السفارات الأجنبية . .

ولقد أثلج صدورنا هذا القرار الذي ينم على عمق الوعي الإسلامي لدى إخواننا في دولة الكويت وخاصة لدى حكومة ومجلس الأمة الموقر . .

وهي خطوة في محلها إذ لا يجوز لدولة ينص دستورها على أن دينها الرسمي الإسلام ومصدر التشريعات فيها القرآن أن تسمح باستيراد الخمر بأي شكل من الأشكال . .

وقد قامت دولة الكويت قبل فترة بمنع تقديم الخمر على متن طائرات الخطوط الجوية الكويتية أسوة بما تفعله الخطوط السعودية . . وقد قامت باكستان مؤخراً بدراسة منع تقديم الخمر على متن طائرات الخطوط الجوية الباكستانية ولعل قراراً بحظر ذلك قد صدر الآن أو في طريقه إلى الصدور .

(*) نشر هذا المقال في صحيفة المدينة (جدة).

وللأسف لا تزال كثير من الدول العربية والإسلامية تقدم الخمر على متن طائراتها وخاصة في رحلاتها الدولية . . بل إن أغلب الدول العربية والإسلامية تسمح بتناول الخمر في فنادقها الكبرى وفي أماكن متعددة أقيمت لهذا الغرض . والأشد والأكثر من ذلك أن كثيراً من هذه الدول وخاصة منها الاشتراكية تقوم هي بصنع الخمر وتوزيعها على الشعب والترويج لها والدعاية من أجلها . .

وإذا استثنينا المملكة العربية السعودية وبضع دول لا تتجاوز أصابع اليد فإن جميع الدول العربية والإسلامية الأخرى تبيع تناول الخمر بل وكما أسلفنا تقوم بعضها بصنع الخمر بأموال الأمة كما تقوم تلك الدول بالدعاية للخمر وتوزيعها على شعوبها !!

ورغم أن هذه الدول العربية والإسلامية تؤكد في دساتيرها أن دينها الإسلام إلا أنها نتيجة لتقليد الغرب تقليداً أعمى تسمح بشرب الخمر على اعتبار أن ذلك عملاً شخصياً إلا في حالة سياقة السيارات والسكر الطافح في الأماكن العامة . .

وكذلك تبيع القوانين الوضعية الربا كما أنها أيضاً تبيع العلاقات الجنسية إذا كانت بين شخصين بالغين عاقلين دون إكراه ولا يرتبط أحدهما برباط الزوجية . .

ونحن نستغرب كيف يمكن أن يكون مسلماً من تبيع قوانينه الوضعية الربا والزنا وشرب الخمر .

فلا بد إذن أن تقوم هذه الدول بمراجعة قوانينها المصادمة للشريعة الإسلامية الغراء . . وأن تلغي منها ما يصادم أحكام الشرع الحنيف . . وأن تتقيد وتلتزم بأحكامه . .

إذ كيف يتوقع هؤلاء أن ينصرهم الله على يهود وهم يحاربونه جهرة ويبارزونه بالمعاصي علانية . .

ومرة أخرى تحية لدولة الكويت التي قام مجلس الأمة فيها مشكوراً
بالغاء آخر ما بقي من مشكلة استيراد الخمر إلى الكويت ..
وتحية إلى دولة باكستان التي قامت بإلغاء القوانين التي كانت
تبيح شرب الخمر كما قامت بإلغاء القوانين التي كانت تبيح الزنا ..
وهي تخطو خطوات حثيثة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية تطبيقاً
متكاملاً ..

وفي الغد القريب سنسمع إن شاء الله أن جميع الدول العربية
والإسلامية قد التزمت بأحكام القرآن ورفضت تعاليم الشيطان ..
والله ولي التوفيق وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت .

دراسة جادة حول .. تعاطي الخُمور في البلاد العربيَّة (*)

بين يدي كتاب قيم أصدرته دولة البحرين بقلم الدكتور (عبد الرحمن عبيد مصيقر) رئيس قسم التغذية بإدارة الصحة العامة بالبحرين الشقيق وعنوان الكتاب ملفت للنظر حقاً إذ إنه كتاب يعالج مشكلة الخُمور والمخدرات في بلد عربي بصراحة تامة .. عنوان الكتاب (ظاهرة تعاطي الخُمور والمخدرات في البحرين) وميزة هذا الكتاب أنه يعطينا ولأول مرة إحصائيات عن استهلاك الخُمور في البحرين وفي بعض البلاد العربية بالإضافة إلى الإحصائيات المتوفرة عموماً عن استهلاك الدول الغربية والشيوعية لأنواع الخُمور ..

ويعالج هذا الكتاب القيم مشكلة الإدمان وتصنيف أنواع المخدرات والأسباب المؤدية إلى الإدمان .. والأضرار النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية الناتجة عن الإدمان بإيجاز شديد .. إذ يجعلها كلها في العشرين صفحة الأولى من الكتاب ويخصص الكاتب الفصل الثاني عن ظاهرة انتشار الخُمور والمخدرات في البحرين ، وهنا نلتقي لأول مرة بأبحاث جديدة وإحصائيات لم تكن معروفة .. ويبدأ الكاتب بشرح ظاهرة زيادة استهلاك الكحول في العالم مع

(*) نشر هذا المقال في مجلة المجتمع (الكويت) وصحيفة المدينة (جدة).

إحصائيات عن استخدام الكحول في أمريكا وأوروبا وروسيا . . ثم يتعرض لأنواع الخمور ودرجة تركيز الكحول فيها ثم يتعرض لتعاطي الكحول في البلاد العربية ويصل إلى هذه النتائج الهامة :

(١) نسبة تعاطي الخمور لا تزال أقل من مثيلاتها في الدول الغربية وذلك بسبب العوامل الدينية التي تحرم على المسلم شرب الخمور .
(٢) إن هناك ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة المتعاطين للخمر في معظم الدول العربية . .

كما أن هناك زيادة واضحة في عدد الجرائم المتعلقة والمرتبطة بشرب الخمور ، مثل حوادث السيارات وجرائم الاغتصاب وهتك العرض والقتل . . الخ . . كما أن هناك زيادة في كمية الخمور المهربة أو المضبوطة .

(٣) تقوم بعض الدول العربية بتصنيع الخمور (وخاصة البيرة التي هي نبيذ الشعير) والتي بها كمية من الكحول تتراوح بين ٤ و ٨ بالمائة . . ومن هذه الدول التي تصنع البيرة (جمهورية السودان) التي صنعت ١٧ مليون ليتر من البيرة الكحولية في عام ١٩٧٦ / ٧٥ م ، ومع هذا لم تكف هذه الكمية للاستهلاك المحلي ، وإنما استوردت أضعاف هذه الكمية لمواجهة السوق .

ومن هذه الدول التي تصنع البيرة بمصانع مؤمنة تملكها الدولة (مصر) وذلك منذ عهد عبد الناصر ، وجمهورية (اليمن الديمقراطية الشعبية) منذ عهد الاستقلال ، وجمهورية (تونس) والجمهورية (السورية) والجمهورية (الجزائرية) .

(٤) إن نوعية المشروبات الكحولية المتعاطاة في البلاد العربية تعتبر بصورة عامة أردأ من تلك الموجودة في الغرب ، وذلك لأن أنواعاً كثيرة منها تصنع سراً وفي بعضها الكحول الشديد السمية ، وهو الكحول

المثلي المعروف بكحول نشارة الخشب أو مذيّب البوية ، والذي يسبب العمى وهبوط القلب بصورة سريعة جداً .

(٥) توضح الإحصائيات في دولة البحرين أن كمية المشروبات الكحولية التي استوردتها البحرين قد ارتفعت من $3\frac{1}{4}$ مليون لتر عام ١٩٧١ إلى أكثر من سبعة مليون لتر عام ١٩٧٩ أي أن مقدار الزيادة هي ١٠٠ بالمائة^(١) .

وارتفعت حصة الفرد البالغ من ٢٩,٨ ليترًا عام ١٩٧١ إلى ٣٧,٤ عام ١٩٧٥ ومن المتوقع أن تزيد عن خمسين ليترًا في عام ١٩٨٠ .
وقد اشترت البحرين حسب إحصاء كتاب التجارة الخارجية عام ١٩٨٠ ، ٧,٣٧٩,٠٥٠ كيلوجراماً من أنواع الخمور .

(٦) يبلغ عدد المعالّجين بمركز السليمانية الطبي من تليف الكبد الناتج عن شرب الخمور ٢٦ شخصاً عام ١٩٨٠م ولا يدخل في ذلك الأعداد التي تعالج في الخارج أو في غيرها من المراكز .
وهذا وحده يعطينا نسبة ٧,٦ من كل مائة ألف من السكان يعانون من تليف الكبد الناتج عن الكحول في البحرين . .

وبما أن هذا العدد لا يمثل إلا جزءاً فقط من المصابين (بتليف الكبد) فإن المصابين فعلاً هم أضعاف هذه النسبة . . وهي نسبة في حد ذاتها عالية .

(٧) أظهرت دراسة أولية في السودان على (٥٠ ألف شاب عام ١٩٧٦/٧٥م) أن ٧٥ بالمائة منهم يتعاطون الكحول من حين لآخر . .
وأن نسبة الذين يشربون الكحول فيما يسمى الشرب الاجتماعي هم ٨٧

(١) وصلت هذه الكمية إلى أكثر من تسعة ملايين لتر في الثمانينات كما يذكر ذلك الدكتور علي التويجري في مقاله (غداً . . سوف يقتلون) .

بالمائة من هؤلاء ، أي أنهم يشربون في المناسبات والحفلات أما الثلاثة عشر بالمائة الباقون فهم من فئة السكيرين المدمنين .

وفي الفصل الثالث والأخير يتعرض الكاتب لمشكلة استخدام المخدرات مثل الحشيش والأفيون في العالم وفي البلاد العربية .

ويقول الكاتب الباحث : إن لبنان ومصر هما من أكثر الدول العربية معاناة من انتشار وتعاطي المخدرات . . وتم في لبنان اكتشاف مزارع للأفيون والحشيش ومصانع لإنتاج الهيروين والأمفيتامين والكوكايين . . وقد تضاعفت الكمية المصادرة ثلاثة أضعاف في خلال أربع سنوات أي من ١٩٧٤ إلى عام ١٩٧٧ .

أما في مصر فقد اكتشفت مزارع للأفيون والحشيش . . وفي المغرب قامت السلطات بإتلاف هكتارين من القنب الهندي (الحشيش) . وقد تم مصادرة كميات كبيرة من الحبوب المخدرة في الأردن ودولة الإمارات والبحرين وتونس والمملكة العربية السعودية وعمان وقطر والكويت ولبنان .

(٨) يذكر الباحث أن أكثر المخدرات انتشاراً في البحرين هي الحشيش والأفيون ، يليه استنشاق المواد الطيارة . والأغلبية المطلقة من مستخدمي المخدرات هم من الذكور (٩٨ بالمائة من مجموع المدمنين) ومعظم المتعاطين هم من الشباب (٢٠ إلى ٢٩ سنة) إذ تبلغ نسبتهم حسب إحصاء عام ١٩٨٠ (٦٠ , ٥٥ بالمائة) .

ويتهيئ الباحث إلى وجوب التنبه لهذه المشكلة التي تزداد بصورة واضحة في كافة المجتمعات بما فيها مجتمعات البلاد العربية . . وإن إغفال المشكلة وتناسيها أو إنكارها لا يؤدي أبداً إلى حلها . . بل الحل هو في المبادرة إلى دراستها دراسة عميقة جريئة ميدانية ثم إلى إيجاد الحلول لها . . وأهم حل يقترحه الباحث (وهو في الواقع لا يوجد له مثيل)

هو تعميق الروح الدينية والقيَم الإسلامية لدى الناشئة، فقد استطاع الإسلام أن يتغلب على هذه المشكلة في المجتمع الجاهلي عندما كان العرب يتعاطون الخمر ويعتقدون أن فيها شفاء وغذاء فاستطاع الإسلام أن يقطع هذه النفوس بعد أن وطد الإيمان في القلوب . وكما يقول توينبي :

« إن الإسلام قد استطاع حل مشكلتين لم يستطع العالم الغربي أن يحلها : وهما مشكلة الخمر ، ومشكلة التفرقة العنصرية » وما هو الإسلام يحل مشكلة الخمر في مجتمع (حي هارلم) في نيويورك حيث أعلى نسبة في الإدمان وفي الجريمة في العالم . . فكل أولئك الزوج الذين اعتنقوا الإسلام تحولوا من الاجرام والادمان إلى الطهارة والنقاء بصورة ملفتة جعلت مدير سجن (والاوللا) في واشنطن يقول : افتحوا أبواب السجون للدعاة من المسلمين كي يحولوا هؤلاء المجرمين إلى حياة الفضيلة . وتقول مجلة لايف الأمريكية تحت عنوان (إيمان صارم وراء القضبان) بعد أن تصف كيف يجلسون على الحصر لصلاة الجمعة ثم يتناولون الغذاء سوياً . . (فهؤلاء المسلمون الاتقياء لا يتناولون المخدرات التي يمكن الحصول عليها بسهولة داخل السجن ، والتي يستعملها ما يقدر بنصف نزلاء السجن . . وهم لا ينجسون في شرب (البرنو) وهو الشراب السائد في السجن رغم أنه غير قانوني . . وشريعتهم تحرم الشذوذ الجنسي الذي هو من أسباب حوادث العنف والاضطراب بين السجناء وقد أصبح السجناء المسلمون يحظون بالاحترام الكبير . . ويؤثرون باضطراب على النزلاء السود الآخرين . ولهذا فلا يوجد لدينا سلاح أمضى من سلاح الإيمان في مواجهة موجة إدمان الكحول والمخدرات . . بل لا يوجد لدينا ما هو أفضل من هذا السلاح في مواجهة مشكلة انتشار الجريمة والتفسخ والانحلال .

فهرست

الموضوع

الصفحة

مقدمة ٥

مقالات متعلقة باليهود

- ١٧ تبه العرب وتبه بني إسرائيل
٢٣ بلى . . إن مكرهم لتزول منه الجبال
٣٣ التوراة المحرّفة تدعو لإقامة المذابح ومنع السلام
٤١ سفر يشوع (سفر المجازر) وسياسة إسرائيل
٤٩ لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخزن اللحم
٥٣ متى يقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله؟
٥٧ هل بدأ العدّ التنازلي لسيطرة إسرائيل على أمريكا
٦٨ القضية الفلسطينية والسلطان عبد الحميد
٧٤ في خضمّ الأنبياء
٧٨ أقتل عربياً . . الأغنية الأكثر رواجاً في العالم
٨٤ ما لجرح بميت إيلام

مقالات متعلقة بالبتروول

- ٩٣ قصة البترول (١) العلماء المسلمون عرفوا أسرار النفط
١٠٣ قصة البترول (٢) ٨٢٪ من المخزون في «الأراضي الإسلامية»
١١٦ العالم الإسلامي يسيطر على مصادر البترول
١٢٦ تكرير البترول وتصنيعه يحمي هذه الثروة من الأكلة
١٣٨ الإعلام الغربي واليابا ومعركة البترول
١٤٣ شركة يابانية تعتذر رسمياً للعرب عن وقاحة إعلاناتها

مقالات عامة عن شؤون المسلمين ومآسئهم

- ١٥١ الوجه الآخر للتطرّف الديني

١٥٥ العودة إلى الشريعة الإسلامية
١٦٢ الأنظمة الشيوعية تحارب المسلمين بالمجاعات !!
 جهود العلماء المسلمين في نشر الإسلام ومقاومة الغزاة
١٧٠ السوفييت في الجمهوريات الإسلامية بآسيا الوسطى
١٨٧ إلى الذين لا يقرأون التاريخ هكذا يتم :
١٩٦ هذا ما يطلبه المسلمون في الاتحاد السوفيتي والصين الشيوعية
١٩٩ القرم إحدى مآسي المسلمين في الاتحاد السوفيتي
٢٠٩ مذبحه أسام والكلية لا يكا
٢١٥ ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾
٢٢١ الدول الغربية والاحتكارات العالمية تُصدّر السموم إلى العالم الثالث
٢٢٦ صغيرة ولكنها أهم
	مقالات إسلامية اجتماعية
٢٣١ وليس الذكر كالأنثى
٢٣٩ الزواج المبكر ليس كارثة
٢٤٤ التبتل والرهبة أو إطلاق العنان للغريزة الجنسية
٢٥١ اميركا التي رأيت (١) انحطاط خلقي وقمة في التكنولوجيا
٢٥٧ اميركا التي رأيت (٢) «حدود اسرائيل» في الأمم المتحدة
٢٦٣ اميركا التي رأيت (٣) الأخيرة: الرحلة إلى فورت ورت
٢٧١ الحضارة الغربية . . ولوغها في الوحل . . !!
٢٧٩ القوانين الوضعية تبيح الزنا
٢٩٢ لا تسموا أبناءكم بأسماء الطواغيت
٢٩٥ معارك المولد ومعارك الكرة
 منع السفارات بالكويت من استيراد الخمر
٣٠١ خطوة في الطريق الصحيح
٣٠٤ دراسة جادة حول . . تعاطي الخُمور في البلاد العربية
٣٠٩ الفهرس